الافتتاحية

«ولقد كرمنا بني آدم»

لقد جاء الإسلام ليقرر الحقوق والحريات وكفالتها للجميع بدون تمييز، وهي حقوق ثابتة لا غنى عنها، وميزتها أنها منح إلهية، وقد ركز على تكريم الإنسان كما جاء في القرآن الكريم، «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ».

وبعد أن نشأت المجتمعات ورسمت ضروريات الحياة، كانت الحرية مركز ومنطلق تلك العلاقات، ونزلت الرسالات السماوية، وكانت الحرية هي أساس تلك الرسالات، لتنظم العلاقات البشرية، ولا يوجد تعارض بين الأديان في حقوق وحرية الإنسان، والإسلام والاستبداد ضدان لا يلتقيان فتعاليم الإسلام وفاء بحاجات الأمة كلها، وضمان للحريات والحقوق، فأراد النبي[، أن يعرفه العرب أنه بشر مثلهم، لا ملك فوقهم ليزداد تواضعًا، ومن الناس قربًا، وجاء الخلفاء الراشدون بعده فمشوا في إثره، وارتبطوا بالجماهير التي نبتوا منها، فما تنكروا لها، ولا تكبروا عليها، ولا حسب أحدهم نفسه من دم أنقى، أو عنصر أزكى، وهذا الصدِّيق يقول: «إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندى القوي حتى آخذ الحق منه».

وقال الفاروق: اعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعافًا على الظالم والمعتدي، والأخذ للضعيف من قويهم. وذلك هو أدب الإسلام الذي خطّ مصارع الجبابرة في الدنيا، وحط منازلهم في الآخرة.

فالحرية صدى الفطرة ومعنى الحياة، والمرء يحس بأن كل ذرة من كيانه تنشدها وتهفو إليها، وكما خلق لكل جارحة أو حاسة وظيفتها التي تعتبر امتدادًا لوجودها، خلق الإنسان ليُعَزّ لا ليذل، ويكرم لا ليهان، وليفكر بعقله ويهوى بقلبه، ولكن الناس تظالموا فيما بينهم وطغى كبارهم على ضعفائهم. إن عقول المستبدين لا تعرف مبدأ التفاهم، ولا تطيق الأخذ والرد للوصول إلى الحق، وعندما فرض هذا الاستبداد نفسه على الأديان وضع مبدأ «من قال لشيخه: لم؟ فقد حرم بركته»، فقد خلق الله الإنسان، وسخر له الكون ، ليكون خليفة الله في الأرض، والمسلمون أحوج أهل الأرض إلى الرّواد الذين يمهدون لهم سبيل الكرامة، ويدفعون عنهم مكايد العنف.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٧

محرم ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

نوفمبر - ديسمبر ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

التسامح... الفريضة الغائبة! ٦

موضوع الغلاف

حقوق الإنسان في الإسلام حقوق أساسية متكاملة نصت عليها الشريعة الإسلامية الغراء وهي صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان لكي يحيا الإنسان أيا كان هذا الإنسان مسلمًا أو غير مسلم حياة حرة كريمة.

القلق مرض العصر.. كيف عالجه الإسلام؟ ٣٨

مدرسة عثمان باشا المالكية في طرابلس الغرب ٨٦

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ت- ٢٧٧٠٠٧ (٠٠٩٦١١) ف - ٢٧٧٠٨٨ (٠٠٩٦١١)
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣

(٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية

- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ ولقد كرمنا بني آدم	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ الهجرة ترسيخ لمفهوم المواطنة	التحرير
٦	فكر/ التسامح.. الفريضة الغائبة	أحمد عبدالعظيم
٨	تاريخ/ أربعة قرون على مأساة الموريسكيين	محمد القاضي
١٠	فكر/ مطاعن المستشرقين ضدالإسلام ٢/١	د.بليغ حمدي اسماعيل
١٢	فكر/ هل حقًا الدين أفيون الشعوب؟	بشار بكور
١٤	حوار/ د.عادل الشدي: الخطاب الإسلامي دون المستوى المطلوب	صابر رمضان
١٨	ملف العدد/ حقوق الإنسان في ميزان الإسلام (مقدمة)	التحرير
١٨	ملف العدد/ النبي محمد وحقوق الإنسان	السيد أحمد المخزنجي
٢٠	ملف العدد/ حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام	محمد عويس
٢٢	ملف العدد/ الإعلام وحقوق الإنسان	د.عبدالله بدران
٢٤	ملف العدد/ رؤية إسلامية لحقوق الإنسان الأساسية	إبراهيم نويري
٢٨	ملف العدد/ التربية على حقوق الإنسان في الإسلام	رابعة حسن
٣٠	ملف العدد/ حقوق الإنسان .. رؤية قرآنية	د. مسعود صبري
٣٣	ملف العدد/ حقوق الإنسان.. نظرات في المفهوم والتنزيل	أحمد عبدالجواد زايدة
٣٦	ملف العدد/ الإسلام دين الحرية	أسعد النوبي
٣٧	ملف العدد/الكويت تدعو إلى تعزيز ثقافة السلام	التحرير
٣٨	دراسات/ القلق مرض العصر .. كيف عالجه الإسلام؟	خلف أحمد أبوزيد
٤٢	دراسات/ المنهج النبوي في التعامل مع مشكلة البطالة	سعاد كوريم
٤٤	دراسات/ كيفية تعزيز الوقف في دعم مشاريع التعليم في فلسطين	شيرين حسن
٤٨	دراسات/ المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب ٢/١	د.حسن عزوزي
٥١	ملف الأدب/ القرآن مشغلة الفكر الإنساني (مقدمة)	التحرير
٥٢	ملف الأدب/ أدب المرأة من الذاتية إلى الفضاء المطلق	محمد عبدالشافي القوصي
٥٥	ملف الأدب/ دعوة إلى أدب قرآني	محمود رداوي
٥٦	ملف الأدب/ آية سورة طه	أحمد بن بحار
٥٨	ملف الأدب/ دور الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم	هاني إسماعيل محمد
٦٠	ملف الأدب/ أعمى يقود بصيرًا وراشد لم يكن راشدًا (قصة)	عبدالرحمن قرة حمود
٦١	ملف الأدب/ تسابيح بلبل (شعر)	د. رفيق الحليمي
٦٢	أنباء الكتب/ سلم الوصول إلى طبقات الفحول	التحرير
٦٤	تراث/ المجتمع المسلم ورعايته لذوي البصيرة	د. ناصر أحمد سنة
٦٧	ملف الأسرة/ قوامة الأسرة المسلمة (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة/ كل شيء عن الحب	إيمان القدوسي
٦٩	ملف الأسرة/ علاقتك بحماتك أيام الخطوبة	التحرير
٧٠	ملف الأسرة/ دور الأسرة في تنمية الابتكار	بشرى شاكر
٧٢	ملف الأسرة/ ولد صالح يدعو له	كمال عبدالمنعم خليل
٧٣	ملف الأسرة/ أخطاء في التعامل مع الأبناء	التحرير
٧٤	ملف الأسرة/ نظرات في تسمية الأطفال	محمد عيسى صوانة
٧٧	ملف الأسرة/ رسالة تربوية للأب	ليلى محمد محمد
٧٨	تراث/ ذكرى العقبة الأولى والثانية وذكر عمره ﷺ	عبدالله محمد الكندري
٨٣	رثاء/ مفتي اليمن الشيخ محمد الجرافي في ذمة الله	التحرير
٨٤	أعلام/ الرحالة المسلم ابن بطوطة ٣/٢	دار الإعلام العربية
٨٦	منارات/ مدرسة عثمان باشا المالكية في طرابلس الغرب	تركي محمد النصر
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	كيف تستثمر أموالك في البورصة؟	د. حسين شحاتة
٩١	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ ثقافتنا وثقافتهم	د. يحيى سنبل

كلمة العدد

الهجرة.. ترسيخ لمفهوم المواطنة

مع حلول العام الهجري الجديد تتقدم أسرة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» إلى المسلمين في شتى أرجاء العالم بأجمل التهاني وأغلى الأماني، داعين الله عز وجل أن يجعله عام خير ويمن وبركة، وأن يكون منطلقًا نحو حال أفضل تستعيد فيه الأمة مكانتها ودورها الإيجابي الرائد في المسيرة الحضارية والإنسانية المعاصرة.

إن أمتنا اليوم في أمسِّ الحاجة للتعلم من دروس الهجرة ومعانيها العظيمة بالتخطيط والسرية والإخفاء والتمويه والتآلف والتراحم... إلخ، ولعل أسماها ما تعكسه الهجرة من معانٍ ومقاصد تؤكد أهمية الولاء للوطن ومبادئ الوطنية التي أولاها الإسلام منذ بزوغ فجره وفي سائر أدبياته عناية فائقة تدلل على التلازم العضوي بين الوطنية والعقيدة، فمنذ الخطوة الأولى نحو يثرب استدار النبي الكريم بوجهه الشريف نحو البلد الأمين مكة وقال بأحاسيس تنم عن حب الوطن والمواطنة: «والله إنك لأحب أرض الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

إن الوطنية والمواطنة مبدأ أصيل في مسيرتنا، ولا مجال للمزايدة من قبل خصومنا على هذا المبدأ الذي يجب أن يحمله ويتبناه كل مسلم ومسلمة دونما عصبية.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير.للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التسامح... الفريضة الغائبة!

أحمد عبدالعظيم

ينطوي المجتمع الإنساني على درجة كبيرة من التباين والتوحد في الوقت ذاته، يتجلى التباين في العدد الكبير من الأعراق والأجناس والأديان والقوميات التي تحمل قيمًا ومعتقدات تؤدي إلى ثقافات مختلفة، ويتجلى التوحد في أن كل أعضاء هذه الجمعيات يشتركون في كونهم يسعون للعيش بكرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ومصالحهم، وعلى ذلك فإن ما يجمع الناس هو أكثر مما يفرقهم. إذن.. فلماذا العنف والصراع والحقد والكراهية التي يشهدها عالم اليوم؟! إن العصر الحالي بما فيه من تشابك المصالح نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات جعل من التسامح والتعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لابد منها لتحقيق مصالح المجتمعات جميعها.

التسامح ممارسة يمكن أن تكون على مستوى الأفراد والجماعات والدول، وهو مبدأ ينبثق عنه الاستعداد للسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي تتعارض مع أفكارنا ومصالحنا.. ويمكن تعريف التسامح بأنه: الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة، وهذا التعريف للتسامح يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالميًا، وممارسة التسامح لا تتعارض مع احترام حقوق الإنسان، ولا تعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي المرء عن حقوقه ومعتقداته أو التهاون بشأنها.

أنواع التسامح

التسامح الفكري: وهو آداب الحوار والتخاطب وعدم التعصب للأفكار الشخصية والحق في الإبداع والاجتهاد.

التسامح الديني: وهو التعايش بين الأديان، بمعنى حرية ممارسة الشعائر الدينية والتخلي عن التعصب الديني والتمييز العنصري، والمسلم يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من كتاب، وما آتى بعض رسله من صحف، وأنها كلام الله أوحاه إلى رسله ليبلغوا عنه شرعه ودينه، ويشهد التاريخ بالنزعة الإنسانية للإسلام، وبالتسامح الذي ربط علاقات المسلمين بباقي أهل الديانات الأخرى، حيث دعا القرآن إلى مجادلة كل هؤلاء بالتي هي أحسن ومحاولة إقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة يقول الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل: ١٢٥). وبهذا المنهج الرباني قام الإسلام على مبدأ عدم الإكراه قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦).

الإسلام دين التسامح

الإسلام دين التسامح والسلام حيث قال رسول الله ﷺ في التسامح «بعثت بالحنفية السمحة». وللتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري، بحيث حثا ديننا الحنيف على الاعتقاد بجميع الديانات حيث قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة: ٢٨٥).

إنه الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق العالمية للشخص، وبالحريات الأساسية للآخرين وإنه وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والاختلاف، بحيث قال ﷺ: «الدين المعاملة».

أسس التسامح في الإسلام

١- لقد رسَّخ الإسلام تحت عنوان التسامح أشياءَ كثيرة، فلقد رسَّخ في قلوب المسلمين أنَّ الديانات السماوية تستقي من مَعين واحد، من أجل التسامح، فقال القرآن الكريم: ﴿شرع لكم منَ الدِّين ما وصَّى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه﴾.

٢- رسَّخ الإسلام من أجل التسامح في قلوب المسلمين أنَّ الأنبياء إخوة، لا تفاضل بينهم مِنْ حيث الرسالة، ومن حيث الإيمان بهم، فقال القرآن الكريم: ﴿قولوا آمنَّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحَق ويعقوب والأسباط وما أوتيَ موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون مِنْ قبلهم لا نفرِّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون﴾.

٣- لقد رسَّخ الإسلام تحت مظلة التسامح أنْ لا إكراه في الدين، فالعقيدة ينبغي أنْ يستقبلها القلب والعقل بشكل واضح، وبشكل جليٍّ: ﴿لا إكراه في الدِّينِ

قد تبيَّنَ الرُّشد مَن الغَيِّ فمَنْ يكفر بالطاغوت ويؤمنْ بالله فقد استمسكَ بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾.

٤- لقد رسَّخ الإسلام من أجل التسامح أنَّ أمكنة العبادات على اختلافها محترمةٌ في نظر المسلمين، فها هو القرآن يقول: ﴿ولولا دفعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهدِّمتْ صوامعُ وبيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكَر فيها اسم الله كثيرا﴾.

٥- لقد رسَّخ الإسلام من أجل التسامح أنَّ هؤلاء المسلمين ينبغي أنْ ينظروا إلى غيرهم على أنَّهم بشر، يجادلونهم بالتي هي أحسن، فقال القرآن الكريم: ﴿ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾.

٦- لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين من أجل التسامح البر بأهل الكتاب، وحُسْنَ الضيافة لهم، فهاهو القرآن يقول للمسلمين: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتابَ حلٌّ لكم، وطعامكم حلٌّ لهم...﴾.

٧- لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين أنْ لا عداوة بين المسلمين وبين غيرهم، لمجرَّد كونهم غير مسلمين، وترك الأمر ليوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: ١٧).

لقد رسَّخ الإسلام في قلوب المسلمين كلَّ هذه الأسس ليحدِّد التسامح المطلوب منْ إنسانٍ يعيش على وجه هذه البسيطة، وليمارسَ هذا التسامح ممارسةً رائعة، تنبثق من إنسانٍ بعث ليؤكِّد للناس إنسانيته الرائعة.. وقد ضَرب الرسول الأكرم ﷺ أروع وأجل الأمثلة في الرحمة والتسامح والعفو والمغفرة بصور لم تعرف لها الدنيا مثيلا، كما طبّق أصحابه وأتباعه والمؤمنون في مختلف العصور قيمة التسامح، وأعلوا من شأنها، ودعوا إليها في خطبهم ودروسهم وكتاباتهم ومحاوراتهم ومناقشاتهم.. وهانحن نورد

بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

روى محمد بن الحسن- صاحب أبي حنيفة ومدوِّن مذهبه- أن النبي ﷺ بعث إلى أهل مكة مالاً لما قحطوا ليوزع على فقرائهم.. هذا على الرغم مما قاساه من أهل مكة من العنت والأذى هو وأصحابه.

وروى أحمد والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك».

وفي قول القرآن يبين أدب المجادلة مع المخالفين: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت: ٤٦). وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان يزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، ذكر ابن إسحق في السيرة: أن وفد نجران- وهم من النصارى- لما قدموا على الرسول بالمدينة، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله: «دعوهم»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

وروى البخاري عن أنس: أن النبي ﷺ عاد يهوديًا، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

وقبل النبي ﷺ الهدايا من غير المسلمين، واستعان في سلمه وحربه بغير المسلمين، حيث ضمن ولاءهم له، ولم يخش منهم شرًا ولا كيدًا.

وتتجلى هذه السماحة كذلك في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين، فهذا عمر بن الخطاب يطبق ما رسمه الله تعالى للدعاة حين دخل بيت المقدس فأعطى الأمان لسكانها من النصارى «أن لا تسكن مساكنهم ولا تهدم ولا ينقص من أموالهم شيء ولا يكرهون على دينهم». كما يأمر عمر بن الخطاب بصرف معاش دائم ليهودي وعياله من بيت مال المسلمين، ثم يقول: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠) وهذا من مساكين أهل الكتاب، ويمر في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين.

وعبدالله بن عمرو يوصي غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية، ويكرر الوصية مرة بعد مرة، حتى دهش الغلام، وسأله عن سر هذه العناية بجار يهودي؟ قال ابن عمرو: إن النبي ﷺ قال: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». وماتت أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية، فشيعها أصحاب رسول الله. وكان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيبًا من صدقة الفطر لرهبان النصارى ولا يرون في ذلك حرجًا، بل ذهب بعضهم- كعكرمة وابن سيرين والزهري- إلى جواز إعطائهم من الزكاة نفسها. وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد: أنه سُئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل ملتكم من المسلمين، وأهل ذمتهم.

وأخيرًا.. ألا تجدر بنا كل هذه الأمثلة الرائعة، أن نتعلم السماحة، ونتعلم صفات الحلم والصفح والعفو والمغفرة، لنكون ممن سمعوا قول الله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾.

أربعة قرون على مأساة الموريسكيين

محمد القاضي

أجمعت جل الكتب المهتمة بتاريخ الأندلس على الصورة المأساوية التي عاشها الموريسكيون وهم العرب المتنصرون من بقايا الأمة الأندلسية المغلوبة الذين عاشوا تحت الحكم الإسباني بعد إرغامهم على التنصير زهاء قرن من الزمن، منذ سقطت غرناطة حتى أصدر الملك فيليبي الثالث في عام ١٦٠٩م قرارًا بطردهم من إسبانيا بعد أن يئست المحاولات المتعددة والمتعاقبة من تحويلهم عن دينهم واعتناق المسيحية ولكن دون جدوى، فاضطروا إلى مغادرة أراضيهم، إذ منحوا مهلة قصيرة فازدحمت الطرقات بهم واشتد الإقبال على البواخر المنطلقة من السواحل الإسبانية نحو شمال إفريقيا وغيرها.

«وقد استقر هؤلاء في أنحاء مختلفة من إسبانيا والبرتغال والمغرب وتونس وفرنسا، بل وصل بعضهم إلى القارة الأميركية» .

ويرى د.الحسين بوزينب أن الموريسكي طرف إسباني انصهر فيه العنصر المغربي العربي بالعنصر الأوروبي ولذلك ليس في استطاعتنا اليوم أن نأتي بالبرهان القاطع على صفاء دم الإسبانيين الذين لم يشملهم قرار الطرد ١٦٠٩م من العنصر المغربي العربي، كما لا نستطيع أن نبين صفاء دم من طردوا من العنصر الإيبيري، ومع هذا فإن بعض المؤرخين يغالطون حينما يقدمون الموريسكيين وكأنهم شعب عربي بقي في إسبانيا، لكن مفاهيم القرون الوسطى لم تكن تسمح بالتصرف بغير الطريقة التي تم سلوكها، وعلى أي حال فإن المسلمين وهم الأغلبية واليهود هم الأقلية طردوا من بلادهم وكأنهم أجانب .

وكان الفوج المطرود سنة ١٦٠٩م هو الخامس حيث سبقه الفوج الأول سنة ١٤٨٣م، والثاني سنة ١٤٩٣م، والثالث سنة ١٥٠٢م، والرابع سنة ١٥٧١م، والتاريخ يشهد على أن البشرية لم تعرف مأساة تماثل «مأساة الأندلس» التي تكبدها شعب مسلم كان يوجد في وطنه الأصلي، عمره أسلافه لمدة ٨٩٨ سنة، وكانوا يعتبرون أنفسهم من نبت الأندلس وبالتالي فهم أصحابها الشرعيون، غير أن أزمة الأمور قد فلتت من أيديهم ولم تعد لهم قوة لاسترجاع ما ضاع.

وكان الملكان الأسبانيان قد تعهدا لمسلمي غرناطة بشروط وهي:

١-يمنح الملكان الكاثوليكيان الضمانة الكافية للمسلمين على أملاكهم وثرواتهم وأن يبيعوا ويبتاعوا ويتبادلوا ويتجروا مع إفريقيا بدون أن يدفعوا ضرائب أو الواجبات المفروضة عليهم من قبل القانون الإسلامي.

٢- إن الملكين الكاثوليكيين باسمهما وباسم خلفهما مجبوران على احترام العادات الإسلامية على الدوام بترك مساجدهم وعدم منعهم من الأذان ومن الصلاة ومن تحبيس أملاكهم على مساجدهم لإقامة الشعائر الإسلامية، والحكم يبقى مستمرًا بين المسلمين على يد قضاة مسلمين حسب قوانينهم وعوائدهم الاجتماعية والمدنية من إرث وزواج كما كانت من قبل.

٣- لا يتابع ولا يعاقب ولا يسب ولا يهان أو يتعرض بسوء لمن خالفوا القوانين وحاربوا ضد النصارى من قبل أو كان له موقف معاد لهم.

٤- يسمح للفقهاء بالاستمرار في التعليم بالمدارس العامة ويتقاضون مرتباتهم والصدقات والتبرعات المخصصة لهم من الأحباس لهذا الغرض.

٥- أي مشكلة تحدث بين مسلم ونصراني ترفع لقضاة يحكمون فيها من الجانبين (قضاة مسلمون ونصارى) وكل الموظفين أو المستخدمين المسلمين يستمرون في عملهم.

ولكن هل التزم الملوك الإسبان بما تعاهدوا عليه؟ لقد نقضوا العهد بعد ذلك، فكان الاضطهاد تلته حملة الإبادة والتهجير، واتخذت سمة الاستماتة والعنف داعية إلى وجوب إبادة المسلمين وإخراجهم من الأندلس مهما كلف الثمن.

ويصف المقري في كتابه «أزهار الرياض» وصفًا مؤثرًا ومؤلمًا لما حل بالإسلام والمسلمين من طرف القساوسة الطغاة.

«فلو رأيتم ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه، لكان كل مسلم يندبه ويبكيه، فقد عبث البلاء برسومه وعفى على أقماره ونجومه، ولو حضرتم من جبر بالقتل على الإسلام وتوعد بالنكال والمهالك العظام، ومن كان يعذب في الله بأنواع العذاب، ويدخل به من الشدة في باب ويخرج من باب، لأنساكم مصرعه، وساءلكم مفظعه، وسيوف النصارى إذ ذاك على رؤوس الشرذمة القليلة من المسلمين مسلولة، وأفواه الذاهلين محلولة، وهم يقولون: ليس لأحد بالتنصير أن يمطل، ولا يلبث حينا ولا يمهل وهم يكابدون تلك الأهوال ويطلبون لطف الله في كل حال» .

وقد صرح أحد الموريسكيين

باحث مصري

«لقد كنا مضطرين أن نظهر لهم ما كانوا يرغبون فيه منا، وعكس ذلك، فإنهم يسوقوننا إلى محاكم دواوين التفتيش بسبب اتباعنا الحقيقة، لقد حرمونا من الحياة والأملاك والأبناء وزجوا بنا في سجون مظلمة لأتفه الأسباب، ونظرا لأفكارهم السيئة أيضًا فإنهم يبقوننا سنين عديدة، في الوقت الذي يستولون فيه على أملاكنا التي صادروها، ويستغلوننا، ثم يقولون إن ذلك الفعل مبرر وعلى ضوء ذلك فإنهم يخفون أفكارهم السيئة وسريرتهم المظلمة، أما أطفالنا فإنهم عندما يكبرون يافعين يربونهم على منوالهم ويصبحون مرتدين، أما إذا كبروا فإنهم يسعون إلى الهرب بالإضافة إلى ذلك فإن حكام دواوين التفتيش يفتشون عن كل الوسائل للقضاء نهائياً على هذه الأمة .

وأمام هذا التعنت وهذه المصادرة فقد وجد الموريسكيون في لغة «الا لخميادو: AlJAMIADO» (وهي القشتالية المحرفة تكتب بحروف عربية) متنفسًا لتفكيرهم وآدابهم ولأدعيتهم وصلواتهم وكتبهم الدينية، وقد تركوا تراثًا أدبيًا من النظم والنثر، وقد عثر على مجموعة من المخطوطات صدفة «في أكثر من مناسبة بعد إخفائها قديما في تجاويف جدران المنازل وبين السقوف وفي المغارات وكذا في مخابئ أخرى وهو أدب هجين تمتزج فيه العربية والإسبانية في شتى المستويات بشكل لا نظن أنه عرف قبل هذا بين اللغة العربية ولغات أخرى، وقد تمخض هذا المزيج عن نتاج معبر أيما تعبير وممثل أيما تمثيل لكيان أصحابه ولهويتهم الثقافية، فهذه اللغة الموريسكية تعكس بوفاء كبير شخصية مجموعة إسبانية متميزة داخل الجزيرة الإيبيرية» .

والنتيجة؟

وماذا كانت النتيجة إذن؟ إن إسبانيا لم تجن من هذه الاضطهادات المخزية إلا الضرر والتخلف عن مسايرة الركب الحضاري والثقافي والصناعي الذي عرفته أوروبا.

ورغم كل المجهودات التي بذلتها الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية من أجل محو أي آثار للوجود الحضاري العربي والإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، فإن سكان إسبانيا

لنجعل هذه الذكرى مناسبة لقراءة تاريخنا من جديد

اليوم لا يجدون بدا من الإشارة إلى الحضارة العربية باعتبارها مرجعًا مهما في حياتهم.

فقد عاش الرومان والقوط قرونًا في إسبانيا، فلا نجد في كتاباتهم شيئًا عن تميز لهذه البلاد بزراعة ولا فاكهة ولا خضرة أو تدبير للماء.

كما تجري على ألسنة الإسبانيين اليوم مئات الكلمات ذات الأصل العربي يستعملونها في مجالات حياتهم (الفلاحة، التجارة، الحرف، البناء والعمارة، المهن والوظائف، الملابس...).

وتجدر الإشارة إلى أن شخصية «الموريسكي» تسللت إلى الأدب الإسباني، فقد استلهم فيه الأدباء (شعراء وكتاب القصة والرواية والمسرحية) قصائدهم وقصصهم ورواياتهم ومسرحياتهم، وذلك في عصره الذهبي، وقد خصص د.حسن الوراكلي دراسة مهمة عن ملامح من صورة الموريسكي في الأدب المسرحي الإسباني.

خرج الموريسكيون من إسبانيا وتركوا فيها حضارة لا يمكن أن تموت، يجني منها الإسبانيون ملايين الدولارات عن طريق السياحة.

وبالنسبة لأولئك الذين اختاروا الإقامة في المغرب، فقد وجدوا فيه كل عناية وترحيب في كل مكان نزلوا به (تطوان، شفشاون، فاس، سلا، الرباط، وبعض بوادي شمال المغرب) وقد استفيد من خبرتهم ومهاراتهم في سائر مرافق الحياة اليومية سواء تعلق الأمر بالفلاحة والتجارة أو بالشؤون الثقافية والعلمية، وقد حافظت تلك الجماعات على أسمائهم وألقابهم الأندلسية حتى اليوم، ومنهم من احتفظ بمفاتيح منازلهم التي حملها أجدادهم على سبيل الذكرى نذكر منهم «الغرناطي، الراندي، وبيصة، وابن عبدون، وعذرون، وبرهون، والحضري، وبيرميجو، وهراندو، وقشتول، ومرينون، وقشتيلو، ولقاش، وبلانكو، وأندلسي، وطنانة، وبلامينو، والرندة، وكليطو، وبريطل، وجوريو، واشماعو، وكراكشو، وغيرهم»، وقد قام الباحث محمد بن عزوز حكيم بتوثيق الألقاب والأسماء التي كانت تتخذها أسر موريسكية نزلت بتطوان (شمال المغرب) وهي أسماء قشتالية أصلًا، أو هي قشتالية نطقًا، عربية أصلًا، أصبحت أسماء لأسر عربية مسلمة أريد لها أن تكون قشتالية.

وكان لاستقرار الأندلسيين في المغرب الأثر الكبير في ازدهار حركة العلوم والآداب والفنون والمعمار والصناعة.

أما عن مصير اليهود الإسبان الذين صدر في حقهم مرسوم الطرد من بلادهم التي عاشوا فيها قرونًا طويلة، فقد استطاعوا في السنوات الأخيرة وتحت ضغط إمبريالي صهيوني وإسلامي تشهيري أن ينتزعوا من الحكومة الإسبانية اعتذارا رسميًا وعلنيًا عما صدر من حكم تسبب في طردهم من إسبانيا، دون الإشارة ولو بكلمة على الصعيد الرسمي الإسباني إلى ما لحق بالمسلمين رغم أنهم كانوا أكثر عددًا من اليهود، وكان الباحث المغربي محمد بن عزوز حكيم قد وجه رسالة إلى الملك الإسباني خوان كارلوس ٢٠٠٢/١/٢ أيده فيها المؤرخ الإنجليزي «مسترجيبس» يطلب فيها من التاج الإسباني بأن يعتذر للمسلمين «ولكي يسجل التاريخ ، وتعلم الأجيال اللاحقة فإننا لم ولن ننسى أبدا «مأساة الأندلس» فقد قمنا بواجبنا قدر الإمكان نحو الشعب المذكور، حيث طالبنا مرارًا وتكرارًا من التاج الإسباني بأن يعتذر للمسلمين على غرار ما قام به مرتين نحو اليهود السفردين»

وأخيرًا لنجعل من هذه الذكرى المئوية الرابعة مناسبة لقراءة تاريخنا من جديد ولنأخذ العبر من الأحداث المهمة التي عاشها أجدادنا ونقومها بموضوعية علمية مجردة.

فهل نحن فاعلون؟ وهل يعتذر الإسبان للمسلمين ونحن نعيش عصرًا جديدًا؟

مطاعن المستشرقين ضد الإسلام الحنيف (الجزء الأول)

عليك أن تكتب كلمة إسلام باللغة الإنجليزية (Islam) في أي محرك بحث إلكتروني باللغة الإنجليزية لتدرك حجم وقدر الهجمة الشرسة التي يوجهها أعداء الإسلام له، وإذا أراد الباحث الإسلامي أن يعد دراسة علمية حول حملات التشكيك في الدين الإسلامي فلسوف يحتار كثيرًا عندما يجد كمًا هائلا من الكتب والدراسات والمراجع والمواقع الإلكترونية التي تكيل التهم المتنوعة للعقيدة الإسلامية.

د .بليغ حمدي إسماعيل

اللافت للنظر أن الهجوم على الإسلام والقرآن الكريم والنبي ﷺ ليس جديدًا، بل بدأ منذ ظهور فجر الإسلام وحينما قويت شوكته ازداد الهجوم الضاري عليه، وفي هذه الآونة أصبح الغرب بصفة عامة مصابًا بمرض الإسلاموفوبيا، بل إن زيادة دخول الغربيين في الإسلام شكل للبعض الآخر من غير المسلمين هوسًا بالتفكير في هذه العقيدة الفريدة القادرة على الصمود والرسوخ في ظل استعار الرأسمالية، وانحلال القيم والآداب والتقاليد والأعراف.

مطاعن المستشرقين في القرن العشرين

بدأ المستشرقون في مطاعنهم بصورة مخططة ومنظمة نحو الدين الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر مرورًا بالقرن العشرين، وتجسدت تلك المطاعن والشبهات في نقاط محددة نوردها في الآتي:

- خطر الإسلام على الحياة العامة.
- خطر الإسلام على النشاط الفكري والثقافي.
- خطر الإسلام على الحياة العلمية.

خطر الإسلام على الحياة العامة

رأى أعداء الإسلام من المستشرقين أنه

رئيس قسم اللغة العربية- صندوق تطوير التعليم - رئاسة مجلس الوزراء المصري

يشكل خطرًا جسيمًا على الحياة العامة، وأنه يقف حجر عثرة في طريق التقدم الاجتماعي للمجتمعات المدنية، وأنه يكدرها ويعكر صفوها، لأنه يحرم على الناس شهواتهم ويقمع غرائزهم. والإسلام في حقيقة الأمر خلاف ما يزعمون، فهو يدعو إلى تقدم البشرية بصفة عامة، كما أنه يضع قواعد وضوابط شرعية في صالح البشرية. والرائي يستطيع أن يدرك مقاصد الشريعة الإسلامية من سمو الأغراض وشرف الغايات.

فالإسلام استطاع أن يستبدل الحاجات المادية التي تجعل المرء عبدًا لها بروابط روحانية قائمة على مبادئ راقية وأصول ومرتكزات ثابتة أصيلة. والحقائق التاريخية تؤكد وتشير إلى الروابط الاجتماعية القوية التي سادت المجتمع الإسلامي منذ ظهور الإسلام الحنيف. كما أن الإسلام قد أقر مجموعة من الأصول والواجبات التي يقوم عليها الاجتماع والتعارف والمشاركة الحياتية العامة.

بل واستطاع الإسلام التوفيق بين المصالح الدينية للمجتمع، وبين مصالحه الدنيوية، بحيث تتكافل في إيصاله إلى كماله المادي والأدبي، ويمكننا إدراك هذه الحقيقة المطلقة من خلال حياة الصحابة الكرام، حيث استطاعوا بالإسلام وتعاليمه السمحة التوفيق بين السمو الديني وروح العمل الدنيوي دون خلل أو نقص أو عيب.

وكما فتح الإسلام للنفس البشرية باب الارتقاء الروحاني على مصراعيه، ووسع مداه إلى ما لا يصل إليه خيال المتخيل، فتح كذلك لها باب الارتقاء المادي، فلم يحرم عليها علمًا نافعًا، ولم يضع للعلوم حدودًا، كما يشير فريد وجدي إلى أن الإسلام استنهض الهمم للشؤون الصناعية، والإبداعات الفنية، وعد الارتقاء في هذه المجالات فتوحًا إلهية يثاب عليها الموفق لها ثواب العاملين على ترقية الإنسانية.

خطر الإسلام على النشاط الفكري والثقافي

سعى المستشرقون منذ بداية حملتهم المسعورة إلى تشويه الإسلام بأنه يخالف وينافي الحياة الثقافية والنشاط الفكري، وأنه يقف عائقًا ضد الأفكار المستنيرة الحرة.

لا يزال ملاحدة هذا الزمان يروجون أن الإسلام يحارب العلم والعلماء

ولاشك أن الإسلام هو الدين السماوي الوحيد الذي أعلى من شأن العقل والفكر الإنساني، ورفع من مكانته، فالعقل هو مناط التكليف والمسؤولية، وبه يعرف الإنسان خالقه ويدرك أسرار الخلق وعظمة وقدرة الخالق. وإذا كانت التيارات والفلسفات الإلحادية قد حرمت الإنسان من حق وحرية النظر والتفكير، فإن الإسلام الحنيف دعا المرء إلى ضرورة استخدام النظر والتفكر في نفسه والكون، بل عاب على أولئك الذين لا يعملون عقلهم ويعطلون قدراتهم التفكيرية، يقول الله تعالى ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ (الأعراف: ١٧٩).

بل سبق الإسلام موجات هادمة للتفكير وحجب النظر والتدبر والتعقل، فجاء داحضاً هذه الأفكار، داعيا الناس كافة إلى ضرورة النظر العقلي والاعتماد على الحجة والبرهان. يقول الله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات:٢٠-٢١). بل ويدعو القرآن الكريم الإنسان إلى ضرورة النظر في مخلوقات الله وظواهره وإعمال العقل، يقول تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبًا. ثم شققنا الأرض شقًا. فأنبتنا فيها حبًا. وعنبًا وقضبًا. وزيتونًا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعًا لكم ولأنعامكم﴾ (عبس: ٢٤-٣٢) .

والقرآن الكريم يزدحم بالشواهد والآيات التي تحث الإنسان على ضرورة التفكير وإعمال العقل والتدبر والنظر والاستدلال، كقوله تعالى: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

خطر الإسلام على الحياة العلمية

رغم حصول كثير من العلماء المسلمين على جوائز علمية في مجالات التكنولوجيا والطب والعلوم الفيزيائية والكيميائية، إلا أن ملاحدة هذا الزمان لا يزالون يروجون أن الإسلام يحارب العلم والعلماء، بل يمثل عقبة تاريخية في وجه تقدم العلوم والتقدم التكنولوجي، وأنه عقيدة جهل وتخلف. والتاريخ يؤكد أن علماء المسلمين لهم أياد بيضاء على الحضارة الأوروبية والنهضة العلمية في الغرب، وللأستاذ العقاد كتاب في ذلك يوضح فضل الإسلام والمسلمين على النهضة الأوروبية. ونذكر من التاريخ الإسلامي ما قام به أبوجعفر المنصور حينما نقل عاصمة الملك إلى بغداد وجعلها عاصمة العلم والعلماء، وبذل جهدًا كبيرًا في تطوير مدارس الطب والعلوم، أما هارون الرشيد فقد أضاف مدرسة إلى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه.

ولن نغالي حينما نقول بأن الإسلام قد أعلى من شأن العلم، والتشديد على أهميته ودوره في رقي المجتمعات والأمم، يقول الله تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط﴾ (آل عمران: ١٨). كما أن الله تبارك وتعالى رفع من قدر العلم ومكانة العلماء حين يقول في كتابه العزيز: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩). ويشير القرآن الكريم إلى أن الله يرفع مكانة العلماء في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١).

ويحضرني موقف من السيرة النبوية لصاحبها ﷺ، فلقد روي عن أسامة بن شريك رضي الله عنه أنه قال: «أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم». وهذا يؤكد أن الإسلام متمثلا في نبيه ﷺ لا يحارب العلم والطب، بل يسعى إلى الأخذ بالأسباب، فقرن الفعل بالقول، حتى يكون الأمر في علم الطب قولا صريحًا، إنه علم بالداء، وعلم بالدواء، وأن الدواء له أثره في الشفاء.

هل حقًا أن «الدين أفيون الشعوب»؟

بشار بكور

هل كان كارل ماركس محقًا في هذه العبارة؟ هل حقًا أن الدين من شأنه أن يخدر ويدمر ويهدم ويفرق كالأفيون؟ قبل الجواب، نسأل: هل الدين مهم في حياتنا؟ الجواب: نعم.

لأن الدين من الحقائق الكبرى في حياة البشر أجمعين. فمنذ بدء الخليقة وحقيقة الدين أو الرغبة في التدين مركوزة في النفوس، و متأصلة في العقول. وليست مجرد دواء نأخذه اليوم ثم نرميه غدًا. ونحن قبل أن نخلق- عندما كنا في عالم الذّر- أخذ علينا العهدُ بالدين والإيمان، والاعتراف بالله عز وجل ربًا وخالقًا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢). يقول الإمام ابن كثير: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم:٣٠)». «إن الفطرة التي فطر الله الناسَ عليها من الاعتراف للربّ الخالق الواحد الأحد بربوبيته لهم، والإذعان له بهذا الحق، قد أشهد اللهُ به الناسَ على أنفسهم وهم في مرحلة عالم الذرّ، وهم خالُون من شهوات الحياة، ونزَعاتها ونزَغاتها، قبل أن يوصلهم بعمليات الخلق إلى مرحلة حياة الابتلاء، مزودين بالأهواء والشهوات، والنزعات والنزغات، والإرادة الحرّة، والقدرة على كسب الخير، واكتساب الشر». هذه الفطرة التي وهبنا الله إياها صافية، نقية، اختلطت كُرْهًا، وعن غير اختيار، بكثير من الشوائب والمكدِّرات من شرك، وكفر، وجحود، ونكران، وإلحاد، وغيرها من الظلمات التي بعضها فوق بعض. جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُود إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه أَوْ يُنَصِّرَانِه أَوْ يُمَجِّسَانِه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ».

ولأن هذه الفطرة حتى بعد أن انحرفت أو حرِّفت عن مسارها الصحيح، وطريقها المستقيم، كانت ومازالت تدفع بأصحابها دفعًا إلى دين ما تؤوب إليه، ولو كان أرضيًا، وإله تسجد له وإن كان وهميًا. وقد كان مشركو العرب يصنعون الأصنام يعبدونها، و يتقربون إليها بشتى أنواع القرب.

يقول المؤرخ الإغريقي بلوتارك: «قد وجدت في التاريخ مدنٌ بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد، ويقول المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي: «الدين إحدى الملكات الضرورية الطبيعية البشرية، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه إلى حالة من اليأس الروحي، تضطره إلى التماس العزاء الديني على موائد لا تملك منه شيئًا».

ولأن الدين، كما الماء والهواء، لا غنى عنه، ولا مفرّ منه، لم يستطع الإنسان أن يبتعد عن شاطئه طويلاً. فعندما وجد نفسَه قد تاه في الظلمات، وازدادت مشكلاته النفسية والاجتماعية، أيقن ألا ملجأ له إلا العودة إلى ثوابت الدين وأخلاقه. فقد أيقن كل من نواليس وكانط، وهما من أنصار العقلانية، أن القوى الدنيوية لا تستطيع أن تحافظ على توازنها ما لم يتماسك المجتمع بفعل الدين. ولذا تسعى اللجنة الأوروبية في مشروعها «إعطاء أوروبا روحًا» لكي تسري بعض الروحانيات في هذه القارة من جديد.

وتوصل جانيال بيل منذ ربع قرن، في عمله «التناقضات الثقافية للرأسمالية» أن الرأسمالية القائمة على مبادئ وقيم كالفينية، تؤدي إلى التدمير الذاتي إذا تحولت إلى هوس في التقدم الاقتصادي والعلمي. ففي هذه الحالة ستتحول بعض الفضائل مثل الوفاء وعدم الإسراف والالتزام إلى نقيضها. وستتحول المنظومة إلى نزعة استهلاكية، وتسيّب جنسي، ولا مبالاة، وتقليد أعمى. إن عالم ما بعد الصناعة يجيب عن كل شيء خلا الإجابات عن الأسئلة الكبرى في حياتنا ووجودنا: من أنا؟ إلى أين؟ لماذا؟.

إن المجتمعات عمومًا، والغربية خصوصًا، عندما أعلنت قطيعتها مع الدين والله، أو على الأقل، عزلت الدينَ عن الحياة، رافعةً شعار العلمانية، عانت من الويلات والأمراض، التي هزّتها هزًا قويًا. و أصبح التشرد والإيدز وإدمان المخدرات واللقطاء والتحلل الجنسي من سمات هذه المجتمعات. وما كتاب «موت الغرب» The Death of the West (٢٠٠٢) لباترك بوتشانن Patrick Buchanan إلا واحد من عشرات الكتب التي تحذر من الموت الحضاري والأخلاقي للغرب. فهو يشير إلى عدد من العوامل التي إن لم يتم احتواؤها وضبطها، فسوف تؤذن بانهيار الحضارة الغربية انهيارًا فظيعًا، من هذه العوامل: انخفاض معدلات المواليد،

باحث سوري

وذوبان العائلة، واندثارها وحدةً اجتماعية، وعزوف النساء عن الحياة الطبيعية التقليدية مثل الزواج وإنجاب الأطفال ورعايتهم، وعزوف الشباب عن مؤسسة الزواج، وشيوع الجنس، واللواط، والحماية القانونية لهذه النزعات غير السوية. ومن عجب أن أناسًا في عالمنا العربي يسيرون على نهج هذه الحضارة و يترسّمون خطاها، حيث يسلكون طريقًا هي الآن منه عائدة.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت. قال الفيلسوف فيخته: «إن الأخلاق من غير الدين عبث». والفيلسوف كانط لم يرَ ضمانًا للأخلاق يوثق به غير الدين، وقد بنى الإيمانَ بالله على دليل الأخلاق، فأوشك ألا يعترف بوجود الله لولا ضرورة الحاجة إليه لصيانة الأخلاق، ورأى أن أجدرَ وصف لمن ينكر وجودَ الله أن يقول: إنه كافرٌ بالأخلاق.

– فلا عجب –بعد الذي ذكرناه– أن يجد الإنسان في الدين سندًا يركن إليه، وحضنًا يرتمي عليه، وحنانًا يأوي إليه. فأنت في سائر أحوالك وشؤونك من فقر وغنى، وترح وفرح، ويأس وأمل، وكرب وفرج، وطمع وقناعة، وخوف ورجاء... إلخ تجد الدين معك، مؤازرًا ومواسيًا، وناصحًا ومحذرًا، ومبشرًا ونذيرًا. فالدين عامل عظيم الفاعلية، شديد التأثير في الأمن، و الأمان، والصحة النفسية، والسعادة القلبية. يشير الدكتور محمد عودة محمد والدكتور كمال إبراهيم مرسي في كتابهما «الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام» على مؤشرات الصحة النفسية:

١–الجانب الروحي: الإيمان بالله، أداء العبادات، القبول بقضاء الله وقدره، الإحساس الدائم بالقرب من الله، إشباع الحاجات بالحلال، المداومة على ذكر الله.

٢–الجانب النفسي: الصدق مع النفس، سلامة الصدر من الحقد والحسد والكره، قبول الذات، القدرة على تحمل الإحباط، القدرة على تحمل القلق، الابتعاد عما يؤذي النفس (الكبرياء، الغرور، الإسراف، التقتير، الكسل، التشاؤم)، التمسك بالمبادئ المشروعة، الاتزان الانفعالي، سعة الصدر، التلقائية، الإقبال على الحياة، السيطرة وضبط النفس، البساطة، الطموح، الاعتماد على النفس.

٣– الجانب الاجتماعي: حب الوالدين، حب شريكة الحياة، حب الأولاد، مساعدة المحتاجين، الأمانة، الجرأة في قول الحق، الابتعاد عما يؤذي الناس (الكذب، الغش، السرقة، الزنا، القتل، شهادة الزور، أكل مال اليتيم، الفتن، الحقد، الحسد، الغيبة، النميمة، الخيانة، الظلم)، الصدق مع الآخرين، حب العمل، تحمل المسؤولية الاجتماعية.

٤– الجانب البيولوجي: سلامة الجسم من الأمراض، سلامته من العيوب، سلامته من العيوب الخلقية، عدم تكليفه إلا في حدود طاقته.

تأمل جميع هذه الجوانب، هل كان من الممكن أن يهتدي إليها الإنسان وينعم بالعيش بها لولا أن الدين هو الذي أرشده إليها ودلّه عليها، وسلك له مسالك إليها. ولو شئت أن أستشهد على كل جزئية من جزئيات هذه الجوانب الأربعة، بآية من كتاب الله تعالى أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ، لما كان في هذا كثير عناء، لكن فيه تطويل و إملال. يذكر الدكتور ألفونس ويليمز، باحث أميركي في مقالة له باسم «الإيمان والشفاء» أن عددًا من المتخصصين، في معاهد كبرى أجروا أبحاثًا علمية حول أثر الإيمان في الشفاء. من هؤلاء، الطبيب النفسي، ديفيد لارسون، رئيس المعهد القومي لبحوث العناية بالصحة، ومؤلف الكتاب التعليمي «العنصر المنسي» الذي قام بتأليفه بالاشتراك مع زوجته سوزان. يناقش في كتابه هذا العلاقة بين الصحة والدين.

وتقول الأرقام التي وردت في كتابه عن طريق استطلاع «جالوب» أن ٩٥ بالمائة من الأميركيين يؤمنون بالله، وعلى الرغم من أن النصف يؤمنون بوجود النار فهناك ٨٠ بالمائة يثقون بأن الله غفور رحيم ولا يعذب بها، وهناك ٤٠ بالمائة يحضرون القداس الأسبوعي. وفي استطلاع تم توزيعه على ٢٦٩ طبيبا عام ١٩٩٦ في أحد اجتماعات الأكاديمية الأميركية لأطباء العائلات قال ٩٩ بالمائة: إنهم يعتقدون أن المعتقدات الدينية يمكن أن تساهم في الشفاء. وحينما سئلوا عن تجاربهم الشخصية أجاب ٦٦ بالمائة من الأطباء أن الله تدخّل وحسن أحوال مرضاهم، بل وبدا الحماس على المرضى بشدة وهم يبينون أن الصلاة أداة فعالة في الشفاء.

الدين هو سفينة النجاة التي على كل بشر أن يركبها لتسعده في الدنيا، وتنقذه في الآخرة، و من الدين يستقي الإنسان منهاجًا واضحًا، متكاملاً لجميع جوانب حياته، دينية كانت أم دنيوية، خاصة أم عامة.

بعد ما سبق ذكره نتساءل مرة ثانية: هل الدين «حقًا أفيون الشعوب»؟ نقول: إذا كان الدين المقصود بهذه العبارة الماركسية، كلمة عامة، تشمل جميع الأديان، فهي–دون ريب– محض باطل، أما إذا قصد بها الدين الذي **يُقصِي العلمَ، و يغيِّب العقل، ويجمِّد الفهم**، ويحجب الحرية– وهو ما حصل في الغرب في زمان خلا– فهو فعلاً أفيون، بل أسوأ من الأفيون.

الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ د.عادل بن الشدي لـ«الوعي الإسلامي»:

الخطاب الإسلامي دون المستوى المأمول.. والمنظمات الإسلامية عليها عبء كبير

حوار: صابر رمضان

ثمَّن الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ الدكتور عادل بن الشدي رعاية خادم الحرمين الشريفين ودعمه ومساندته للجهود التي يقوم بها المركز العالمي للتعريف بالرسول وسيرته وأخلاقه للناس جميعًا، والرد على الشبهات التي تثار بين فينة وأخرى، وأكد أن مبادرة خادم الحرمين الشريفين بين أتباع الديانات والثقافات جاءت لترسخ التعايش مع الآخر عن طريق الحوار والانفتاح، وأشار إلى أن هناك حاجة ماسة اليوم لتوافر الجهود إلى خطة استراتيجية لتنسيق العمل في خدمة الإسلام والمسلمين وتصحيح الصورة السلبية عن الإسلام والرسول ﷺ خصوصًا فى الغرب، وأن هذه مسؤولية شاقة تحتاج لجهد ولمواجهة نزعات التطرف والانحراف الفكرى، وأوضح بن الشدّى أن الخطاب الإسلامي الحالي في الغرب دون المستوى المأمول، ولا يراعي الأولويات والأهداف.. «الوعي الإسلامي» التقت بن الشدي وإليكم نص الحوار:

● في البداية، بصفتكم الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، نود إلقاء الضوء على المركز، وما الدور الذي يمكن أن يقوم به لخدمة الإسلام في بلاد الغرب؟

– بالنسبة للمركز، فهو أحد مراكز رابطة العالم الإسلامي المستقلة، ويهدف إلى تعريف غير المسلمين بالرسول ﷺ وهو واجب كل مسلم حسب استطاعته وإمكاناته ووفق الضوابط الشرعية والأنظمة المراعاة، ونشر سيرة المصطفى ﷺ وأخلاقه داخليًا وعربيًا وإسلاميًا وعالميًا بالوسائل المعاصرة، وكذلك الإجابة عن التساؤلات المثارة حول الرسول ﷺ، ومواجهة حملات الإساءة التي تظهر بين الفينة والأخرى تجاه الرسول ﷺ، وأخيرًا التنسيق بين الجهات التي تعمل في مجال النصرة والتعريف بالرسول ﷺ ليتكامل العمل ويؤتي ثماره المرجوة، وهذا المركز أنشئ عام ١٤٢٧هـ وتشرف بإشادة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث وصفه بأنه يحمل استراتيجية واضحة وواقعية في الدفاع عن الإسلام ورموزه وحضارته ومنهاجه المتصف بالوسطية والاعتدال، وهذا حمل القائمين والمسؤولين عن المركز مسؤولية أكبر حتى يكون في مستوى تطلعات خادم الحرمين الشريفين، ويمارس المركز أعماله من خلال ثماني لجان تهتم بالطباعة والنشر والترجمة، كما تهتم بواقع الإنترنت، وكذلك هناك لجنة متخصصة في المعارض وأخرى متخصصة في المؤتمرات والدورات والندوات والوفود ولجنة متخصصة في استخدام التقنيات المعاصرة، ولا سيما تقنيات الاتصال في التعريف بالرسول ﷺ وتتكامل أعمال هذه اللجان من خلال الأمانة العامة لتؤدي في النهاية إلى التعريف الفعال بالرسول ﷺ.

● تعاني الأمة الإسلامية ويلات كثيرة.. فما تقييمكم لواقعها اليوم؟ وما أبرز التحديات والمخاطر التي تراها تمثل عقبة أمامها؟ وما السبيل للخروج منها؟

– صحيح أن التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية كبيرة، وصحيح أن هناك جوانب قصور وخلل قد تكون مصدر قلق إيجابي، وقد تكون مصدر قلق سلبي، وما نريده هو القلق الإيجابي الذي يحفز على تصحيح الأوضاع، وعلى التوازن في النظر إلى واقع الأمة، لأن هناك– للأسف الشديد– موجة من

الإحباط والتشاؤم موجودة، وخصوصًا عند فئة كبيرة من الشباب نتيجة الواقع السيئ الذي تمر به الأمة الإسلامية، والمفترض في مثل هذه الحالات- من وجهة نظري- أن نعزز جانب التفاؤل والأمل، لأن هذه الأمة مرحومة، كما أخبر الرسول ﷺ، والخير فيها إلى قيام الساعة، ولذلك فإن هناك مبادرات إيجابية وأعمالاً نافعة وجهودًا مشكورة في خدمة الإسلام والمسلمين تبذلها هيئات وجهات ودول وأفراد، ولكن هناك حاجة ماسة اليوم إلى خطة استراتيجية لتنسيق العمل في خدمة الإسلام والمسلمين وتصحيح الصورة السلبية عن الإسلام والرسول ﷺ وخصوصًا في الغرب، وهذه مسؤولية شاقة تحتاج منا إلى جهد وإلى مواجهة نزعات الانحراف الفكري والتطرف، سواء إلى جهة الغلو والإفراط والإرهاب، أو إلى جهات الجفاء والتفريط في ثوابت الأمة وهويتها.

● كيف تنظر للخطاب الإسلامي الحالي في الغرب؟

- أقول بكل شفافية إنه دون المستوى المأمول، وليست هناك خطة استراتيجية واضحة المعالم لخطابنا الإسلامي، تراعي الأولويات والأهداف وتتكامل فيها الجهود، ويتم التنسيق من خلالها مع الفعاليات والجمعيات والهيئات المسلمة الموجودة من المواطنين المسلمين في الغرب الذين يقدرون بـ٥٠ مليونًا، وهم لا شك أقدر على توصيل رسالة الإسلام وتعاليمه وأخلاقياته من خلال القدوة الحسنة ومن خلال الالتزام بالقيم التي دعا إليها الإسلام، ولكن يحتاجون منا إلى دعم وإعانة وتأهيل، فإذا كانت هناك حاجة إلى التأهيل في دورات شرعية، فلماذا لا يكون هناك التفات لها، تأهيل في مهارات الحوار، والتواصل مع الآخرين، لماذا لا يركز عليها ولكن- كما قلت- الواقع دون المأمول بكثير، ويكفي من وجهة نظري

«العولمة» تحد عظيم وفرصة كبيرة أفادت منها الدعوة الإسلامية كثيرًا

أن وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في الدول العربية وفي الدولة الخليجية بشكل أكثر تحديدًا ليس لهم اجتماع منتظم أسوة بنظرائهم من الوزراء، فنحن نجد وزراء الاقتصاد والمالية يجتمعون بانتظام في الجامعة العربية وفي مجلس التعاون الخليجي، ونجد كذلك وزراء الصحة والتعليم والتعليم العالي، فلماذا يبقى وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية دون اجتماعات تنسيقية تكاملية لجميع الدول العربية، ولدول الخليج على سبيل المثال، وهي منظومة مكملة لجهود الجامعة العربية، وهناك تجانس كبير بين العمل الدعوي والعمل الهادف إلى خدمة الإسلام فيها.

● كيف ترى مطالبة البعض باستبدال الشريعة الإسلامية بالمواثيق العالمية لحقوق الإنسان؟

- أنا أقول إننا إذا وصلنا إلى هذا المستوى من العرض فإننا بحاجة إلى التأكيد على الثوابت، لأن أساس الإسلام هو الالتزام بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أصول شرعية، فالشريعة الإسلامية هي دين يتعبد به المسلمون لربهم، وهو أساس هويتهم وعنوان إنتمائهم لدينهم، والدعوات إلى استبدالها بغيرها من القوانين والتشريعات والمواثيق فيه خطر كبير على الأمة بشكل عام، والتجارب أثبتت أن الشريعة الإسلامية شريعة كاملة وافية لحاجات البشر، مصلحة لواقعهم، ويمكن أن تتلاءم مع العصر الذي نحن فيه في مختلف مجالاته، ولا يمنع ذلك من تطوير وسائل عرضها ومحاولة ربط الوقائع المعاصرة بأصول الشريعة الإسلامية من خلال المجالس التي تتولى العمل الجماعي المؤسسي والمجامع الفقهية، فهذا كله متاح، شرط ألا يُدعى إلى ترك أحكام الشريعة الإسلامية واستبدالها بمواثيق وقوانين، لأن هذه الدعوة ليس لها مبرر، وهي دعوة غير مقبولة.

● ماذا ينبغي على المنظمات الإسلامية لدفع المخاطر عن المسلمين؟

- المنظمات الإسلامية عليها عبء كبير أسال الله أن يعينها ويعين القائمين عليها للقيام به، إلا أن المنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية بحاجة إلى رؤية واضحة لما تريد أن تكون عليه، وخطة محددة لعملها، وتنسيق وتكامل وحشد للطاقات والموارد المالية والبشرية في سبيل تحقيق أهداف محددة، ولاشك أن التحديات التي تواجه هذه المنظمات الإسلامية تحديات حقيقية يُفترض أن يكون القائمون عليها على مستوى هذه التحديات، وأن يواجهوها بشجاعة وأن يطوروا من أدائهم وأن يقبلوا النقد، ويكون هذا حافزًا للتفوق والإبداع الهادف لخدمة الإسلام والمسلمين، مع المحافظة على الثوابت والأصول التي ميّزت أمة محمد ﷺ والتي تسعى هذه المنظمات لرعايتها والاهتمام بها.

● في الفترة الأخيرة ركز الغزو الثقافي على قضايا المرأة المسلمة في محاولة للتأثير فيها وزعزعة عقيدتها.. تُرى كيف يمكن التصدي لذلك من قبل المؤسسات والمنظمات الإسلامية؟

- يجب أن نكون واضحين بالنسبة لقضايا المرأة المسلمة، فهناك حقوق شرعية لها تحتاج إلى الإنصاف في كثير من الممارسات التي تحصل في حقها، وهي مخالفة لتعاليم الإسلام،

وهنا مكمن الخطر، لأن هناك ربطًا أحيانًا لبعض العادات والتقاليد وبعض ما يتعارف عليه الناس في مجتمعاتهم بالإسلام، وهذا خطأ، وحينما تعطى للمرأة مكانتها وحقوقها فإن هذا السلاح سوف يُسحب من يد من يدعون ظلم الإسلام للمرأة، وبالتالي تكون مساحة النقاش والحوار مع الآخرين أكثر وضوحًا وتحديدًا، فنصل إلى نتيجة أن هناك قيمًا وضوابط للتعامل بين الرجل والمرأة في الإسلام، وحدودًا لكل منهما، لأنهما، في النهاية يتلقون أوامرهم وتوجيهاتهم من الدين الإسلامي، وليس بالضرورة أن التعاليم التي يسير عليها المواطن المسلم في مفهومه لدينه تكون مطابقة ومنسجمة مع الثقافة والمفاهيم الغربية لحقوق المرأة، فهناك خصوصيات لكل مجتمع ولكل ثقافة وحضارة، وهذا أمر معروف، المهم أن تكون هناك قواعد عامة مشتركة، العدل، الاحترام، الإنصاف، الحرية المسؤولة المنضبطة... إلى غير ذلك من قيم عامة يشترك فيها الجميع، ويجب أن يكون هناك احترام لموقف كل دين وكل ثقافة وكل حضارة من القضايا المتعددة، ومن أهمها قضية المرأة، ومن المهم جدًا أن تتحدث المرأة نفسها عن همومها، وألا يوكل ذلك لغيرها، لأن الملاحظ أن عددًا كبيرًا لا يستهان به من قبل الرجال قد تبرعوا بالحديث نيابة عن المرأة، سواء في الطرف المسلم أو غير المسلم، وفي رأيي أن هناك حاجة أن يظهر صوت المرأة وأن تبرز موقفها من هذه الدعوات.

● كيف ترى الدعوة لصياغة فقه جديد يساير العصر الذي نعيشه؟ وهل نحن في حاجة لذلك؟

– الفقه الإسلامي واضح المعالم وطرائق الاستمداد منه محددة، وهناك علماء– ولله الحمد– مؤهلون للقيام بواجبهم في مجال الفقه الإسلامي– الفقه بذاته– وبحكم النوازل المتعددة، فإنه يتطور مفهوم من يفتون في هذا المجال، ومن المهم أن تكون هناك مجامع فقهية تتولى بحث المسائل المستجدة، وألا يترك هذا للاجتهادات الفردية، خصوصًا الفتاوى الفضائية التي قد يكون ضررها أكثر من نفعها في كثير من الحالات نتيجة لاستفتاء بعض غير المؤهلين أو لحاجة المفتي فيها إلى الجواب السريع غير المدقق، وندرة من يقول لا أدري أو إنني بحاجة إلى مراجعة هذه المسألة، فأقول نعم، هناك حاجة لمواكبة مستجدات العصر وطرح الحلول الفقهية الشرعية في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والطبي، وأن يكون هذا من خلال اجتهاد مؤسسي جماعي لا يتعطل.

قد يكون ضرر الفتاوى الفضائية أكثر من نفعها نتيجة لاستفتاء بعض غير المؤهلين

● كيف تنظر للإعلام الإسلامي في مواجهة الأخطار والتحديات المحدقة بالأمة الإسلامية؟ وما السبيل لتفعيله من وجهة نظركم؟

– الإعلام اليوم هو أكثر الوسائل فعالية في نقل الأفكار، وفي الغالب أنه هو الذي يشكل قناعات وأفكار أعداد لا يستهان بها من الناس، ومن هذا المنطلق فإن الاهتمام بالإعلام الموصل لرسالة الإسلام وثوابته وخدمة الأهداف التي يسعى إليها المسلمون من الأهمية بمكان، ولا يزال الجهد في هذا أقل من المطلوب، وهناك جهود مبعثرة هنا وهناك من جهات وقنوات تحاول أن تسد ثغرة في هذا الإعلام الهادف الملتزم الذي يحمل قيمة ويدافع عن رسالة وهوية، لكن مازالت هناك حاجة ماسة لتفعيل النشاطات الإعلامية، واستبشرنا كثيرًا بتوجيه الملك عبدالله بن عبدالعزيز بإطلاق قناة للقرآن الكريم وقناة للسنة النبوية من المملكة العربية السعودية، ونأمل أن يتم دعمها بالكوادر المؤهلة وبالرؤية الواضحة التي تكفل لها تقديم ما يخدم الأمة الإسلامية، وفي رأيي أن الوصول للآخرين يقتضي أن تتعدد اللغات وتتعدد القنوات، لأنه لا يصح أن نظل نخاطب أنفسنا وذواتنا دائمًا، فقضيتنا معروفة، والقناعات واضحة ومعروفة، ولكن المهم أن نخاطب الآخر بلغته التي يفهمها وبثقافته التي يعيش فيها، حتى نكون أقدر على توصيل رسالتنا وإعلامنا كما هو حاصل في كثير من وسائل الإعلام في الدول الغربية التي نجحت في تسويق– إذا صحت العبارة– الثقافة الغربية والمنتج الغربي من الإنتاج الدرامي والبرامج الحوارية، ومن خلال الاحترافية الإعلامية في تقديم الثقافة.

● هل تخشى على الإسلام في ظل العولمة؟

– بلا شك لا يمكن أن يكون هناك أمن تام في ظل العولمة التي تخترق فيها الحواجز المختلفة، وفي رأيي أن العولمة بقدر ما هي تحد، هي فرصة كبيرة وحقيقية وقد أفادت منها الدعوة الإسلامية بشكل كبير في السنوات الماضية من خلال وسائل الاتصال والمعلومات، سواء على شبكة الإنترنت أو غيرها، ومن خلال أنواع العولمة الثقافية والاقتصادية والسياسية، حيث تزول الحواجز ويصبح سكان العالم أكثر قربًا بعضهم من بعض، ويمكن أن تنتقل الأهداف والرؤى والأفكار بينهم بصورة سلسة وسريعة، وأعتقد أن هذه فرصة لعرض ما عندنا وتقديم رسالتنا ومنهجنا واستثمار هذا الجانب الإيجابي.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملًا، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني ورقم الحساب البنكي ، واسم الفرع .

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

حقوق الإنسان في ميزان الإسلام

المقولة الشهيرة التي قالها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لواليه على مصر حين اعتدى ابن الوالي على أحد أفراد الرعية وهو قبطي لكن حقوقه مصانة في الإسلام: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

نقول: إن هذه المقولة الخالدة كانت ومازالت أصداؤها تتردد في الآفاق منذ اكثر من اربعة عشر قرنًا ما يعني أن الإسلام هو السباق في صون هذه الحقوق وإعلان هذه المبادئ قبل أن تقوم الأمم المتحدة بإصدار الاعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، لقد كفل الإسلام هذه الحقوق للناس جميعًا دونما تمييز في الدين أو العرق أو الجنس لأنهم جميعًا خلقوا من نفس واحدة ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ (النساء: ١) ولاشك أن الحرية هي العمود الفقري لهذه الحقوق ومنها حق الاعتقاد والتفكير والمساواة والملكية والعدل وغيرها، وقد نصت على ذلك نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ونظرًا للظلم الواقع على الانسان المعاصر أيًا كان هذا الانسان مسلمًا أو غير مسلم وما تعانيه البشرية من تعد صريح وفاضح على حقوق الانسان وامتهان كرامته واستغلاله وما نتج عن ذلك من حروب وكوارث وتفاوت طبيعي وإزهاق ارواح الملايين من البشر فقد ارتأينا طرح هذه القضية على بساط البحث لنبين من خلاله عظمة التشريع الإسلامي في صون هذه الحقوق وحماية الذات البشرية من الارتكاس في العبودية واخلاص العبودية لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له وهو المستعان وعليه التكلان.

التحرير

النبي محمد ﷺ وحقوق الإنسان

السيد أحمد المخزنجي

غني عن البيان أن الإسلام يومٍ أن جاء إلى الناس ظهر في مجتمع تعددت فيه جنسيات الأرقاء، زنجا وروما وفرسًا وأحباشا... إلخ، وأهم من ذلك تعددت فيه المصادر والروافد التي تمد «نهر الرقيق» بالمزيد والمزيد من الأرقاء، والتي تجعل هذا النهر دائم الفيضان.. فلما جاء الإسلام اتخذ من هذا «النظام الاستعبادي» الموقف المغاير والهادف إلى إلغاء الرق، ولكن بالتدريج.

حث الإسلام المسلمين على عتق الرقاب، بأن جعله قُربة يتقربون بها إلى الله، فمن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من أعضاء مُعتقيه من عذاب النار. وجعل كفارة بعض الذنوب التي يرتكبها العبد عتق رقبة.

ويتصل بمبدأ كرامة الإنسان، بوصفه إنسانًا، مبدأ آخر هو أن الناس جميعًا أمة واحدة: ربهم واحد، وأصلهم واحد، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. (النساء:١). وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

مما سبق يمكن القول أن مفتاح موضوع حقوق الإنسان في الإسلام هو مبدأ كرامة الإنسانية الذي قررته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالله عز وجل كرم الإنسان بوصفه إنسانًا بصرف النظر عن عنصره أو لونه أو ديانته!!

ومنهج القرآن صريح في هذا المعنى، فهو لا يتحدث عن العرب أو المسلمين أو الذين آمنوا، وإنما يتحدث عن الإنسان بوصفه (ابن آدم). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

وبنظرة فاحصة في مصادر الإسلام الأساسية- القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة- نستطيع أن نتبين أن الإسلام قد اعترف- منذ البداية- بحق الإنسان في المساواة، وحقه في الحرية، بصورة صريحة وواضحة تمامًا. واعترافه أيضًا بالحقوق الأخرى المتفرعة عن هذين الحقين. ولم يكتف الإسلام بمجرد الاعتراف للإنسان بهذه الحقوق، بل سعى إلى تأصيلها، وبيان مرتكزاتها بصورة مقنعة للعقول، بهدف ترسيخ هذه المعاني في الأذهان، وتعميقها في النفوس.

ومن العذابات التي عانى منها الإنسان في رحلته التاريخية- ولا يزال- تلك الصور من التمييز اللوني، فهناك في العالم صور لتعالي الرجل الأبيض، وتصنيف البشر إلى سادة

باحث في الأمانة العامة للأوقاف - الكويت

ومنبوذين، إما بسبب لونهم أو عنصرهم، وجعل بعض الحيوانات، كالقطط والكلاب، أكثر كرامة وأوفى حقوقًا من الإنسان الملون في «حضارة الرجل الأبيض»!! «وليست نظريات التمييز العرقي والقبلي والقومي التعصبي والطائفي، بأقل هدرًا وإلغاءً لحقوق الإنسان وكرامته من التمييز اللوني والحكم الطبقي والإقطاعي والثيوقراطي وتحكم رجال الدين»! (١).

فاقتضت إرادة الله الرحيم بعباده أن ينقذهم من سقطتهم، وأن يجعل منهم خير أمة أخرجت للناس، فأرسل محمدًا ﷺ رحمة للعاملين، وهاديًا للناس أجمعين، أرسله بخاتمة الرسالات الربانية لتكون دين الإنسانية عامة، وعقيدة البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

«وكان الرسول ﷺ لا يحكم في العاصمة، ولا يرسم سياسة المال، ولكنه كان يحكم الروابط بين قلوب المسلمين في الريف والمدن البعيدة، فتقوم بينها محبة الإسلام وتكافل الإسلام وتراحم الإسلام، في الوقت الذي كانت البيئة الزراعية المماثلة في أوروبا تقوم على علاقة السادة والعبيد.. سادة لهم الأمر كله والملك كله، وعبيد ليس لهم من الأمر شيء سوى العبودية المطلقة والانعدام الذليل»(٢).

وبالمقابل نجد أن الإسلام يقدم منظورًا واقعيًا لحقوق الإنسان في تشريعاته، منسجمًا مع الفطرة الإنسانية وثابتًا في التصور، حيث حدد الحقوق بأوامره ونواهيه الشرعية، ورسم الكيفية والضمانات التي يتم بها تأكيد

مبدأ الشورى أعظم المبادئ دستورية وديمقراطية حيث تتأكد في ظله حقوق الإنسان

تلك الحقوق وإبرازها، وبيَّن الأداة التي يناط بها إقامتها.

وهذا ما أرساه الرسول الكريم في مبدأ الشورى (كحق من حقوق الإنسان في الإسلام) والذي يتبلور في إطاره الحل الأمثل والعلاج الأنجح لكل المشاكل صغيرها وكبيرها. وغني عن القول أن يوصف- مبدأ الشورى- بأنه أعظم المبادئ دستورية و«ديموقراطية» تأكدت في ظله حقوق الإنسان، وكشف للعالم المتمدين عن أروع نظام سياسي عرفته البشرية في ظل هذا المجتمع الإسلامي الذي تحكمه وحدة القيادة ويسوده العدل القضائي في دولة الإسلام العالمية(٣).

ففي هذا المبدأ بين الرسول الكريم، جملة من المسؤوليات التي تقع على عاتق الحكام والمحكومين، فوضع أساسًا قيِّمًا لمسؤولية رجال الحكم أمام الأمة، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاَّهُ أمركمْ» (رواه مسلم وأحمد عن أبي هريرة).

وهذا كله بخلاف ما تقرر في الفكر الغربي الرأسمالي الذي ربط مصدر الحقوق وتشريعاتها بمبدأ الحرية، وترك الأمر لكل قادر لنيل حقوقه بناء على ما يراه من مصلحة. ثم قيدها بالقيود الخيالية، عند الاضطرار لذلك. كالتأكيد على أن الحقوق والحرية الفردية تنتهي حين تبدأ حقوق الغير، أو التأكيد على عدم تدخل الدولة إلا عند انتهاك الحريات، وجعل مسؤوليتها الرئيسية: حماية الحريات دون رعاية الشؤون. مما يجعل الحقوق في الغالب أمرًا نظريًا، لا أثر له في الواقع، نظرًا لعدم امكانية الاتفاق حول «المصلحة» ولوجود الأثرة والنزعة الأنانية لدى الكثيرين، مما يؤدي في النهاية إلى سيطرة القوي على الضعيف، وسطوة القادرين، ووضع التشريعات من قبل الرأسماليين لخدمة مصالح طبقتهم وحدها دون مراعاة سائر حقوق أفراد المجتمع.

الهوامش

١- انظر: «تقديم» عمر عبيد حسنة لكتاب: النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية، دراسة مقارنة، للدكتورين أحمد المفتي وسامي الوكيل، ع (٢٥) ط/١، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٦-١٨.

٢- قبسات من الرسول، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/٧، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ١٠.

٣- العدل والتسامح الإسلامي، تأليف السيد أحمد المخزنجي، دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٤.

سبق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بحوالي ١٣٥٠سنة

حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام

محمد عويس

جاء الإعلان السماوي الكوكبي الدولي لحقوق الانسان- أيا كانت هوية هذا الإنسان أو لونه- للبشرية كافة، على لسان رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة في خطبة الوداع أي قبل الإعلان العالمي لحقوق الانسان بحوالي ١٣٥٠سنة، حيث قال فيها رسول الله ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه.. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله ...» (البخاري / ٢١٣٧). من هذا المنطلق يتبين لنا أن الإسلام بخصائصه الكريمة ووسائله النظيفة، وغاياته النبيلة، يهدف أولاً إلى تكريم الإنسان، لأنه حجر الزاوية في بناء أي حضارة، وأي تنمية، وأي تقدم وأي نهضة صناعية كانت أو زراعية أو غير ذلك. لهذا كان لابد لهذا الانسان أن يعيش تحت قوانين إلهية تحميه وتحفظه وتدفع عنه غوائل الحرب والامتهان والاستذلال ليعيش حُرا كريمًا مُنتجًا.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب (حقوق الانسان الخاصة في الاسلام- الشيخ منصور الرفاعي محمد عبيد، والدكتور اسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي- مكتبة الدار العربية للكتاب) ليوضح الحقوق الخاصة التي وضعها الاسلام لمعالجة ضعف بعض جوانب الانسانية من خلال منح الحقوق الخاصة لبعض الفئات التي تحتاج الى رعاية واهتمام خاص، حيث عالج مختلف جوانب حقوق الانسان الخاصة في وقت السلم وفي وقت الحرب، موضحا التكامل المنهجي الاسلامي في معالجة مختلف القضايا الانسانية عامة، وقضايا ومشاكل حقوق الانسان خاصة، في كل وقت وحين، من خلال الحديث عن الحقوق الانسانية الخاصة، ومنها: حقوق المرأة والطفل والجار والمُعاق والمُحارب والأسير، وحق الأمن، وحق البيئة النظيفة وغيرها من الحقوق الخاصة سواء لفئة معينة، أو خاصة بمجال انساني مُحدد في حالات محددة.

كما أوضح المؤلفان المقاصد الاسلامية

الإسلام وضع حقوقًا خاصة لمعالجة ضعف بعض جوانب الإنسانية

الانسانية من وراء كل حق من الحقوق المتكاملة الخاصة التي شرعها الله للانسانية جمعاء من خلال الشريعة الاسلامية العالمية التي تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان لكي يحيا الانسان حُرا كريمًا ينعمُ بحقوقه ويعرف واجباته، آمنًا سعيدًا قرير العين في وقت السلم وفي وقت الحرب أيضًا، حيث أشارا في تناولهما لحقوق المرأة في الاسلام ان الشريعة الاسلامية عندما أعلت من وضع المرأة كان ذلك لأنها من دعائم تكوين الأسرة، وكان الاهتمام العالمي لحقوق الانسان برعاية حقوق الطفل في صيغة عامة وفي عبارة مقتضبة، حيث نص في الفقرة الثانية من المادة (٢٥) على حق الطفولة في المساعدة والرعاية الخاصة، وعلى تمتع كل الأطفال بقدر متساو من الحماية الاجتماعية، وهو نفس الاهتمام الذي أعطاه الاسلام للطفولة أيضًا، إلا أن الاسلام قد تميز بإعطاء عناية خاصة لليتامى، حيث حرص على التوصية بالاهتمام بهم ورعايتهم وحفظ حقوقهم وعدم الاعتداء على أموالهم والاحسان اليهم. أما حقوق المُعاقين والتي مُنحت لهم من جانب المواثيق الدولية فإنها لا ترقى الى الحماية الشاملة والحقوق الواسعة التي تضمنها المنهج الاسلامي المتكامل، حيث تُطرح التساؤلات التالية حول عدم اهتمام القوانين الوضعية الانسانية الدولية بباقي فئات المعاقين غير حالات التخلف العقلي.

ويشير الكتاب الى ان هيكل الحقوق الانسانية في الاسلام ليس من وضع الانسان، وانما يجدها الانسان في كتاب الله فيتعرف عليها، ليس الانسان بمُوجدها، بل بينها لنا رب العزة، مُسيرُ الكون، العليم بخلقه، فمن آمن بالله عرف هذه الحقوق الربانية التي

صحافي مصري

أكرم الله بها الانسان، فيعرف فضل الله عليه ورعايته له، حيث يتبين للشخص أن كل ما أمرنا به الله يقع في نطاق الحقوق الانسانية الواجبة.. ولم لا؟ فلقد أكرم الله الانسان أحسن تكريم، ومنحه من الحقوق ما يصون كرامته، ويحفظ له هذه الحقوق التي أنعم الله بها عليه، فلقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد كرمنا بني ءادم وحملناهم في البر والبحر﴾ (الإسراء: ٧٠) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾ (التين: ٤)، ففي هاتين الآيتين وغيرهما نجد ان القرآن الكريم يضع الانسان في أعلم المراتب بين خلقه، ولم يربط تفضيل الانسان بالاسلام أو بشريعة من شرائعه بل قرره لآدم وبنيه، ولذا يوجب الاسلام معاملة الانسان لأخيه الانسان بطريقة تتفق مع المساواة والحرية والتكريم بالعلم والتعظيم بين خلق الله.. فالحقوق في الاسلام لا تفريق فيها بين أولوية احداها على سواها، فالحق حق، ولا تنفرد الحقوق الانسانية في مرجع واحد أو باب مُستقل في الفقه الاسلامي بمعالجة مستقلة بهذا المعنى، وانما تُعالج في كل أبواب الفقه لأنها لازمة له مُكملة لحياته، فتضمن الشريعة الاسلامية كافة الحقوق للانسان من خلال التشريع والفقه الاسلامي مثل: حق الحياة، وطلب العلم، وسلامة الجسد، والحرية، والمساواة في المعاملة والملكية الخاصة، وحرية الضمير، والزواج، وحق اللجوء، والعدالة، وغيرها من آلاف الحقوق الواجبة النفاذ لأنها جزء من الدين.

ويؤكد الكتاب على ان حقوق الانسان في الاسلام عديدة متنوعة فهي مجموعة من الحقوق المتكاملة التي تؤدي الى سعادة الانسان ورُقيه في الدنيا وكرامة منزلته في الآخرة، ولهذا أوردت المعاجم العربية مجموعة من الحقوق الانسانية التي وردت في القرآن الكريم، وفي السُنة النبوية ومنها: حقوق الانسانية كافة، حقوق ما في الأرحام، حقوق المولود، حقوق اليتيم، حقوق السائل والمحروم، حقوق المساكين، كرامة الانسان، الحمل، الرضاعة، الأبناء، الشيخوخة، حقوق ابن السبيل، حقوق ذي القربى، الأسير، الوالدين، الأرحام، بناء الاسرة، المرأة، حقوق الزوج على الزوجة، والزوجة على الزوج، المودة والمُعاشرة الزوجية، حقوق الميت، الجار، العدالة، التبني، اللجوء، استخدام الإنسان للطبيعة، حق العمل والانتاج، الهجرة والاقامة، والحياة والدية في النفس، حرية الأقليات، الحرية الدينية، الشورى، المساواة، الأمن والأمان، التملك، التسامح، الأموال، والشارع والطريق، والمعارضة والأحزاب، التعليم.. وغير ذلك من الحقوق التي شرعها الاسلام.

فإذا كان الاسلام قد كفل الحقوق العامة لمعتنقيه وأمر بتطبيقها على المواطنين جميعًا دون النظر إلى عقيدتهم وأجناسهم وأنسابهم، فالمواطنون جميعًا في الحقوق سواء لأنهم جميعًا يتمتعون بالحرية والعدالة والمساواة والديموقراطية والأمن والأخوة والتكافل والتعاضد، وغير ذلك من الحقوق التي هي عامة من حيث الشكل والمضمون، فهي تُطبق على الصغير والكبير، وعلى الرجل والمرأة، وعلى السيد والمسود، وعلى الحاكم والعامة والخاصة، وعلى المسلم وغير المسلم.. وهي حقوق أعلى الاسلام من قدر الانسان بها، فكرمه أعظم تكريم وفضله على كثير ممن خُلق تفضيلا.

أيضًا هناك جملة من حقوق الانسانية التي اختص الله بها فئة معينة من فئات الانسانية، أو مجموعة معينة لها نفس الظروف، فأعطاها الاسلام حقوقًا متميزة ومنحها حقوقًا خاصة لمكانتها وأهميتها في المجتمع الانساني، لأن الاسلام تشريع سماوي دقيق لا يعرف الثغرات، ولا يمالئ النفوس الضعيفة التي تحاول السيطرة على المقدرات الانسانية، ولذلك قام الاسلام بحماية مجموعة من البشر الضعفاء، فأعطاهم حقوقًا خاصة تمنحهم سياجًا آمنا ضد طمع الطامعين، وتعطيهم أمانًا اضافيا ضد الظلم والفساد، وتغدق عليهم بحقوق اضافية تحميهم من السفهاء الذين يحاربون الانسانية في كل وقت وحين.

ولم يُعط الاسلام هذه الحقوق لهؤلاء الخاصة بالاسم لأنه يعرفهم، ولكن بالصفة يمنحهم هذه الحقوق، لأن حقوقهم مهضومة على مر الزمان وفي كل مكان، فكأن الاسلام يمنح هذه الفئة من الانسانية حقوقًا زائدة حتى لا يصيروا ممتهنين كما عاملتهم البشرية في تاريخها الطويل.

من هنا تبرز بجلاء عظمة الاسلام كشريعة ومنهج حياة يصلح لكل زمان ومكان، ولم لا؟ فلقد جاء الرسول الأمين محمد ﷺ رحمة للعالمين جميعًا منذ بعثته وحتى قيام الساعة، والرحمة المهداة للبشرية لابد وأن تأتي بمنهج رباني يحمي الضعفاء ويسوي بالفعل بين الجميع، ويمنح الحريات والحقوق بعدل شامل وكامل لا يستطيع منهج بشري آخر أن يمنحه.

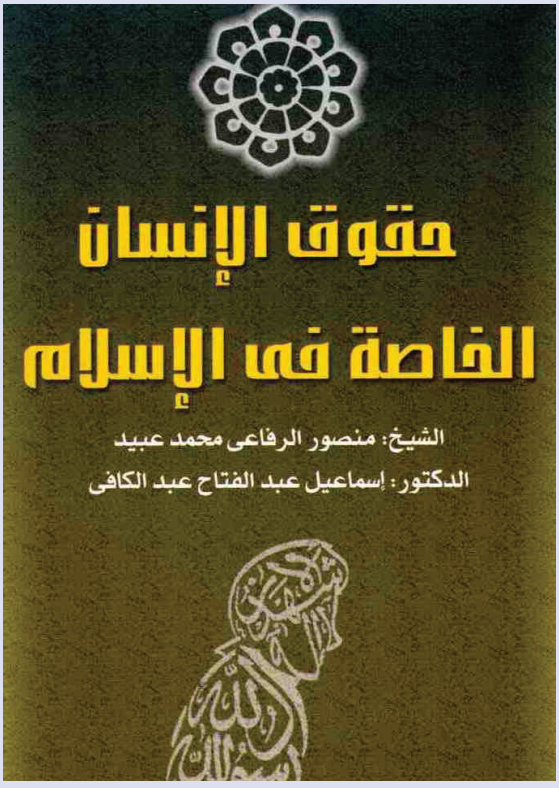

الإعلام وحقوق الإنسان

د. عبدالله بدران

ينطلق الإسلام من عقيدة راسخة، منزلة من الباري سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم ﷺ بواسطة وحيه الأمين، وهي واضحة في التشريع السماوي الخالد، ومفصلة في سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

والإسلام ليس مجرد عقيدة إيمانية بل دعوة إنسانية تتسم بطابع الشمول والعمق، وهو رسالة أخلاقية ودعوة اجتماعية وحركة سياسية تهدف إلى تحرير الإنسان، والانتقال بدنياه من دنيا التعصب والعصبية إلى دنيا المحبة والسلام، ومن خواء الروح إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه واليوم الآخر وقضاء الله وقدره.

المسؤولية الاجتماعية التي تطرحها الأدبيات في شتى مجالات الحياة مفهوم يحتمل تأويلات كثيرة، تتباين من مجتمع إلى آخر، في حين أن المسؤولية في الإسلام واضحة بينة، لا تحتمل لبسًا ولا غموضًا.

ومن المصطلحات التي يكثر الحديث عنها دائما «حقوق الإنسان»، باعتباره مصطلحا متداولا في كل الأمم وتناولته كل الأديان، ونصت عليه كل التشريعات الوضعية، لكن ثمة اختلافا واضحا في فهمه ومضمونه وتطبيقه بين الأمم والمجتمعات، والفلاسفة والمفكرين، والتربويين والقانونيين. وهذا الاختلاف يعود إلى نظرة كل من هؤلاء إلى تلك الحقوق، والمرجعية التي ينطلق منها، والأسس التي يستند إليها، والتأثيرات المختلفة التي تؤدي دورها في رؤية تلك الحقوق وتفسيرها.

ومما يدعو إلى الأسف الشديد ما نشاهده في المجتمعات الإسلامية التي ترسخت لديها المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان؛ بسبب غياب المفاهيم الإسلامية

لا يجوز لوسائل الإعلام أن تحول ما أنزل الباري سبحانه في كتابه من أحكام إلى موضوعات للجدل والنقاش

المنظمة للحقوق الشرعية للأفراد والجماعات، مما أدى إلى بناء تصور لحقوق الإنسان عند المسلمين مستمد من التجربة الغربية لمعالجة الواقع، ومحاولة الارتقاء بحقوق الأفراد والجماعات.

ومن المعروف بداهة أن الإسلام ترك باب الاجتهاد في الدين مشرعًا أمام ما يحدث من تطورات، وما تقتضيه مصلحة الأمة، إلا ما ورد فيه نص قطعي ثابت. وهذا الاجتهاد يتيح لعلماء الأمة الإسلامية إصدار الفتاوى المختلفة التي تضمن مصلحة الأمة وتدرأ المفاسد عنها.

وحقوق الإنسان في الإسلام واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار، وقد نصت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بوضوح لا لبس فيه، وطبقها السلف الصالح نموذجا حيًا خالدًا سيبقى في سجل التاريخ، ولعل الإسلام هو أكثر الديانات التي نصت على هذه الحقوق، ونادت بتطبيقها، ودعت إلى تنفيذها، وكرمت الإنسان أيما تكريم.

وعلى التوازي أيضا نرى أن وسائل الإعلام في الإسلام مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى قبل أن تكون مسؤولة أمام المجتمع والقائمين عليها، وهي مسؤولية نابعة من الإيمان الحق، الذي غمر القلوب، وسكن الأفئدة، وتمثل عملاً صالحًا لخير المجتمع، ودعوة إلى الحق بالحسنى، والتزامًا بأخلاق الإسلام وآدابه.

والفلسفة الإسلامية في الإعلام- كما يقول أحد الباحثين «فلسفة راسخة لا تتعدل أو تتبدل بحسب الظروف والمتغيرات التي تفرض نفسها على الساحة المحلية أو الدولية. كما هي الحال

صحافي في وكالة الأنباء الكويتية

في الفلسفة الليبرالية أو نظرية المسؤولية الاجتماعية لأنها تتميز بالثبات والمرونة في نفس الوقت، ثابتة ثبات العقيدة، ومتحركة مع حركة الحياة، وأنه لو التزمت الأجهزة الإعلامية في العالم الإسلامي بالثوابت والأصول، وانطلقت منها إلى آفاق الحياة الرحبة، تعمل وتجتهد وتبدع وتضيف، لكان للعالم الإسلامي شأن آخر، ولما أصبح حال الأمة الإسلامية على هذا النحو، لاسيما أن غالبية الأمة الإسلامية مرتبطة بعقيدتها، وأن الدين ما زال يوجه فكر أبنائها، ويبني كيانهم».

ومن أهم معالم تلك الحقوق في الإعلام الإسلامي أن هذا الدين الحنيف يبيح لجميع أفراده تملك وسائل الإعلام وفق ضوابط شرعية تكفل تحقيق هدي الإسلام في الحياة، كما يتيح حرية التعبير والرأي لأفراده كافة، مع الالتزام بالإطار الشرعي لهذه الحرية الذي يشعر الإنسان حقًا بأن عبوديته لله عز وجل حررته من استعباد النفس، والانقياد وراء شهواتها، والتحرر من ذل غرائزها، وأنه بهذه الحرية يتمتع بالخير والحلال من

الإنسان هو المستهدف في الرسالة الإعلامية في الإسلام وتتوجه إليه في مضمونها وتأثيرها

رزق الدنيا وطيباتها، ويتجنب الحرمات والمزالق التي تؤدي به إلى سوء العاقبة في الدارين.

ووفقاً لشرع الله سبحانه لا يجوز لوسائل الإعلام أن تحول ما أنزل الباري سبحانه في كتابه من أحكام إلى موضوعات للجدل والنقاش، بل يجب طاعتها، وعدم الخروج عنها، فليس من وظيفة وسائل الإعلام أن تطرح للنقاش إمكان إلغاء تشريعات سنها المولى عز وجل بحجة تغير الزمان وتطور الحياة، أو تدعو إلى سن قوانين جنائية أو شخصية أو اقتصادية لا تتفق مع ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه.

وهذه النظرة الإعلامية الإسلامية لحقوق الإنسان سبقت بقرون ما دعت إليه دول العالم والمنظمات الدولية بهذا الصدد، حين نصت المادة الـ ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأي وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية» .

إن ما يميز النظام الإعلامي في الإسلام أنه نظام متكامل ماديًا وروحيًا، في حين أن القوانين التي يضعها البشر غير قادرة على إقرار العدل بين الناس، لأنها نتيجة تفكير عقول بشرية، والإنسان في تفكيره يخطئ ويصيب، وقد يمارس الظلم، ويتجاوز الحقيقة.

والباحث عن حقوق الإنسان التي دعا إليها الدين الإسلامي من الجانب الإعلامي يجدها متضمنة في الإطار العام لخصائص الإعلام في الإسلام، تلك الخصائص المستمدة أصلا من الخصائص العامة للإسلام، لكنها تتميز عنها بخصوصية معينة تتلاءم مع اقتصار الإعلام الإسلامي على العمل ضمن طبيعة خاصة به، وبيئة تتعلق بأهدافه ووظائفه.

وتبرز هذه الخصائص مواطن القوة في الإعلام الإسلامي، وتميزه عن غيره من أنواع الإعلام، التي تحاول تلوينه وتوجيهه وصبغه وفقًا لمنطلقاتها ومبادئها، التي لا تخلو من انحراف عن تعاليم الإسلام، وتشويه له، ودس على أفكاره ومبادئه.

ومن أهم خصائص الإعلام الإسلامي تلك المرتبطة بضرورة إحقاق الحقوق كافة، وإعطاء كل ذي حق حقه مهما كانت منزلته ولونه وجنسه، والنزوع إلى الحرية الشخصية للإنسان باعتبارها قيمة عليا وسامية ونبيلة، مع المحافظة في الوقت نفسه على المسؤولية التي دعا إليها الإسلام وحث على تطبيقها التطبيق السليم.

ومن أهم خصائص الإعلام الإسلامي فيما يتعلق بحقوق الإنسان أنه:

١ - إعلام قاعدته الحرية وقمته المسؤولية.

٢ - إعلام حرمات وحقوق.

٣ - إعلام مستقل رافض للتبعية.

٤- إعلام قائم على الإقناع لا الإكراه.

إن هذه الخصائص الأربع توضح المكانة التي تحتلها حقوق الإنسان في الإسلام، فالإنسان هو المستهدف من الرسالة الإعلامية في الإسلام، وهو الذي تتوجه إليه في مضمونها ومحتواها وتأثيراتها، لتتحقق له الحرية التي فطر عليها، والتي هي مطلب أساسي لا غنى عنه، كما أن الإعلام الإسلامي قائم على الإقناع الكامل والحوار البناء دون ضغط أو إكراه أو حمل على اعتقاد ما لا يقتنع به أو يرضاه لنفسه شرعة ومنهاجا.

رؤية إسلامية لحقوق الإنسان الأساسية

إبراهيم نويري

في ظلّ تدافع الأنساق الثقافية والمنازع الحضارية والمرجعيات المذهبية التي باتت تميّز الحياة في عالمنا المعاصر، أخذت قضية حقوق الإنسان تُدفع دفعًا إلى واجهات الاستقطاب، حيث أخذ كل أصحاب انتماء لدائرة من تلك الدوائر المتدافعة يدّعون بأن الاتجاه الموالين لمواريثه وبصمته هو منشئ ومبدع وباعث حقوق الإنسان.. فذهب الفرنسيون إلى أن ثورتهم (١٧٨٩م) التي نصت جمعيتها التأسيسية في ٢٦ أغسطس (آب) من العام ذاته على وثيقة الإعلان التاريخي لحقوق الإنسان، هي اللبنة الأولى في بلورة قضايا الإنسان واهتماماته الرئيسة، وذهب الأميركيون إلى أنهم سبقوا الثورة الفرنسية إلى إعلان تلك المبادئ والقيم لأن وثيقة إعلان الاستقلال (١٧٧٦م) قد أثبتت في ديباجة مقدمتها الخطوطَ العريضة والجوهرية لقضايا حقوق الإنسان، كما زعم الإنجليز أن الوثيقة العظمى التي أرغم النبلاءُ وبعضُ ذوي النفوذ في المجتمع الملك «جون» على إقرارها سنة (١٢١٥م) هي أول ما أرسى معالم تلك الحقوق والقيم الإنسانية باعتبارها أسبق في الظهور من الثورة الفرنسية ومن وثيقة إعلان الاستقلال الأميركي.

بدا من هذه التواريخ والمنعطفات التاريخية التي روّج لها مفكرون وكتّاب وفلاسفة وساسة وغيرهم أن الحضارة الغربية هي صاحبة الأيادي البيضاء على الإنسان وكفالة حقوقه وصون كرامته وموجبات سعادته في الحياة، ولاشكّ أن كثيرا من هؤلاء المروّجين لتلك المزاعم والادعاءات على علم بالكثير من حقائق التاريخ المجانفة لمقرراتهم، النافية لما ذهبوا إليه- هذا إذا كان حديثهم وحُكمهم على المستوى الإنساني والتاريخي العام- إلا أنهم أذعنوا لرغبة إخفاء الحقيقة استجابة لحاجيات نفسية وضغوط تاريخية ولمنازع الهيمنة التي تُمليها قَهْرِيةُ مركزية الحضارة الغربية.. ومن هذا المنطلق، ولهذا السبب بات لزامًا على مفكري الإسلام ودعاته التصدي لمحاولات تزييف التاريخ وبعثرة الحقائق التي وعتها بحياد وأمانة الذاكرة الإنسانية، إذْ من الواجب إظهار أن الإسلام هو المنهج الخالد الذي أسس لتكريم الإنسان وعزته في الأرض واستخلافه فيها عن

المسلم وغير المسلم سواء في حرمة الدم واستحقاق الحياة

الله، ومكافأته في المعاد على حسن القيام بمقتضيات هذا الاستخلاف، وهذا الفهم والمعتقد هو المهاد الأول للشعور الصحيح بمعنى الحياة وقيمة الحرية وقدسية رسالة الإنسان والحكمة من الوجود في هذا الكون.

إن الإنسان-كما ثبت في القرآن- هو المخلوق الذي ميزه الله تعالى عن كلّ مخلوقاته، وإنه بذلك استحق صفات التكريم والتبجيل والتفرد، ثم إن ما حصل للإنسانية في تاريخها الطويل من ويلات ومصائب تناقض صفة التكريم الذي فضل الله به بني آدم عن غيرهم، يدفع العقلاء إلى الاعتبار والتأمل في طبيعة الخطاب الذي يقدمه الإسلام عن الإنسان ومكانته الكونية، ذلك أن المظالم التي وقعت على الناس في الأعصار الطويلة الماضية- وفق مقررات القرآن- لا تنفي الطبيعة الأصلية والمؤهلات المركوزة في الفطرة الإنسانية التي أهّلته لفضيلة الاستخلاف والتكريم وخصوصية التكليف، ومن ثمة فإن سمات الخطاب الذي يقدّمه الإسلام لمكانة الإنسان وحقوقه هي الضمانة الصحيحة الواقعية لصون وحماية الحقوق الإنسانية ورعاية ثمرات نضال الإنسان في كفاحه الطويل مع قاهريه وسالبي حريته.

حقوق الإنسان الأساسية في المنهج الإسلامي

إن المنهج الإسلامي يعتبر الإنسانَ جوهرة الوجود والكائن الذي خلقه الله تعالى مميزًا عن جميع مخلوقاته، نظرًا للأمانة التي تحمّلها وللاستعدادات والمؤهلات الفطرية المركوزة في إهابه، وهي ميزات تمكّنه من الانسجام مع

أكاديمي جزائري

مقتضيات الرسالة وتبعات التكليف، وفي نصوص ومفردات هذا المنهج تفاصيل نظرية مسهبة وأحكام تطبيقية ضافية لحقوق الإنسان والإنسانية.. غير أن قاعدة تلك الحقوق، أو الحقوق الأساسية تتمثل فيما يأتي:

١- **حق الحياة:** الإسلام هو المنهج الأول الذي أضفى صفة القداسة على الحياة، لأن هذه الحياة سرٌّ إلهيٌّ، وهي وسيلةُ اختبار الخلق بالتكليف، عبر إرادة الاختيار والتمييز والأهلية، فقد وهب الله نعمة الحياة للإنسان، وجعل حياطتها كلًّا وجزءًا، وصيانتها مادةً ومعنىً، في طليعة الأهداف التي أبرزها الدينُ وتحدّث فيها الرسل مبشرين ومنذرين.. ولا عجب فإن إشقاء حيوان وإزهاق روحه ظلمًا يعدّه اللهُ العدلُ الرحيم جريمةً يُدخل فيها الإنسان النار، فكيف بتعذيب إنسان وقتله؟ قال رسول الله- ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرّة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (رواه البخاري).. فانظر كيف أن إراحة حيوان وإنقاذ حياته باب إلى رضوان الله.. وكيف أن إتعاب حيوان وإهدار حياته باب إلى سخطه.. فإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى قيمة الحياة في المخلوقات الدنيا، فما تكون عنايته وجائزته لمن يدعم حق الحياة بين الناس؟ وما تكون نقمته وعقوبته لمن يستهين بهذا الحق؟ (١).

إن الإسلام وهو يضع المواثيق القسط ويشرع الأحكام العادلة ويصف الحق في الحياة بالقدسية، لم يفرق في ذلك بين إنسان وإنسان بغضّ النظر عن المعتقدات التي يعتقدها الناس والمذاهب التي يدينون بها «فالمسلم وغير المسلم سواءٌ في حرمة الدم واستحقاق الحياة.. والاعتداء على المسالمين من أهل الكتاب هو في نُكره وفُحشه كالاعتداء على المسلمين وله سوء الجزاء في الدنيا والآخرة.. عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة» (رواه البخاري).. إن الحياة الكاملة مصونة، والاعتداء عليها بالقتل جريمة، وكذلك الاعتداء على جزء منها وتعريضه للتلف أو التشويه، فذلك كله في نظر الإسلام عدوان أساس العقوبة فيه القصاص، وإنما شُرع القصاص تأمينا للسلامة المطلقة بين الناس وهذا معنى قوله تعالى ﴿في القصاص حياةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩)، فأنواع القصاص التي أقامها الشارع هي كلها ضوابط وحصانات لإشاعة حق الحياة في أسمى صورها بين الناس أجمعين، ومن هنا حرّم الإسلام كلّ عمل ينتقص من هذا الحق، سواء كان هذا العمل تخويفًا أو إهانة أو ضربا أو تطاولا أو طعنًا في العرض، فإن حياة الإنسان المادية والأدبية موضع الرعاية والاحترام» (٢).

فمن المبادئ الأساسية في شريعة الإسلام «أن الجائع يستحق أن ينال الخبز بأي حال من الأحوال، والعاري يستحق أن ينال اللباس مهما كان الأمر، والجريح والمريض يستحقان أن يوفّر لهما الدواء والعلاج بأية حال، بغضّ النظر عن كون الجائع والعاري والجريح والمريض صديقا أو عدوا، وهذا المبدأ يُعتبر مبدأ عامًا شاملًا يلتزم به الفرد والحكومة، ويعامل العدو كذلك نفس المعاملة اتباعا لهذا المبدأ، فإذا جاءنا فردٌ من قوم العدو، يكون من الواجب علينا ألا نتركه جائعًا أو عاريًا، أو دون أن نقدم له العلاج والدواء إذا كان مريضًا» (٣).

٢- **حق حرية التفكير والاعتقاد:** إن الإسلام لم يذهب فحسب إلى إقرار حرية الفكر والرأي والمعتقد وإنما اعتبر ذلك فريضةً شرعيةً وواجبًا إسلاميًا، فلم يجعل أيُّ دين قضية الإيمان ذاتها قضية عقلية، مستندها الأول والمدخل إليها هو إعمال الرأي والنظر السديد والتفكير الحر، كما فعل الإسلام في منهجه، بل يذهب هذا الدين إلى أن الغباء أو تعطيل الفكر قد يكون طريقا إلى النار وعذاب الآخرة، لأنه زيغٌ عن الفطرة وانحراف عن إدراك الحكمة من الوجود فإذا «منح الله الإنسان عقلا فلكي يفكر به ويهتدي بنوره، فتلك وظيفة العقل وثمرته المرجوة، والله جل شأنه يكره أن يهدر إنسان هذه المنحة فيحيا أحمق وهو يستطيع الرشد، بليدًا وهو يستطيع النظر، وإذا ذرأ اللهُ الناسَ على فطرة سليمة ينبعثون منها كما ينبعث السهم إلى غايته، فهو يأبى عليهم عوج الطبع وزيغ الخطو وضلال الوجهة.. إن المهندس الذي يبتكر آلة لتدور بمحركات داخلية لا يَعدُّ هذه الآلةَ صحيحةً ولا ناجحةً إلا إذا دارت وفق ما

قدّر لها، وأدت الغرض المقصود منها، أما إذا أديرت باليد لعطل أصابها أو جرّتها دابة مثلا، فهي آلة فاشلة لا تساوي شيئا، وكلّ تديّن يصحبه فسادُ الفطرة وشلل العقل فهو تديّن تافه عديم القيمة، لأنه أمات الحقيقة الإنسانية وجعل تعاليم الدين أعوادًا تُغرس في الثلج أو الصخر، هيهات أن يكون لها ورق أو ثمر» (٤).

وهذه الميزة كذلك هي مما يتميز به المنهج الإسلامي عن المذاهب الوضعية والفلسفات الأرضية التي اسودّتْ صفحات تاريخها بمآسي الاضطهاد والحجْر على العقل والنظر والتفكير، أما الإسلام فإنه «لا يلوم على حرية الفكر بل يلوم على الغفلة والذهول، وهو لا يجعل هذه الحرية أيضا من المباحات التي يباشرها مَن شاء ويتركها من شاء، بل يجعلها حقا لله على الإنسان، فالمصابون بكسل التفكير واسترخاء العقل عصاةٌ في نظر الإسلام، تتفاوت جرائمهم بمقدار ما يترتب عليها من اضطراب الصلات الإنسانية بالله وبالحياة.. وتبدأ حرية التفكير من علاقة المسلم بدينه نفسه، فإن قوام الإسلام ولبَّ رسالته كتابٌ مفتوح ميسّر للذكر، مطلوب من الأمة أن تتدبره وأن تستفيد منه شرائعها جميعا» (٥).

٣- حق العمل وكفالة المعاش: إن العمل إلى جانب كونه وسيلة لتأمين عيش الإنسان، فهو في المنظور الإسلامي كرامة ترتفع بالإنسان إلى المستوى الأخلاقي المطلوب الذي تفرضه طبيعة رسالته في الحياة الدنيا، إذْ إنّ حركة الإنسان في العمل لتوفير أسباب عيشه وإعمار حياته بالخيرات هي بحدّ ذاتها من معاني التكليف لأنها صورةٌ من صور العبادة والاستجابة لطاعة طلب التعمير واستمرار الحياة، فمنذ هبط آدم عليه السلام، وجاء بنوه إلى الأرض وهم مكلفون بالكدح في ثراها، حتى يستطيعوا العيش، فإن أبدانهم لا تتماسك بها حرارة الحياة ولا تواتيها قدرة الحركة إلا بوقود متجدد من الغذاء.. وكلّ امرئ مطالب بتحصيل هذا الطعام عن طريق أي عمل يوافق مواهبه وملكاته، ذلك أن العمل هو وسيلة للبقاء، والوسيلة تتبع الغاية في شرفها وخستها، فمن كرس حياته للحق والخير فعمله عبادة، وكل قطرة عرق تبذل فيه فهي آية جهاد، توضع في موازين المرء مع صلاته وزكاته وصومه..إن الإسلام يجعل العمل سمة المسلم ومظهر تجاوبه مع رسالة الوجود، وانقياده لأمر الله وفقهه لطبيعة الدنيا وحقيقة الدين (٦).

٤- الحق في الأمن والاطمئنان: الإسلام هو صاحب الفضل الأول في تأسيس هذا الحق، لأنه في أصله وليدُ الضمانات التي وضعها هذا المنهجُ لكفالة حقّ الاعتقاد والرأي، إذ يرى الإسلام أن توفير الأمن والاطمئنان وراحة البال حقٌّ لكلّ إنسان في المجتمع الإسلامي بغضّ النظر عن المعتقد الذي يعتقده أو الدين الذي يدين به، فمن القواعد الثابتة في هذا المنهج أنه «يوصد كل الأبواب أمام نفر من الخلق يستهينون بأقدار الآخرين وحقوقهم خصوصا الحكام الذين قد يدهمون البيوت لتفتيشها أو يعتقلون خصومهم ويقيّدون حركاتهم دون ارتباط بقانون أو رعاية لقضاء، تلك كلها سياسات جائرة تصطدم بما يقرره الإسلام في مجتمعه من تأمين مطلق للفرد، وحس دقيق بحقوقه الشخصية» (٧).

إن النظرة المجردة داخل بيت الإنسان اعتداء على حرمته، وقد أرشد الرسول الكريم أمته ألا تفعل هذا، وحظر على أي امرئ ألاّ يدخل بيتا إلاّ بإذن صاحبه.. لأن تعريض المسلم لأي فزع جريمة، وحق الحياة الآمنة من المخاوف والمظالم والتهديدات والمنغصات المختلفة، لابد من إثباته في حياة الجماعة.

٥- الحق في المساواة والعدل: الحق أن ما ورد في المادتين الأولى والثانية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إنما هو ضهيٌّ فحسب للأصول المقررة في الإسلام وليس إبداعا أو سبقا انفردت به الحضارة الغربية، بل إن ما تقرر في التعاليم الإسلامية هو النبع والأصل الذي تعرفت إليه الإنسانية ذات فترة من تاريخها أول مرة، إن الإسلام يؤكد أن البشرية التي تعيش على ظهر الأرض في القارات الخمس هي «أسرة واحدة انبثقت من أصل واحد ينميهم أب واحد وأم واحدة لا مكان بينهم لتفاضل في أساس الخلقة وابتداء الحياة.. والتكليف الإلهي

يتّجه إليهم جميعا على سواء بوصف أنهم يتوارثون الخصائص النفسية والعقلية الشائعة في جنسهم كله، وأنهم أهلٌ لكل ما كفل الله للإنسانية من كرامة وناط بها من واجب، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء:١).. ولا نكران أن البشر يختلفون في لغاتهم وألوانهم من الناحية العامة، لكن هذا الاختلاف لا يؤبه له، ولا يخدش ما تقرر من تساويهم في الحقيقة الإنسانية الأصيلة، إنه يشبه اختلاف ألوان الورود في البستان، أو اختلاف الأزياء التي يرتديها الإنسان، وقد رفض الإسلام رفضا حاسما أن يكون ذلك مثار تفرقة أو سبب انقسام، بل جعله بالنسبة إلى الخالق الكبير آية على إبداعه وإتقانه..وبالنسبة إلى الناس أنفسهم مثار تعارف لا تناكر، وائتلاف لا اختلاف» (٨).

٦- الحق في التعلم ورفع المستوى الثقافي: يرى الإسلام بأن الوجود المعنوي للإنسان أهم من وجوده الحسي وأن الجانب المعنوي من وجوده هو ثمرة للتعلّم والتأمل في الكون وتفتيق المدارك العقلية، فالإنسان محتاج إلى أقساط منتظمة من المعرفة حتى يتفتق ذهنه وتتسع مداركه، ويبصر حقيقة ما يحيط به من الأشخاص والأشياء ويعي ما يُطلب منه وما يجب عليه، ولقد بلغ من أمر التشديد على الحقّ في التعلّم والفهم والمعرفة، أن النبيّ ﷺ، عقب غزوة بدر الكبرى أقرَّ- في مسألة أسرى بدر- بكون تعليم الكتابة لعشرة من أبناء المسلمين سبباً كافيًا لإطلاق سراح الأسير، رغم أنه محارب للمسلمين ومناهض للإسلام ودعوته!.. ولمكانة العلم في الإسلام لم يعادل شيء منزلة بعض الأركان الجليلة إلاّ التعلّم والإقبال على المعرفة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «مَن غدا إلى المسجد لا يُريدُ إلاّ أنْ يتعلّمَ

كل تديُّن يصحبه فساد الفطرة وشلل العقل فهو تديُّن عديم القيمة

خيرًا أو يَعْلَمَهُ كان له كأجرِ حاجٍّ تامًّا حِجّتُهُ» (رواه الطبراني).

ويكفي الإسلام شرفًا ورفعةً أنّ أول كلمة نزلت من كتابه الخالد هي ﴿اقرأ﴾ التي جاءت بصيغة الأمر، وكأن العلم في هذا الدين ليس فحسب من حقوق الإنسان، بل هو أعظم من ذلك إنه من الحقوق ومن الواجبات العينية والكفائية، إذْ لا يمكن أبدًا للحياة أن تكون حياةً بغير العلم وأهل العلم في نظر الإسلام.

نتائج ومقررات

١- إن الحقوق التي تضمنها البيان العالمي لحقوق الإنسان تُعتبر من أبجديات التعاليم المقررة في الإسلام، وإنْ كانت تلك الحقوق تبدو للغرب أو لجزء من بني البشر جديدةً، فهذا خلل فادح في الوعي بمحفوظات الذاكرة الإنسانية- وهذا على افتراض حسن الظن بالآخر الحضاري، وفي الوقت ذاته فإن هذا الخلل يعكس مدى خطورة جُرم تفريط المسلمين في تضييع الحقيقة ببعدهم عن دينهم وتقاعسهم عن العمل بوصاياه وإبلاغه للناس كافة.

٢- أصالة وتميز المنهج الإسلامي في حفظ حقوق الإنسان، إذ وضع الإسلام آليات وقواعدَ لحفظ هذه الحقوق، وذلك بخلاف الكثير من المناهج والفلسفات الوضعية التي لم تتجاوز في معظم الحالات مستويات الحديث النظري المجرد وتخوم الشعارات الخاوية أو المحايدة الرجراجة عن قضايا حقوق الإنسان.

٣- إن حديث الحضارة الغربية عن مبادئ حقوق الإنسان، هو في الحقيقة أثرٌ من آثار الفكر الإسلامي في هذه الحضارة، انتقل إليها عبر وسائط الاتصال والتفاعل التي حدثت في الواقع التاريخي كمراكز العلم ومدائنه المختلفة وجامعات الأندلس وصقلية والاحتكاك بالمسلمين الذي دام قرنين إبان فترة الحروب الصليبية.

٤- إن واجب إعادة تسجيل هذه الحقيقة على شريط الذاكرة الإنسانية، ينبغي أن يتمّ إحياؤه في هذه المرحلة في سياق الوعي بقواعد التدافع الحضاري والزحام الأيديولوجي العولمي، لذلك ينبغي أن ينصف هواةُ البحث عن الحقيقة المجردة الإسلامَ وتعاليمه السمحة من جاحدي فضله ومنكري أثره في البشرية وما أسداه للوجود من خدمات وجليل الأعمال والذكريات.

٥- من الأهمية بمكان أن يجعل الدعاة المسلمون مناسبة الحديث عن حقوق الإنسان فرصةً للدعوة إلى الإسلام نفسه، والتعريف بحقائقه وإنصافه من أخطاء أتباعه أولا.

الهوامش

١- محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، المكتبة التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٦٣ م، ص ٥٥.
٢- المرجع السابق، ص ٥٧.
٣- أبوالأعلى المودودي، مقال: «نظرة عابرة على حقوق الإنسان الأساسية»، مجلة المسلم المعاصر، العدد الافتتاحي (شوال ١٣٩٤هـ- نوفمبر ١٩٧٤م) ص ٥٦- ٥٧.
٤- محمد الغزالي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٦٦.
٥- المرجع نفسه، ص ٨٠.
٦- محمد الغزالي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٢٠٣.
٧- محمد الغزالي، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٥٩.
٨- المرجع السابق، ص ١٦- ١٧.

التربية على حقوق الإنسان في الإسلام

رابعة حسن

بعد أن انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، وعم نوره معظم البقاع العربية في القرون الهجرية الأولى، أخذ الدعاة ينشرون مبادئ هذه الشريعة السمحة في شتى الأمكنة والبلاد، وحملوا معهم راية هذا الدين الحنيف إلى كل مكان استطاعوا الوصول إليه، وكل أرض عرفوا أن فيها أشخاصا لم تبلغهم دعوة الإسلام ولم يعلموا بأمرها.

لم يكن الدعاة وحدهم هم من حملوا راية الدعوة ولواءها، بل شاركهم في ذلك كل مسلم باعتبار ذلك أمرا عاما مطلوبا من كل مسلم ومسلمة، وهكذا وجدنا السلام ينتشر في بقاع نائية جدا وفي جزر بعيدة عن قلب الوطن العربي بفضل أولئك الرجال والنساء الذين نقلوا معهم في تنقلهم وأسفارهم تعاليم الإسلام وبلغوها لكل من يستطيعون.

ولعل من أهم أسباب انتشار الدين الحنيف هو تلك الحرية التي يمنحها لأتباعه، والحقوق التي أقرها لهم والتي تتناسب مع فطرة الإنسان، وتتلاقى مع تطلعاته، وتتناسب مع أموره وشؤونه، وتتقاطع مع اهتماماته الأساسية وغاياته الرئيسية في كل زمان ومكان، ومن أمثلة ذلك اهتمامه البالغ بحقوق الإنسان وسعيه إلى العناية بها وتحقيقها على الأرض واقعا وفعلا.

وسعي الإسلام لتربية أبنائه على حقوق الإنسان واضح جلي، فالإسلام لم يكن مجرد عقيدة سماوية روحية خلاقة فحسب، بل كان ومازال يشكل منهجا فكريا خلاقا يشتمل على منظومة من الأنساق التربوية والفكرية والاجتماعية للوجود الإنساني. إنه منهج عمل ومنطلق حياة ورسالة إنسانية تتميز بأسمى عطاءات الخلق والإبداع. وفي نسق هذه العطاءات الربانية تأخذ تربية الإنسان مركزا جوهريا في نسق العقيدة التربوية الإسلامية. ولا

يمكن أبدا الفصل بين الجوانب التربوية والجوانب العقائدية في الإسلام؛ لأن الفكر التربوي ينبثق من صلب العقيدة ويبلورها حقيقة إنسانية مسكونة بأسمى التوجهات الروحية الخلاقة.

ومن المعروف في اللغة العربية أن الحق هو الأمر الثابت، أما في الشرع الحنيف فهو ما ثبت في الشرع لله تعالى على الإنسان، أو للإنسان على غيره. وحقوق الإنسان هي حقوق أساسية للأفراد مادية أو معنوية أو اجتماعية أو اقتصادية، لهم ممارستها بحماية الدولة دون تدخل ومن دون مضايقة منها أو من الأفراد أو المجتمع. وحين الحديث عن حقوق الإنسان من وجهة النظر الدينية، ولاسيما من وجهة نظر الإسلام فإننا نعني به ذلك الإسلام الذي يشكل منطلق نظرة شاملة إلى الكون والحياة الإنسانية بمختلف جوانبها وتجلياتها الروحية والعقائدية. وتتجلى هذه الرؤية الشمولية في صورة شريعة واضحة المعالم تميزت بطابع الشمول والعمق الإنساني.

ولقد كان الإسلام سبّاقاً إلى الإقرار للإنسان بحقوقه، وإلى الحثّ على صون هذه الحقوق وحفظها، وإلى إحاطتها بالرعاية وشمولها بالعناية من أولي الأمر. وهذه الحقوق هي من الثوابت التي يقوم عليها المجتمعُ الإسلاميُّ، فهي ليست حقوقًا سياسية ودستورية فحسب، وليست حقوقًا طبيعية كما يعبر عنها في القانون الوضعي، لكنها في الإسلام واجبات دينية يُكلَّف بها الفردُ والمجتمع، كلٌّ في نطاقه، وفي حدود المسؤولية التي ينهض بها. وبذلك فإن الفرد في المجتمع الإسلامي يتشرَّب هذه الحقوقَ، ويتكيّف معها، بحيث تصبح جزءًا من مكوّناته النفسية والعقلية والوجدانية، ويحافظ عليها، لأن في المحافظة عليها أداءً لواجب شرعي، وليس من حقه أن يفرط فيها، لأن التفريط فيها تقصيرٌ في أداء هذا الواجب.

والناظر إلى التربية التي قدمها الإسلام يجد أن الإسلام يقدم للبشرية منهجا تربويا أصيلا يتميز بطابع القدسية والشمول. وتأتي قدسية هذا المنهج بوصفه غيضا من فيض القرآن الكريم وسنة نبيه

باحثة في الدراسات الإسلامية - الكويت

الكريم عليه الصلاة والسلام. وتؤكد التربية في الإسلام على أن الفعل التربوي لا يكون في تكثيف المعاني وتحميل النفس بغزارة الصور، بل يرى ويؤكد أن الفعل التربوي هو عملية إيقاظ للفطرة الإنسانية وتوجيهها نحو غايتها في الكشف عن الله وعبادته وتوحيده، كما تعلي التربية الإسلامية من شأن العقل والعقلاء وترفع من قدر الحكمة والحكما ء، وتؤكد على أهمية الجوانب الأخلاقية في التربية، وهي تنهض على أساس من توجيهات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يمجد القيم والأخلاق.

مفهوم التربية على حقوق الإنسان

ترى جامعة الدول العربية أنه لما كانت التربية والتعليم أداة فعالة لنشر مفاهيم حقوق الإنسان بين الأجيال، وتشربهم بمضامينها والأنشطة المصاحبة لها، وما يمثله المربي من قدوة، فإن من الجوهري بهذا الصدد استحداث رؤية جديدة للتعليم تنطلق من توسيع التعريف التقليدي للتعليم لكي يعالج تحديات جديدة مثل ارتباطه بالاحتياجات، والقيم العالمية لحقوق الإنسان واتخاذ القرارات على أساس من المعرفة.

وهذا يعني أن التربية على حقوق الإنسان لا تتعلق بتوفير المعارف والمهارات فحسب، وإنما تتعلق أيضًا بتعزيز الاتجاهات والمواقف والسلوكيات التي تسمح للناس بالمشاركة في حياة مجتمعاتهم المحلية والوطنية بطريقة بناءة يحترمون بها أنفسهم والآخرين، وينبغي للأجيال أن يتعلموا حقوق الإنسان من خلال معايير ومبادئ حقوق الإنسان وهي تنفذ في الواقع العملي، وفي قاعة الدرس، وفي المنزل، وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا فإن التربية على حقوق الإنسان تعرّف على أنها سيرورة يتعلم الناس من خلالها على حقوقهم وحقوق الآخرين ضمن إطار من التعلم الذي يقوم على المشاركة والتفاعل. وهي تربية تعنى بتغيير المواقف والسلوك وتعلم مهارات جديدة وتعزيز تبادل المعارف والمعلومات. وهي عملية طويلة الأجل، تهدف إلى إيجاد فهم

الإسلام لم يكن مجرد عقيدة روحية خلاقة فحسب بل يشكل منهجًا فكريًا يشتمل على منظومة من الأنساق التربوية والإجتماعية

أفضل للقضايا وتسليح الأشخاص بالمهارات للتعبير عن حقوقهم ونقل هذه المعرفة إلى الآخرين.

وتشمل التربية على حقوق الإنسان مجموعة من البرامج التربوية الفعالة، في القطاعات الرسمية وغير الرسمية، التي تنفذها بعض المنظمات الدولية، وبهذا الصدد فإن التربية على حقوق الإنسان وفقا لهذه المنظمات تركز على الأمور الآتية:

- تعترف بشمولية حقوق الإنسان وعدم قابليتها للتجزئة.
- تؤدي إلى زيادة المعرفة بحقوق الإنسان وتفهمها.
- تمكّن الأشخاص من المطالبة بحقوقهم.
- تساعد الأشخاص على استخدام الصكوك القانونية التي وُضعت لحماية حقوق الإنسان.
- تستخدم المنهجية التي تقوم على التفاعل والمشاركة لتكوين مواقف تنطوي على احترام حقوق الإنسان.
- تطور المهارات اللازمة للدفاع عن حقوق الإنسان.
- تدمج مبادئ حقوق الإنسان في الحياة اليومية.
- تشجع على الاحترام والتسامح.

والتربية على حقوق الإنسان في الإسلام تستمد مبادئها وأسسها من المصادر الرئيسية لهذا الدين الحنيف وتنطلق من المنطلقات الأساسية التي أجمعت عليها الأمة الإسلامية، وعمل بها السلف الصالح، باعتبار أن التربية في حياة الأمة هي تعبير صريح عن عقيدتها وفلسفتها، وتنعكس من خلالها تصوراتها وأهدافها من الإنسان، وتعكف على تحقيق غايتها منه.

وهذه التربية على حقوق الإنسان يجب أن يقوم عليها التربويون؛ ذلك أن التربية صنعة مادتها وخامتها الأولى الإنسان وغايتها بناؤه. ويمكن لمن يتولى مسؤولية التربية على حقوق الإنسان في الإسلام أن ينطلق مما خلص إليه مؤتمر عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم في روما وتطرق إلى مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام ، وهي:

المبدأ الأول: أهمية ربط الحقوق الإنسانية بمرجعية تراعي المعتقدات والقيم الدينية التي أوصى بها اللّه سبحانه وتعالى على لسان أنبيائه ورسله.

المبدأ الثاني: ضرورة ربط الحقوق بالواجبات من خلال مفهوم يرتكز على قاعدة التوازن بين وظائف الإنسان واحتياجاته في بناء الأسرة والمجتمع وعمارة الأرض، على نحو لا يتعارض مع إرادة اللّه تعالى.

المبدأ الثالث: اعتبار إسهام المنظمات غير الحكومية في الجهود المبذولة في إعادة صياغة المواثيق والمبادئ المتعلقة بحقوق الإنسان، عاملاً إيجابيًا في تحقيق الشمولية المطلوبة ومساعدتهم لتكامل الرؤى والجهود الإنسانية الساعية لحماية الإنسان وضمان حقوقه.

المبدأ الرابع: تشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات بما يساعد على تفهم أفضل لحقوق الإنسان، وبما يجنّب المجتمعات البشرية ويلات الصراع والنزاع المسلح وما ينتج عن ذلك من آثار سلبية على الإنسان والبيئة.

المبدأ الخامس: العمل على توفير الأسباب والوسائل التي تحقق نبذ التمييز بين أفراد المجتمع البشري على أساس من الجنس أو اللون أو اللغة أو الانتماء الوطني.

حقوق الإنسان.. رؤية قرآنية

د. مسعود صبري

يظل القرآن الكريم هو النبع الصافي الذي لا ينفد من كثرة الرد، متجدد على مر الدهور والعصور، وهو بجانب كونه كتاب هداية كوظيفة رئيسة، فهو أيضًا كتاب تشريع ودستور، كما أنه يعد- كذلك- مصدرًا للمعرفة والثقافة بأوسع دلالاتها، وأصدق أخبارها.

لقد كان القرآن- منذ الصدر الأول في الإسلام- هو مصدر المعرفة الثقافية والتشريعية والدعوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولم يكن المسلمون يشغبون معه مصدرا آخر أيًّا كان، مع إدراكهم من الإفادة من جميع المصادر الأخرى وعلى رأسها السنة النبوية بحكم منزلتها بما يشبه المذكرة التفسيرية للقانون والدستور، وإن هذا المسلك سيظل هو الأسلم والأوفق في الرؤية الإسلامية للنظر في القضايا والحوادث.

القرآن مصدر المعرفة الأول

ومن هنا كانت أهمية معرفة «حقوق الإنسان» في مصادر المعرفة الإسلامية بعمومها من الكتاب والسنة ومن فهم الصحابة وتطبيق المسلمين لها عبر التاريخ الممتد، وهو أمر مطروق كثيرا، ولكن الأهمية الكبرى تكمن في إعادة النظر في القرآن الكريم أولا، وبشكل مباشر حتى ننظر الرؤية القرآنية في تلك القضية وفي غيرها.

ويلحظ المطالع لآيات الله أن النظرة الكلية في القرآن للإنسان تتمثل في عديد من القيم الحاكمة لتلك الرؤية من التفضيل والاستخلاف والتكريم وتسخير ما في الأرض لانتفاع الإنسان بها، مما يعني بدءًا أن هناك اهتماما متميزا بالإنسان عن بقية المخلوقات، بعيدا عن دينه أو جنسه أو لونه أو لغته،

مقاصد التشريع الكبرى تمثل في ذاتها عصب حقوق الإنسان من حيث الرؤية الكلية

وآيات القرآن مليئة بهذه الرؤية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

وقد استنبط الفقهاء خمسة حقوق كبرى للإنسان من القرآن الكريم، وأسموها «مقاصد التشريع الكبرى»، وهي تمثل في ذاتها عصب حقوق الإنسان من حيث الرؤية الكلية، وما يندرج منها من حقوق جزئية تجيء تبعا لها، مما يعني أن الإسلام جاء بنظرية كبرى تبين معالم حقوق الإنسان.

وهذه الحقوق هي:

الأول: حق التدين

فقد كفل الإسلام للإنسان حق التدين بما يشاء، فللإنسان أن يدين بأي معتقد كان بحرية، مع الإقرار بأن الإسلام هو دين الله الحق، ولا يقبل من العباد في الآخرة إلا من دان به.

أما حق التدين، فالآيات فيه كثيرة، من ذلك:

- بعث الرسل لأجل حق التدين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، وذلك جوابا لقولهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: ٤٧).

- قبول الإسلام للتعدد، لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦).

حرية التدين، كما في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، فأقر القرآن بأن ما جاء به الرسول هو الحق الذي يجب اتباعه، لكنه اتباع عن اختيار لا عن إجبار.

- الدفاع عن أماكن العبادة، وترك الناس يعبدون ما يعتقدون، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

ووجه الدلالة في الآية: أنه لولا ما شرعه الله من دَفْع الظلم والباطل بالقتال لَهُزم الحقُّ في كل أمة ولخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين التي يصلُّون فيها.

وأما عدم قبول غير الإسلام في الآخرة، فلقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

ولقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

ومن تلك الرؤية الكلية من القرآن يزال اللبس في اعتبار الإسلام هو الدين المقبول وبين القول بحرية التدين، فحرية التدين في الدنيا، وكون الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل غيره عند الله في الآخرة.

الثاني: حق الحياة

والرؤية الكلية في حق الحياة للإنسان هو أن يعيش الإنسان في أمان، لا يعتدى عليه، حتى يعيش عمره المقدر له، ولا يقتل إلا في ظروف استثنائية كأن يكون قتل هو آخر عمدا، أو ارتكب جرما عظيما يستحق معه الموت، وهي دوائر ضيقة جدا.

وسائل حق الحياة

حرمة قتل النفس: حرم الإسلام قتل النفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

ومنه قتل الأولاد، وهذا يشمل قتلهم بعد الولادة، أو قتلهم في بطون أمهاتهم بعد نفخ الروح فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

وخص من ذلك وأد البنات وقتلهن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).

كما حرم أن يقتل الإنسان نفسه، لأنها ليست ملكا له بل هي ملك لله تعالى، يجب على الإنسان المحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

الثالث: حق التملك

ومن الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان حق التملك ومن وسائله:

- أن الله تعالى جعل حب المال من الفطرة، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

- أن الله أحل البيع وما يشبهه من وسائل الكسب، كما قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٢).

ومنه إباحة التجارة والحث على التكسب منها، كما قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

كما جعل العمل حقا مكفولا للجميع، وبيّن أصول الصناعات في القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

- أنه جعل وقت الكسب مفتوحا دون تحديد، باستثناء وقت صلاة الجمعة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

- أنه عدد مصادر التملك للإنسان، سواء من الكسب، أو من الميراث، أو الهبة، أو غيرها من مصادر الكسب المتنوعة.

فأقر حق الإنسان في تملك ما يرثه من والديه، وخص تملك النساء من الميراث بالتأكيد على الأمر، لما يعرف من ظلم المرأة فيه، كما قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ

وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

وأقر الإسلام بالغنى وأن كسب الإنسان على قدر عمله، حتى يشجع الناس على التكسب والتملك، فقال تعالى: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢).

وجعل للفقراء مصدرا للتكسب، وهو الزكاة والصدقات، فأوجب الزكاة على المؤمنين في حق الفقراء، وجعلها حقا مكفولا لهم، لا يتفضل به الغني على الفقير به، بل هو أمر لازم شرعا، وركن من أركان دينه وإيمانه، وبين أن هذا الحق معلوم القدر، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ. لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥).

الرابع: حق الإنجاب والنسل

فالإنسان مفطور على حب الولد، فكفل الإسلام للإنسان حق الإنجاب والذرية، ولعظم شأنه أقسم الله تعالى به، فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (البلد: ٣).

ومن وسائل حق الإنجاب:

- أن الله تعالى جعل حب إنجاب الولد من الفطرة، كما في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

- أنه حث على الدعاء بأن يوهب الإنسان الذرية الصالحة، كما في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨).

وجعل من صفات الصالحين قولهم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وبين أن طلب الذرية من سنن الرسل والناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨).

ويلحق بحق الإنجاب حق النسب، فمن حق كل إنسان أن ينسب إلى أبيه وأمه، كما قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥).

الخامس: حق التعقل والتفكر

وذلك من لوازم خلق الله تعالى الإنسان حرا مختارا، وجعله مكلفا، ولذا كان العقل من مناط التكليف، وأرشد الإنسان إلى حفظ عقله، وجعل له الحرية في التفكر.

ومن وسائل التعقل أن دعا الإسلام الإنسان أن يتعقل ويتفكر في خلق الله تعالى وما حوله في الكون، حتى يفيد منه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤).

وذكر في كثير من الآيات الإشارة إلى التعقل والتفكر: ﴿أفلا تعقلون﴾ ﴿لقوم يعقلون﴾ ﴿لعلكم تعقلون﴾، ﴿لعلكم تذكرون﴾، ﴿لقوم يتفكرون﴾.

وذم أولئك الذين لا يعملون عقولهم في إدراك الحق والخير، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢).

وفي سبيل حق الإنسان في التعقل حرم عليه كل ما يضر بعقله، من ذلك تحريم المسكرات والمفترات، كما قال تعالى: ﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠).

وحق التعقل والتفكر دافع لإدراك الإنسان وسعيه لما ينفعه في الدنيا والآخرة، وليس في الآخرة فحسب، فهذا العقل دافع للإنسان لتحصيل منافعه في الحياة العاجلة والآخرة.

ومع تلك الحقوق الخمسة ذكر القرآن حقوقا عامة أخرى، ومنها: حق التنعم بالحياة وما فيها من خيرات للإنسان، كما يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، بل يوجه القرآن الإنسان أن الله تعالى سخر له كل ما في الكون حتى يفيد منه في حياة كريمة منعمة، من ذلك تسخير الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ١٢).

فكل ما في الكون مسخر للإنسان بأمر الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥).

ومن يتتبع حقوق الإنسان في القرآن يدرك بحق سبق الإسلام وتفرده في بيان حق الإنسان، بل يحتاج التتبع إلى نفس طويل وعرض أكبر لا يتسع المقال له هنا.

«حُقوق الإنسان».. نظرات في المفهوم والتنزيل

أحمد عبدالجواد زايدة

في وقت تُتداول فيه المفاهيم بقوة الإعلام المصحوب بنفوذ رأس المال «الرأسمالية المتوحشة» المُقترن بالهيمنة «حق القوة» لا «قوة الحق»؛ يتم نشر العديد من المفاهيم وتسويقها والضغط من أجل نشرها «بسياقاتها وجذورها الفلسفية» مما يكون مصحوبًا بتتبع تجليات هذه الجذور على أرض الواقع فيكون أحد نتائجه هو «ذوبان الخصوصية» الثقافية والتُراثية عند الحضارات والمناهج في أرض الله بفعل «مطبخ العولمة» وطباخها!

هذه النظرات القليلة ليست نظرات مقارنة ولا نظرات مُهاجمة؛ فكاتبها لا يسعى «لذبح المفهوم» ليُثبت أن ما لديه من مفاهيم تُراثية بمضامين فلسفية هي الأفضل- وإن كانت- «وقد احتمى تحت ظلالها كثير ممن طُردوا من ديارهم وأُوذوا في سبيل دينهم»- كما أنني لا أسعى لكسوه بغلاف من الإسلامية والتكييف الشرعي لما وصَلت إليه ثقافات وفلسفات أُخرى أختلف مع مُنطلقاتها! وإنما فقط هو نظر في المفهوم وسياقاته وتصورات واضعيه! لنكون فقط على بصيرة مما يتم ضخه من مُصطلحات عبر ماكينة العولمة بآليات الإعلام المدعوم برأس المال أحيانا أو بنكهة السياسة أحيانًا أخرى أو عبر دانات المدافع وأزيز الطائرات في بعض الأوقات؛ ليكون تأسيسنا لمُصطلحاتنا تأسيسًا قُرآنيًا منهجيًا ناظرين فيه إلى تُراثنا مُنزلينه في العصر الحديث صانعين للواقع لا مصنوعين من خلاله! ليكون الانطلاق من القُرآن «بسُننه ونظراته وفلسفته» إلى العمُران.. تأسيسًا وصناعةً على مستوى البُنى والمُؤسسات والمفاهيم.

إن مفهوم حقوق الإنسان نشأ في الغرب بعد حروب وصراعات نشأت بين القوى الكُبرى والعصبيات والقوميات زهقت فيها آلاف الأرواح و طحن فيها القوي الضعيف وانتصر فيها الظالم على المظلوم، وكانت القوة هي العنوان لا الحق! ومن ثم كان التفكير في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

نحن بحاجة إلى تأسيس عمران الأمة لتعمر الإنسانية بنور الوحي

في عام ١٩٤٨؛ والعهدين الصادرين عام ١٩٦٦؛ مُتحدثين فيه عن أخلاقيات الحرب؛ وضوابط استخدام القوة بعد أن ذاقوا لهيب حرارتها؛ وذاكرين فيه عدم التمييز على أساس العرق والدين واللغة بعد أن دارت حروب ضروس بينهم تشكل إبادة عُنصرية، فكانت هذه المواثيق الداعمة لحقوق الإنسان بمثابة إطفاء نيران الانحراف الحادث في الفطرة الإنسانية التي انساقت وراء شرور النفس ورغباتها بدون حد واهتداء بنور الوحي الحافظ لكيان الفطرة ونظامها الكوني؛ ومن ثم تم ضخ مفاهيم الحُرية والكرامة الإنسانية والإرهاب والأمن والسلم وفقًا لهذه السياقات وطبقًا لفلسفات واضعيها التي كانت خارجةً للتو من حروب جُهنمية عالمية! فحاولت بذلك أن تحد- ولو على الأقل داخليًا- من إطلاق العنان للتعبير عن شرور النفس ورغبات الهيمنة والسيطرة؛ فآل بها الحال إلى سن مواثيق لتترك لنفسها تفسيرها بعد ذلك بما يوافق سياقاتها الحضارية التي تُعلي فيها من إطلاق الرغبة للإنسان ليفعل كل ما يُريد على المستوى الاجتماعي والشخصي وهي ما سمّته (بالحرية) وأن الجميع سواسية فحقوقهم كذلك كلها واحدة، فصكوا مُصطلح المساواة بجذورهم الفلسفية مما نضحت به بعد ذلك الحقوق المتساوية بين الجنسين بدون أي مُراعاة للتمايز الفطري بين النوعين مما يجعل الأمر متسقًا مع الفطرة البشرية الإنسانية- مع المساواة فى أصل التكريم الخلقي البشري!

إن المفهوم حين نشأ في الغرب نشأ بناءً على أن الإنسان هو مركز الكون لحد يصل إلى التأليه! ومن ثم فمن حقه أن يعيش حياته «بحرية» كما يُريد وأن يضع لنفسه من المفاهيم والتصورات ما يُريد! على الامتداد الأُفقي والرأسي! فعبرت ما سموه حُرية بمصطلحهم عن تجليات غاية في السوء مما أدى إلى كوارث اجتماعية كان لها أثرها على السياسة والاقتصاد وأخلاقيات التحضر؛ وذهبت حُرية السوق إلى سحق الإنسان وكرامته البشرية تحت ماكينة الدولار؛ وأنشأوا مفاهيمًا كمفهوم المُساواة قالوا فيه بمساواة المرأة مع الرجل في كُل الحقوق- مع تسليمنا باستوائهما في أصل الخلقة الإنسانية والتكريم البشري- بدون مُراعاة للفطرة والطبيعة التكوينية! فقالوا بأن من حق المرأة أن تُعدد وأن تتزوج أكثر من زوج في وقت واحد فهذا من تساوى الحقوق- كما زعموا-!فهروبًا من النزاعات والحروب خلصوا إلى الولوج في الحُرية

باحث دراسات إسلامية

المُطلقة المُرتكزة على أن للإنسان أن يفعل ما يُريد- وكأنه هو الذي خلق نفسه-!

فوصل حالهم الآن إلى أن الرجل أو المرأة من حقه أن يُغير جنسه! ولك أن تتخيل هذا الإنسان الذي غير نوعه البشري من ذكر إلى أُنثى أو العكس كيف سيكون وضعه في أسرة مكونة منه ومن الطرف الآخر ومن أبناء؟ كيف سيكون مآل الأب إلى أُم؟ أومآل الأُم إلى أب؟ وما حجم كارثية هذه الفعال على الناحية الاجتماعية والنفسية ومآلاتهما على الصعيد السياسي والاقتصادي لهذه المُجتمعات- وُهم على حقوق الإنسان يعتمدون ومن هذه الدعوى ينطلقون!

لقد وصلت هذه الدول التي تحترم «حقوق الإنسان» إلى درجات متقدمة- بحق- في توفير قدر من الكرامة والحرية والعدل- في أوجه كثيرة منها- لمن يعيشون داخل أراضيها لدرجة لا يُمكن تجاهلها- وإن كانت حضارتنا وتاريخنا قد شهدت أمثلة ونماذج تفوقها في كثير من الأمور- فكانت مأوى لكثير ممن لم يجدوا مأمنا وحرية في أوطانهم! لكن هذا لا يعني أن مُنطلقاتهم سليمة وإن توافقنا معهم في بعض التجليات لهذا المُصطلح، ولكن التطبيقات المُنحرفة الناتجة عن انحراف في الجذور والمنطلقات والمبادئ التأسيسية تجعلنا نتوقف أمام القبول بهذه المصطلحات المصحوبة بسياقاتها والمعبأة بدلالاتها المنحرفة.

لذا وجب التنبيه على الفارق بين حقوق الإنسان في التصور الغربي وبين الأساس الذي ينطلق من خلاله التصور الإسلامي:

١- إن الأساس الأول الذي ينطلق منه أي مسلم ويبني من خلاله التصور الإسلامي رؤيته هو أساس: التوحيد ﴿فاعلم أنه لا إله الله﴾ (محمد: ١٩)؛ فهو أساس مركزي وجوهري يجب أن يكون في كل تصور ويؤثر في كل هذه المفاهيم؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون كله وخلق الإنسان؛ ومن ثم فليس الإنسان هو النقطة المركزية التي يعود إليها في بناء تصوراته وأفكاره وقناعاته؛ وإلا لوصلنا إلى أزمة «الليبرالية الفردية» وينتهي إلى شبه تأليه للإنسان! فإن الإنسان حين يفكر أو يبني تصوراته فإنه يبنيها على أساس الرؤية التوحيدية؛ وتجليات هذا الأساس في التطبيق أنك تجد من يؤمن بالحرية في التصور الغربي: يعتبر أنه هو المركز فيحق له أن يفعل أي شيء وكل شيء فيحق له قتل نفسه وهتك عرضه وشرب الخمر وارتكاب الفواحش- وكل هذه الأمور يكون لها آثار كارثية على الأخلاق والمجتمع والاقتصاد وكل مقومات الحضارة! ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل يصل الأمر إلى تغيير الجنس البشري وغيرها من الأمثلة التي أصبحت «ألغازًا فقهية» حاول علماؤنا أن يجتهدوا في إيجاد أحكام لها مثل بنوك المني واستئجار الأرحام والخلايا الجذعية والاستنساخ وغيرها! فهؤلاء- اتساقا مع مبدأهم الذي انطلقوا منه- لا تحدهم حدود ولا تزجرهم زواجر ولا اتصال لهم بنور وحي فيهدي العقل- كما قال الإمام الغزالي رحمه الله: العقل وحي من الداخل والنص وحي من الخارج- فأنتجوا حضارة مادية تحمل في بذورها أساس الانحراف- حتى بالمعايير المادية؛ أما في الرؤية التوحيدية فإن المسلم ينطلق من أساس الحُرية الذي هو التوحيد والإيمان الذي يخضع له فيزيل كل قوة ظالمة أو غاشمة أمامه ولا يخضع لها؛ فتكون حرية سلبية من كل قيود أو استبداد استمداد بقوة الإيمان واليقين؛ ومن ثم فهو في تصوراته وتصرفاته ينزل نور الوحي على عقله فيهتدي بهذا؛ فالحرية في التصور الإسلامي تنطلق من السماء إلى الأرض؛ وفي التصور الغربي هي انطلاق من الذات البشرية إلى ما فعل كل ما تريد؛ مع إدراك أن القُرآن تحدث أيضا عن قدر من الحُرية ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف: ٢٩)؛ ﴿أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس: ٩٩)، لكن هذا أيضًا مصحوب بآيات الوعيد للكافرين ومصيرهم في الدنيا والآخرة؛ وهو محكوم بسياق ونظام مجتمعي لا يُمكن له أن يخرج بتجليات كفره فيما يخرق النظام العام وسلوك المجتمع وأعرافه وقوانينه فهي حرية مُحملة بالمسؤولية! وهي كذلك حرية إيجابية في إيجادها وكسبها للأفعال؛ فالناظر في كتاب الله المتدبر لآياته يُدرك عمق هذا؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(الأعراف: ١٥٧)؛ .

٢- الأساس الثاني هو أساس «الاستخلاف»؛ ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠)؛ ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾ (الإسراء: ٧٠)؛ فإن الإنسان المُسلم في كل زمان ومكان يؤمن بأنه خليفة لله تعالى إن قام بتحقيق شروط ذلك قياما بمقام الخلافة في الأرض تحقيقًا لمقاصد الخلق ومقاصد هذا الدين؛ فهو لم يُخلق عبثًا فيظل يبحث طيلة حياته عن تفسير لأسئلة وجودية حسم القرآن أمرها بالدلالة عليها؛ فتكون عاقبة جهلها انحراف بل انحرافات؛ ومهمة الاستخلاف منهج ورسالة وعمل؛ فهو لم يُخلق عبثًا أو خلق للدوران حول ذاته لإشباع رغباتها فقط بأي وسيلة كانت وبدون نور وحي وهدي سماء!؛ قال تعالى:﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود: ٦١)؛ فالسين والتاء للمبالغة؛ ومعنى الإعمار كما يقول الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور: ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع لأن ذلك يعد تعميرا للأرض حتى سمي الحرث عمارة لأن المقصود منه عَمر الأرض ا.هـ؛ فهو مستخلف في هذه الأرض لتحقيق المقصد العام للشريعة الذي تحدث عنه العلامة المغربي الأستاذ علال الفاسي فقال: «المقصد العام للشريعة هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها؛ وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع»؛ وهو يدور

مع المقاصد الشرعية الحاكمة التي تحدث عنها الشيخ الدكتور طه جابر العلواني وذكرها «التوحيد والتزكية والعمران»؛ وما ذكره العلامة الشيخ القرضاوي من سبعة مقاصد: «تصحيح العقائد في التصورات للألوهية والرسالة والجزاء؛ وتقرير كرامة الإنسان وحقوقه؛ والدعوة إلى عبادة الله؛ وتزكية النفس البشرية وتقويم الأخلاق؛ وتكوين الأسرة الصالحة وإنصاف المرأة؛ وبناء الأمة الشهيدة على البشرية؛ والدعوة إلى عالم إنساني متعاون»؛ ومن ثم فلا يُفهم أن المقابل لعدم الذاتية الفردية والنظرية التأليهية- أو شبهها- للإنسان أن الإنسان قد اتخذ موقفًا مناهضًا لحاجات العمران والحضارة! فهذا غير سليم ويكفي فيه حديث النبي ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد؛ ومن قتل دون أهله فهو شهيد؛ ومن قُتل دون دينه فهو شهيد» وهذه كلها حقوق للإنسان قدرها الشارع- بل جعل من قُتل من أجل الدفاع عنها شهيدًا.

٣- إن الفقهاء حين تحدثوا عن الحقوق لم يتحدثوا عن حقوق الإنسان بهذه الذاتية المنفصلة! ولكنهم تحدثوا بمصطلحاتهم التى تحتاج إلى إحيائها والدفع بها وتداولها لأنها مرتبطة بتراثنا المتسق مع فلسفتنا وجذورنا عن حقوق العبد التي تتقاطع وتتداخل (الذى قد يكون أبا أو أما أو ابنًا أو ابنة أو أخا أو زوجًا أو زوجةً أو ربيبة أو صديقًا أو جارا) وكذلك حقوق الأمة (المُجتمع) والواجبات العينية (الكفائية)؛ وكل فرد من هؤلاء له حقوق؛ وهي عليك واجبات «بالمفهوم الشرعي» فإن الحكم الشرعي يتدخل هُنا آمرا وناهيًا مُرتبًا عليك واجبات هي في ذات الوقت حقوق للطرف الآخر ومن ثم لا يجوز لك أن تتنازل عنها أو يتنازل عنها الآخر- على الإجمال- لأنها ليست حقوقًا طبيعية مُكتسبة من فعل الإنسان ولكنها مرتبطة بالوحي من حيث أوامره ونواهيه؛ وهو ما يختلف مع طبيعة المفهوم في الغرب الذي يعتبرها حقوقا طبيعية اكتسبها الإنسان من تلقاء نفسه فيجوز له أن يتنازل عنها- على الإطلاق- وفق إرداته وحقوق الله، وهذا باب معروف في كتب الفقه- وقد أفرد له الإمام العز بن عبدالسلام فى كتابه قواعد الأحكام فصلا خاصا وذكر ما لو حدث تداخل بينهما والتقديم والتأخير وأيهما أولى بالتقديم عند التزاحم؟ فالإنسان ليس جزءًا منفصلا وحقوقه ليست قائمة على الشك الذي يطيح بكل شيء ولا على الصراع من أجل انتزاعها، وإنما هي قائمة على التكامل والتداخل؛ لذا فإن الإسلام لم يأت للفرد بمفرده بتجاهل للمجتمع؛ ولا للمجتمع بمفرده بمعزل عن الفرد وإنما جاء لكليهما؛ ولا أدل على ذلك من أن الإنسان سيُحاسب مرة بمفرده ثم تُحاسب الأمة مرة أخرى جماعة! فهناك الفرد المُستخلف وهناك كذلك أمة الشهود! فاقتطاع الفرد والتركيز على الحديث عن حقوق الإنسان إنما هو حديث ينعزل بالإنسان ويحجزه في دائرته المغلقة التي ترتكز حوله فقط وهو ما يُخالف فلسفة الإسلام، وهي أن الإنسان مرتبط بالكون والأمة ومهمة الشهود وليس جزءًا منفصلا ووحدة مقتطعة؛ لذا فإن النظرة التوحيدية الاستخلافية تخلق توازنا في النِسَب وعدم إيجاد لاختلال في الحياة.

على مُستوى التنزيل

لقد جاءت الشريعة التي هي «عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها» لتحقيق مصالح الناس المعتبرة في المعاش والمعاد والعاجل والآجل؛ والمدخل المقاصدي من أفضل المداخل التي يُمكن من خلالها أن نُقارب مفهوم حقوق الإنسان الذي يُناقش في مستوى ضيق من التلفيق للرغبة في إثبات وجودها في الشريعة، مع أن هذا الأمر هو تحصيل حاصل- ولكن الشريعة والفقه متجاوزان لذلك بكثير؛ ولو أردنا التعامل بنظرية التلفيق بأن نأتي لكل بند في ميثاق حقوق الإنسان بما يقابله لدينا في الشريعة لأمكننا أن نأتي بمئات الأقوال من كُتب الفقه -فقط- بما يجعل هذه المواثيق في مؤخرة الركب الحضاري والرُقي القيمي، ولا أعلم ما هذه الثقافة والنفسية التي تُريد أن تجعل نفسها ردة فعل يُرقع خلف مُنجزات الآخرين القيمية، إن الفقهاء تحدثوا عن كراهية أن يتحدث الرجل أمام زوجته غير المسلمة بمحاسن الإسلام إن كان في هذا إكراها لها على تغيير دينها؛ وإن الفقهاء حين تحدثوا عن العقود نصوا على أن من تعاقد مع أجيرٍ نصراني أو يهودي واشترط عليه العمل فيٍ يوم الأحد أو السبت فالعقد باطل لحقه في ممارسة شعائره في يومي الأحد للنصراني والسبت لليهودي احترامًا لحقهما في ممارسة شعائرهما وهذا يفعله المسلم ديانة لا سياسة؛ وقد وضع الإمام الشاطبي مقاصد الشريعة في نسق ونظرية تُبين بوضوح كيف أن الشريعة قد جاءت لتحقيق مصالح الناس- في الدنيا والآخرة- وحفظ جميع حقوقهم؛ فقسمها إلى ضروريات؛ وحاجيات؛ وتحسينات:

أ- المقاصد الضرورية: الأمور التي لابُد منها في قيام مصالح الدين والدنيا؛ بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة؛ بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين؛ ونص على أنها حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

ب-المقاصد الحاجية: وهي كما قال الإمام أبوإسحاق الشاطبي: «إنها مفتقر إليها من حيث التوسعة؛ ورفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب فإذا لم تُرعَ دخل على المكلفين- على الجملة- الحرج والمشقة؛ ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي فالمتوقع في المصالح العامة».

جـ-المقاصد التحسينية: ومعناها كما قال: «الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب المُدنسات التي تألفها العقول الراجحات؛ ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق».

إن تُراثنا ومراجعنا عظيمة بها دُرر وكم نحن بحاجة إلى أن نعود بعين الناظر الفاحص المُتأمل إلى هذه المراجع لننظر في مفاهيمنا ونبني تصوراتنا لنؤسس عمران العُقول والقلوب أولًا لننطلق إلى تأسيس عُمران الأمة لتعمر الإنسانية كله بنور الوحي.. لا بنور غيره، والله المستعان.

الإسلام دين الحرية

أسعد النوبي

لم يعرف في تاريخ البشرية منذ أن عرفت الدنيا أساليب الحكم وسياسة الشعوب قائدًا ومصلحًا مثل محمد ﷺ، فقد استطاع أن يغير وجه الدنيا وأن يحول مجرى التاريخ في فترة بسيطة لا تعتبر زمنًا بالنسبة لعمر الشعوب والأمم وحركات التاريخ، مما يدل على أن هذا النبي الإنسان مؤيد بقوة عليا تدير هذا الكون وتدير نظامه، ورسولنا ﷺ نبي أمي لا يكتب أو يخط بيمينه ولم يجلس إلى معلم ولكن ملأ الدنيا علمًا ونشر في ربوعها كلها حكمة وأمدها بزاد من المعرفة وبث في عقولها الصواب والرشد.

يستحق محمد رسول الله التكريم الدائم، وتذكير الناس برسالته وتعريفهم بها فقد جاء بها لتعرفها العالم.

لقد بعث ﷺ وفي المجتمع الإنساني اصنام كثيرة عملت عملها في تقويض بنيانه ونشر الفساد في كيانه، وفي علاقات العالم الاجتماعية حطم المصطفى ﷺ صنم التعصب والتفرقة العنصرية، والإسلام لا يكره شيئًا ككراهية هذا التمايز العنصري بين الناس، ويبرأ ممن يثير العصبية مصداقًا لقوله ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل مع عصبية، وليس منا من مات مع عصبية».

وللأسف الشديد كما يقول الراحل محمد عطية الإبراشي في كتابه «روح الإسلام»: «ومازالت الأمم التي ترفع صوتها باسم الديموقراطية والحرية تقاتل عباد الله الأحرار الذين تسميهم الأجناس المكونة معاملة خاصة، فيها إذلال وسخرية وعنف واحتقار».

وقد نهى ﷺ عن مخاطبة العبد والأمة بأي عبارة يفهم منها الرق والعبودية حيث قال: «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، ولا يقول المملوك ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله»، فالرسول الكريم يكره كلمة عبد، وكلمة أمة، لأنهما ضد الحرية، وضد الإنسانية.

ومن تعاليمه ﷺ قوله: «لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت ان الناس لا تستعبد ولا تستخدم».

يقول الابراشي في كتابه «عظمة الإسلام»: إن من يطلع على تاريخ الأمم والأديان السماوية يجد أن الإسلام قد دعا إلى تحرير الأرقاء، وإزالة الرق عن بني الإنسان، وابتغاء مرضاة الله، وتقربًا إليه جل في علاه، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه» (البخاري ومسلم).

ولم يكتف الإسلام بالحث على العتق وتحرير الأرقاء، بل دعا إلى الإحسان إلى المملوك والخادم، قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦) .

الإسلام لا يكره شيئًا ككراهية التمايز العنصري بين الناس

ففي هذه الآية الكريمة قد أمر الله بالإحسان إلى كثيرين، وذكر منهم المماليك والخدم.

وعن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب رجلاً، على عهد رسول الله ﷺ، فعيره بأمه، فقال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (البخاري).

وقال ﷺ : «اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولي علاجه» (البخاري).

وهنا نرى الإنسانية والعطف والشفقة والرحمة وحسن المعاملة جلية واضحة في الإسلام، فهو ينادي بأن تعطي الخادم أو المملوك مما تأكل، وتلبسه مما تلبس، ولا تكلفه من العمل ما لا طاقة له به، وأن تنظر إليه نظرة تحفظ له كرامته وإنسانيته، وهنا تظهر العظمة الإسلامية في المعاملة الأخوية.

الكويت تدعو إلى تعزيز ثقافة السلام واحترام حقوق الإنسان.. وحرية التعبير

التحرير

دعت الكويت إلى تكثيف الجهود الدولية الرامية إلى تعزيز ثقافة السلام وتفعيل الحوار بين الحضارات، ونشر قيم الاعتدال والتسامح والاحترام المتبادل، ونبذ التطرف والكراهية والعنف بكل صوره وأشكاله.

جاء ذلك في كلمة ألقاها عضو الوفد المشارك في أعمال الدورة السادسة والستين للجمعية العامة عبدالوهاب جمال الراشد في بيان الكويت أمام الجمعية خلال مناقشتها مسائل ثقافة السلام، وتشجيع الحوار والتفاهم والتعاون بين الأديان والثقافات من أجل السلام.

وقال الراشد: «إن تلك المسؤولية تقع على عاتق جميع الدول الأعضاء ومنظمات المجتمع الدولي، وإن دولة الكويت حريصة كل الحرص على دعم جهود الأمم المتحدة في هذا المجال إيمانا منها بالمبادئ السامية التي نص عليها الميثاق، وهي تتطلع إلى القيام بدور دولي أكثر فاعلية في إطار مبادرة تحالف الحضارات».

وأكد أن إثراء ثقافة السلام عملية تستوجب الإيمان والعمل الجاد على تفعيل مبادئ ثقافة السلام، مثل احترام حقوق الإنسان، وحرية الرأي والتعبير، وتطبيق العدل والمساواة، والقضاء على الفقر والبطالة، وتوعية الشعوب بمسؤولياتها في إحلال السلام.

وأضاف: «من المستحيل لشعب تسلب منه أبسط حقوقه في العيش الكريم أن تغرس فيه ثقافة السلام واللاعنف».

وناشد الراشد في هذا السياق جميع الدول الأعضاء «احترام هذه الحقوق وتطبيقها؛ كي نسمو بعالم أفضل يضمنا جميعا يسوده الود والتسامح والسلام».

وذكر أن أول عبارة نص عليها ميثاق المنظمة الدولية هي «نحن شعوب العالم»، أي: «نحن الشعوب المختلفة الذين أتينا من بيئات متباينة ولنا ثقافاتنا وحضاراتنا ومعتقداتنا الخاصة بنا، يجمعنا عالم واحد، نتشارك فيه جميعا لنشكل في النهاية معالم الحضارة الإنسانية».

وقال: إن الكويت تولي من هذا المنطلق أهمية عظمى لمسألة تعزيز ثقافة السلام، وتشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان، لاسيما في الوقت الحاضر الذي يشهد تزايد موجات التطرف والتعصب والكراهية بين الشعوب، وتفاقم قضايا انتهاكات حقوق الإنسان والتمييز العنصري وازدراء الأديان أو المساس برموزها.

وأوضح أن حوار الحضارات أو تحالفها لا يعني انصهار الأديان والمعتقدات أو حتى الثقافات، بل إن «الحضارة هي القبة التي تحوي ديانات وثقافات الشعوب»، وأن الهدف من الحوار بين الحضارات هو دراسة جذور الاختلاف ومعالجتها، وتعلم أخلاق الاختلاف والوقوف أمامها بتواضع.

وذكّر الراشد بالخطوات العملية والإيجابية التي اتخذتها دولة الكويت في مجال تفعيل حوار الحضارات، حيث سارعت للانضمام إلى مبادرة تحالف الحضارات، والتحقت بفريق أصدقاء التحالف إيمانا منها بأهمية الحوار الحضاري والتواصل بين الشعوب.

خطة وطنية

كما ذكر أن الكويت أعدت خطة وطنية للفترة ٢٠٠٩- ٢٠١١ تتوافق أهدافها مع أهداف مبادرة تحالف الحضارات، وترمي إلى ترسيخ ثقافة التسامح والسلام والاعتدال، وإلى محاصرة ظواهر الإرهاب والتطرف والعنف. وأسهمت هذه الخطة في تأصيل مفهوم الحوار الحضاري مع عدد من الثقافات على اختلاف مشاربها، وفي خلق الوعي الوسطي بين أفراد المجتمع من خلال برامج وأنشطة قامت بها الأجهزة المختصة في البلاد، مضيفا أن الدولة تعمل على اعتماد الخطة الوطنية الثالثة (٢٠١١-٢٠١٣).

وأشار إلى أن الكويت أنشأت مركزا عالميا للوسطية يدعو إلى الاعتدال في الأفكار، والوسطية في التعامل، وهما أساس ديننا الإسلامي الحنيف، إذ عقد هذا المركز عددا من الندوات والمؤتمرات الفكرية المحلية والدولية.

القلق مرض العصر.. كيف عالجه الإسلام؟

خلف أحمد أبوزيد

إن حياة الإنسان لا تسير على وتيرة واحدة، ولا تمضي على نمط واحد، بل هي خليط من التجارب المتنوعة والانفعالات والعواطف المختلفة، فالإنسان قد يشعر بالحب حينًا، وبالكره حينًا آخر، ويشعر بالخوف والقلق تارة وبالأمن والطمأنينة وسكينة النفس تارة أخرى، ويشعر بالفرح والسرور بعض الوقت وبالحزن والكآبة في بعض الأحيان، وهكذا تمضي حياة الإنسان في تغير مستمر وتقلب دائم، ويعد القلق من الأحاسيس المؤلمة وأساس المتاعب النفسية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، حتى أصبح خاصية عامة وعالمية، حيث إن أحدث تقرير لمنظمة الصحة العالمية، أثبت «أن ٢٥ ٪ من سكان العالم يشعرون بالتوتر والخوف والإحباط، وتوقع السوء، وحدوث ما يهدد حياتهم» (١)، ويعرف لنا علماء النفس القلق بأنه «انفعال يتسم بالخوف والتوجس من أشياء مرتقبة تنطوي على تهديد حقيقي أو مجهول، ويكون من المعقول أحيانًا أن نقلق للتحفز النشط ومواجهة الخطر، ولكن كثيرًا من المواقف المثيرة للقلق، لا يكون فيها الخطر حقيقيًا بل متوهمًا ومجهول المصدر» (٢)، ونتعرف عبر هذه السطور على أنواع القلق وأثره على الصحة الإنسانية، ثم الوسائل التي وضعها ديننا الإسلامي، من أجل النجاة منه.

يمكن لنا أن نقسم القلق إلى نوعين، قلق محمود، أو قلق ايجابي وهو موجود عند كل الناس، حيث إنه يمثل الحافز القوي لكل إنسان، لذا فإن البعض رفعه إلى درجة من الضرورية من أجل السعي نحو الهدف والتقدم في شتى مواقع الحياة، ولهذا النوع من القلق صور عديدة في حياتنا، نذكر منها على سبيل المثال، قلق التلميذ أثناء أداء الامتحان أو القلق الذي يصيبنا أثناء اتخاذ قرار هام، أو لقاء شخص ما، فمن خلال التوتر أو القلق الذي نظهره قبل حدوث هذه المواقف نهيئ أنفسنا لمواجهة هذه المواقف بنجاح، وأنه لو أتيح لنا أن ننجح في هذه المواقف ونتغلب على خجلنا وعوامل ضعفنا في اللقاءات الشخصية الهامة تاركين أثرًا طيبًا وايجابيًا في الآخرين، فإننا نشعر بالعرفان والشكر لمشاعر القلق السابقة لمساهمتها في دفعنا الإيجابي نحو النجاح، فإن أمثال هذه المواقف يعد نموذجًا طيبًا لما يسمى بالقلق الدافع، وهو قلق ضروري للنمو وللتطور بإمكاناتنا نحو تحقيق كثير من الغايات الإيجابية، وهو قلق مؤقت وقليل الحدة ومنشط لإمكانات الكائن النفسية والعضوية، وبعبارة أخرى فإن هذا نوع صحي ومحمود من القلق، وينطبق عليه قول العالم النفسي الأميركي «كاتل» بعد عرض كثير من نتائج بحوثه في هذا الميدان «بعض الناس يربط دائما بين القلق والمرض، ولكن القلق لا يكون دائما دليلا على المرض والعصاب، إن القلق يمكن أن يوجد بدرجة عالية دون عصاب، بل إنني أجد من نتائج دراساتي ما يؤكد أن وجود القلق قد يكون أحيانا علامة على الصحة والنضوج» (٣).

أما النوع الثاني من القلق وهو ما يطلق عليه علماء النفس القلق المذموم، أو القلق المرضي وهو قلق ضار ومعطل لإمكانات الإنسان نحو النمو السليم، وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي بصورة سليمة، من حيث إنه يقيد الشخصية بأوهام الخوف والفشل اللامنطقي ويمثل سلوكًا مدمرا، يدعو للهزيمة الذاتية والاضطراب، ونذكر هنا صورًا لهذا النوع من القلق المذموم، فعلى سبيل المثال، نموذج الطالب الذي يتملكه القلق في يوم الامتحان بصورة توقفه عن أداء الامتحان ذاته والهروب من الموقف كله، أو ذلك الزوج الذي يتملكه الخوف من الضعف الجنسي عند معاشرته لزوجته، بصورة قد تؤدي إلى إصابته بالعنة الجنسية، أو تلك الأم التي تخشى على أبنائها من أخطار الحياة، لدرجة توقف نموهم وتفاعلهم الايجابي بالحياة بحب فج وحرص بالغ، وهذا الطفل الذي يوقعه خوف الانفصال عن الأسرة في التحايل على الذهاب إلى المدرسة بالمرض أو التمارض كل صباح، فكل صورة من هذه الصور السابقة، يمثل

باحث دراسات إسلامية

صورة مختلفة لما يمكن أن نسميه بالقلق المرضي أو العصابي، الذي يمثل الشكوى الرئيسية للغالبية العظمى من الناس.

القلق والصحة الإنسانية

ويترك القلق آثارًا ضارة على صحة الإنسان الجسدية والنفسية، حيث إنه يحدث تغيرات غير سارة يرى العلماء أنها نتيجة للاستثارة الشديدة التي تحدث فيما يسمى بالجهاز العصبي السمبتاوي (الاستشاري) وهو أحد الأجهزة الرئيسية التي تنشط في مواقف الخطر والانفعال ويؤدي نشاطها إلى التأثير في الأعضاء المتصلة به، فتجحظ العيون أو تضيق، وتعرق الأيدي أو تبرد أطرافها، وتتزايد دقات القلب وتتسارع وتنقبض الأوعية الدموية، وتستثار بعض الغدد كالغدد الدمعية في حالات الحزن، ونجد في حالات القلق أن التغيرات العضوية تمتد لتشمل تسارع دقات القلب، جفاف الفم، الدوخة، العرق الشديد، الغصة وانحباس الصوت، وأحيانا الغثيان نتيجة لانقباض المعدة والتنميل في اليدين والقدمين، وصعوبات التنفس التي تكون إما على شكل العجز عن التنفس العميق أو التنفس السريع المتلاحق، كما يحدث القلق أيضا تغيرات عضوية عضلية، لعل من أهمها تصلب عضلات الظهر والرقبة والتصلب على امتداد عضلات الذراعين حتى أسفل الكتفين، وارتعاشات الأطراف والأصابع وزيادة اللوازم الحركية في الوجه بالذات في منطقة الفم والعينين نتيجة للتوتر العضلي الشديد، في هاتين المنطقتين، ولهذا نجد أن كثيرًا من المصابين بالقلق عادة ما يشكون من توترات العضلات وآلام الظهر وتقلبات المعدة، وما يصحب ذلك من اضطرابات الهضم، كما يرتبط التعبير عن القلق بآلام الصدر وضيق التنفس، مما يجعل الشخص يشك في الأمراض القلبية بالرغم من سلامة القلب، إلا أن هناك من الأبحاث ما يؤكد على أن الأشخاص الذين يتسم سلوكهم بالقلق المستمر والشكوى عادة ما يتعرضون فيما بعد لأمراض قلبية حقيقية، وترتفع لديهم أيضا الحالات المرضية المرتبطة بارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة والبول السكري والربو واكزيما الجلد، وإذا تركنا أثر القلق على الجسد الإنساني، إلى أثره على الصحة النفسية للإنسان، نجد أنه يقود الإنسان إلى الانقباض الشديد وعدم الطمأنينة والتفكير الملح، وقد يصل الأمر إذا استفحل إلى ما يعرف بعصاب القلق، وهو يتمثل في الوسواس والخضوع لفكرة ملحة مثل فكرة الموت، أو المرض أو المخاوف المرضية أو العصاب القهري مثل غسل اليدين المبالغ فيه، وعصاب القلق مرض يعاني منه نحو ٥٪ من أفراد المجتمع الأميركي، ونجمل أثر ما يحدثه القلق على النفس والبدن في هذه الكلمات للعالم «بيرتون» الذي يقول «كثيرة الآثار المؤلمة التي يتركها القلق على الإنسان بما في ذلك الشحوب أو احمرار البشرة والرجفة والعرق، وكثيرة آلام هؤلاء الذين يعيشون في خوف، إنهم لا يستطيعون أبدًا أن يتحرروا، أو أن يشعروا بالأمان، عزائمهم خاوية وآلامهم قاسية وحياتهم تخلو من البهجة، ولم أجد تعاسة أعظم، ولا ألمًا أطرى، ولا عذابًا أقسى من العذاب الذي يحيونه» (٤).

العلاج الإسلامي للقلق

بداية نؤكد على حقيقة هامة، أن الإسلام حل أزمات الإنسان المعاصر حلا كاملا، سواءً كانت أزمات روحية أو دينية أو نفسية أو خلقية أو اجتماعية، بما يضمن سعادة الإنسان ويحقق له الطمأنينة والاستقرار على أرض الواقع، ومن هذا المنطلق يهدينا الإسلام إلى الوسائل السليمة لاتقاء القلق، ويفرش لنا أرضًا صلبة نقف عليها بثبات وطمأنينة إذا ما تدبرناه وعقلناه، ومن ناحية العلاج نجد أن الإسلام، يقدم أساليب عالية لعلاج القلق تفوق وسائل

العلاج النفسي الحديث التي تمثلت في الاسترخاء، والعلاج الطبي بالأدوية المهدئة، هذا إلى جانب ألوان أخرى من العلاج، كالعلاج المهني وهو أن يشغل المريض بالعمل عن التفكير في مشكلته، أو التنويم المغناطيسي، ولا أحد ينكر أن علاج القلق بالوسائل الطبية والنفسية الحديثة، قد يجدي في بعض الحالات، وقد لا يجدي في بعضها الآخر، ذلك أن المدرسة الحديثة في الطب وعلم النفس لا تقدم حلا جذريًا للمشكلة، وإنما تقدم لنا علاجًا للأعراض، أما الأسباب فتضرب جذورها في الأعماق، ومن هنا أصبح القلق مرض العصر، إلا أن ديننا الإسلامي قد رسم المنهاج الأمثل، الذي يقينا شر الأمراض العضوية والنفسية، كما يدفع عنا الخوف والقلق، وقد حدد لنا المولى سبحانه وتعالى الخطوات الرشيدة التي تحقق لنا سبل السعادة، وتدرأ عنا أسباب القلق، ويمكن لنا أن نوجز العلاج الإسلامي للقلق فيما يلي.

١- الالتجاء إلى الله والتوكل عليه سبحانه

وأول ما يقضي على القلق، ويجلب السعادة والأمن والاطمئنان للإنسان هو الالتجاء إلى الله والتوكل عليه، قال تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا. ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(الطلاق:٢- ٣) فالإيمان بالله الممتزج بالتقوى والعمل الصالح مع التحلي بالصبر والتواصي بالخلق الحميد والرضا بقضاء الله خيره وشره، يورث الإنسان بشاشة الروح، وحلاوة النفس، قال تعالى ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ (هود: ١٢٣) ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل: ٩٧) فتقوى الله والإيمان به سبحانه، مع التوكل الحقيقي عليه يزيل عن الإنسان أسباب التوتر ويدفع عنه القلق، يقول «ديل كارينجي» صاحب أكبر مجموعة من مؤلفات علم النفس عن أثر الإيمان والالتجاء إلى الله في علاج القلق «إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي، وأن يشفيا هذه الأمراض» (٥)، ويقول «الكسيس كاريل» الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة، حول أثر الإيمان والتوكل على الله على صحة الإنسان النفسية «إن القلق والهموم يحدثان تغيرات عضوية، وأمراضًا حقيقية، وهي تضر بالصحة ضررًا بالغًا، وإن رجال الأعمال الذين لا يعرفون كيف يقون أنفسهم من الهموم يموتون في شرخ الشباب، ثم يتطرق إلى الذين يدينون بأحد الأديان ويصفهم بالبسطاء، ويقول كأن البسطاء يمكنهم أن يحسوا الله بنفس السهولة التي يحسون بها حرارة الشمس أو وجود صديق، إن الذين لا يكافحون القلق يموتون مبكرًا» (٦) وكأنما الكسيس كاريل أراد هنا أن يصف الإيمان بالبساطة، لما يراه من سلوك المؤمنين من هدوء وسكينة وعدم المغالاة في حياتهم الدينية، وأن هذا الإيمان أو البساطة، كما يقول هي التي تدفع القلق.

٢- الصلاة

والصلاة عامل أساسي لوقاية الإنسان من القلق والتوتر عملا بقوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة: ٤٥)، ولنا في رسول الله ﷺ، أعظم قدوة ونبراس فكان ﷺ، إذا حزبه أمر هرع إلى الصلاة وقال لبلال رضي الله عنه «أرحنا بها يا بلال» (رواه الطبراني في الكبير)، فالصلاة منبع السكينة وراحة القلب، ذلك أن الإنسان أثناءها، يمر بلحظات من الطهر والنقاء، لأنه يقف بين يدي الله يناجيه، فيسمع لشكواه وهمومه، فيزيل ما يسبب شكواه، كما أن إقامة الصلاة في وقتها تحقق للإنسان السعادة العالية والمتعة الراقية، التي تجعلنا نستهين بآلام الحياة ومتاعبها، ولكن على المسلم أن يؤدي الصلاة في خشوع، هذا الخشوع الذي دعى اليه الخالق عز وجل بقوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون:١- ٢) هذه الصلاة الخاشعة التي تمد الإنسان بالطاقة الروحية وتوثق الصلة بالله عز

وجل، وكثير من علماء النفس الغربيين، أصبحوا يعتبرون الصلاة، أهم أداة لبعث الطمأنينة في النفوس، ولكن أين هي من صلاة المسلم التي تقربه من الله، إذا ما أداها المسلم حقًا في خشوع وهدوء وسكينة ورضا وطمأنينة.

٣- ذكر الله

كما من الأمور التي تدفع أسباب القلق والتوتر، حرص المسلم على ذكر الله سبحانه وتعالى، عملا بقوله جل جلاله ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: ٢٨)، ذلك أنه إذا اطمأنت القلوب، وهدأت النفوس واستقرت زال عنها كل خوف وقلق، في حين أن الإنسان الذي يعرض عن ذكر الله هو قاسي القلب جاحد النعمة، بعيد عن الروحانيات، طغت عليه المادة، ولذلك فهو يعيش حياة شديدة القلق مليئة بالمنغصات، مصداقًا لقوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤)، والضنك هو الشقاء الشديد.

٤- الدعاء

إذا كان بعض العلماء النفسيين في الغرب أمثال الدكتور «رورهلفروج» يقول «إن من الأدوية الشافية للقلق إفضاء الشاكي بمتاعبه، إلى شخص يثق فيه، حيث إن تحدث المرضى عن متاعبهم بإسهاب وتفصيل، ينفي القلق من أذهانهم، فإن مجرد اجترار الشكوى فيه شفاء» وعلى هذا فإن الإفضاء بالمتاعب إلى شخص، أصبح من الوسائل العلاجية المعمول بها الآن، في كل المستشفيات النفسية والعصبية، كما ينصح الأطباء النفسيون باختيار الشخص الذي نفضي إليه، فليس كل شخص يمكن الإفضاء إليه، وإنما المهم الإحساس بأن هذا الشخص يسمع ويحس ويعين (٧)، وقد يساور الإنسان الخوف أو القلق من الإنسان الذي يحكي له فيصيب نفسه بعض الشك الذي يجعله أشد قلقاً من قبل، ولكن اللجوء إلى الله بالدعاء وإفراغ المتاعب النفسية والهموم إليه سبحانه، يعد خير وسيلة للوقاية من القلق، قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة: ١٨٦) ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ (غافر: ٦٠)، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة وأعظم نبراس في ذلك، فقد كان عليه الصلاة والسلام إذا لحق به شيء من عوارض الحياة كالشدة والكرب والغضب وعسر المعيشة، لجأ إلى ربه بالتضرع والدعاء، ومن الأدعية التي علمنا إياها رسول الله ﷺ لمنع الأرق والرؤى والكرب قوله عليه الصلاة والسلام «إذا فزع أحدكم في النوم، فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون فإنها لا تضره» (رواه أحمد والترمذي)، كما أن هناك أدعية بالفرج من هموم النفس فباب الله مفتوح على مصراعيه لكل صاحب هم، إذا ما توجه إلى الله بقلبه وكيانه، فعن الرسول ﷺ قال «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال اللهم إنما أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسالك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا، فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ قال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها» (رواه أحمد في مسنده).

٥- تلاوة القرآن

كما أن تلاوة القرآن الكريم تبعث في نفس المسلم الهدوء وسكينة النفس وطمأنينة القلب، قال تعالى ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ (فصلت: ٤٤) ﴿يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ (يونس: ٥٧) ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء: ٨٢)، فهل نستطيع بعد وعد الله عز وجل بأن القرآن شفاء ورحمة وهدوء وطمأنينة للمؤمنين من أن نستفيد منه في الخلاص من القلق وما يدعو إلى التوتر ومشاعر اليأس والإحباط؟

أخيرًا

وفي النهاية نقول، إذا كنا اليوم قد افتقدنا عنصري الرضا والأمن النفسي، وهما جناحا السعادة والهناء، وإذا كنا نحيا دائما بين الحزن على ما فات والخوف مما هو آت، وإذا كنا لا نستطيع أن نقتلع الأحزان والخوف والقلق من نفوسنا بمجرد الرغبة في ذلك، فإننا نستطيع على الجانب الآخر أن نتمسك بالدين قولا وعملا ونتحلى بالخلق الكريم، ولنقرأ دائما قوله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ (الحديد: ٢٢ - ٢٣).

الهوامش

١- مجلة منار الإسلام، العدد الأول السنة ٢٦، محرم ١٤٢١هجرية، إبريل ٢٠٠٠ ميلادية.
٢- القلق قيود من الوهم، د/ عبدالستار إبراهيم، الناشر دار الهلال بالقاهرة، ص ١٣.
٣- المصدر السابق، ص ١٦.
٤- المصدر السابق، ص ٣٢.
٥- الصلاة وصحة الإنسان، حلمي الخولي، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ١٢٩، ص ٨٧.
٦- المصدر السابق، ص ١٢٦.
٧- الإسلام والعلم الحديث، د/ عبدالرزاق نوفل، ص ١٠٢.

المنهج النبوي في التعامل مع مشكلة البطالة

سعاد كوريم

لا مناص للمتأمل في كيفية تعامل النبي ﷺ مع مشكلة البطالة من أن يلحظ عنايته الخاصة بتصحيح الاعتقاد تمهيدًا لتصحيح السلوك. فالنبي ﷺ لم يقدم فقط حلولا عملية تمكن العاطلين من إيجاد عمل على الفور، ولكنه قبل ذلك ومعه قدم علاجًا تصوريًا تنبيها منه إلى أن تغيير الاعتقاد مدخل أساسي إلى تغيير السلوك وإلى ضمان استمرار ذلك التغيير. وتزداد أولوية العلاج التصوري تأكيدًا بالنظر إلى أن السبب في بطالة العديد من العاطلين هو سبب اعتقادي وتصوري نابع من عدم تحمسهم للعمل أو من عدم رغبتهم فيه.

إن الانتقال من البطالة إلى العمل هو انتقال من الراحة إلى التعب، ولما كان الإنسان ميالا بطبعه إلى كل ما فيه راحة له اقتضى نقلُه من كره العمل إلى محبته ومن محبة البطالة إلى كرهها غرس مجموعة من القيم التي من شأنها إن حكمت حركات الإنسان والسكنات أن تنقله من ضنك العيش إلى رغد الحياة، ومن هذه القيم قيمة العمل التي كان النبي ﷺ يروم تربية المسلمين على احترامها وإعطائها حظا وافرا من التقييم. ويكشف لنا تأمل مجموعة من النصوص عن كيفية ترسيخ النبي ﷺ لقيمة العمل في وعي الإنسان المسلم:

١- يقول الله تعالى مخاطبا النبي ﷺ: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾(الشرح: ٧) فهذه آية من القرآن، وهي خطاب مباشر للنبي ﷺ الذي كان خُلقه القرآن. ويعني تخلق النبي بها أنه كان يمتثل للأمر الرباني الذي تحمله، فيحوله إلى شعار يرفعه وسلوك يمارسه. وهذه الآية وإن كانت خطابا موجها للنبي ﷺ ابتداء فإنها خطاب لنا أيضا انتهاء، وذلك من جهة أن النبي ﷺ قدوة للمسلمين، ومن جهة أن ما كان خطابا له- مما لم يكن مختصا به- فهو خطاب لعموم المسلمين.

بالتأمل في هذه الآية يتبين أن الله تعالى يطالب النبي ﷺ ويطالبنا من خلاله بالحراك المتواصل. ومعنى ذلك أن المؤمن ينبغي أن يكون في حركة دؤوب تصاحبه في كل آونة وحين، أي في حال انشغاله بالعمل وفي حال فراغه منه. ولا يصطدم ذلك مع إقرار الإسلام بالحاجة الفطرية لدى الإنسان إلى الراحة من تعب العمل، فالإسلام يقر بمبدأ الراحة وبحاجة الإنسان الفطرية إليها حين يجعل لأبداننا علينا حقا، ولكنه في نفس الوقت لا يريدها راحة خاملة سلبية، وإنما يريدها راحة يتحول فيها وقت الفراغ من نعمة مغبونة إلى نعمة مضمونة، بحيث يستفيد منها صاحبها متعة بالراحة وأجرا أخرويا على تلك الراحة. فيكون له بدل الأجر أجران؛ أجر على الراحة بالعمل مع أجره على العمل. وهذه مرتبة أعلى من مرتبة من يطلب الراحة من العمل لتكون عونا له على العمل؛ إنها مرتبة من يجد راحته فيما يطلب غيره الراحة منه. ومن هنا يمكن القول إن الله سبحانه وتعالى قد أراد من النبي ﷺ وأراد منا جميعا أن نكون في نشاط وعمل طيلة الحياة، فلا فجوة بين عمل وعمل إلا ويملؤها عمل.

٢- عن المقدام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده.» (البخاري).

بالتأمل في هذا الحديث النبوي يمكن ملاحظة أمرين؛ أحدهما هو التركيز على كون العمل عبادة مطلوبة من الجميع بما في ذلك الأنبياء أنفسهم. فإذا جاز في حق أحد من الخلق ألا يتعبد بعبادة العمل ويكتفي بعمل العبادة فهم الأنبياء، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لم يستثنوا من هذا النوع من العبادة، بل كانوا نموذجا رياديا يزاول العمل ويرفع من قيمته. ويظهر ذلك من خلال تتبع سيَرهم التي يتبين من خلالها أن مزاولة العملَ كان من هدي الأنبياء والرسل جميعا. فعلى الرغم مما يشغلهم من أمر الرسالة والدعوة إلى الله، وعلى الرغم من أنهم خير البشر-

باحثة في الدراسات القرآنية، جامعة مولاي اسماعيل - مكناس، المغرب.

وهما سببان كافيان لإعفائهم من العمل وجعلهم مخدومين طوال حياتهم- فإنهم كانوا أصحاب مهن. فقد احترف آدم عليه السلام الزراعة، واحترف نوح عليه السلام النجارة، واحترف داود عليه السلام الحدادة، واحترف محمد ﷺ التجارة، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانوا جميعا رعاة غنم. إذن فلا الانشغال بأعظم مهمة على وجه الأرض ولا الخيرية على جميع من في الأرض كافيان لتبرير البطالة.

الأمر الثاني هو تصحيح المنظار الذي ننظر به والمعيار الذي نُقيم من خلاله ما نستهلكه. فخيرية المواد الاستهلاكية على وجه العموم تابعة في العادة لمؤشر الجودة أو النفعية أو الموضة أو غيرها من المؤشرات التي يتعارف عليها الناس في حياتهم ويصنفون بحسبها سلم أولوياتهم الاستهلاكية. لكن النبي ﷺ يقلب هذه المعايير جميعا، ويقدم بدلها الميزان الحقيقي الذي ينبغي أن يكون وحده في مقدمة معايير الخيرية، بل لعله ينبغي أن يكون هو وحده معيار تلك الخيرية، إنه معيار السعي والكسب بعمل اليد، فالمادة الاستهلاكية الأحسن على وجه الإطلاق هي تلك التي نحصل عليها نتيجة كد وكسب وعمل نعتمد فيه على أنفسنا، وليست هي تلك التي تكون نتيجة كد وكسب وعمل

السبب الرئيسي في البطالة نابع من عدم التحمس للعمل أو عدم الرغبة فيه

الآخرين، فالعاطل وإن كان محيطه يوفر له أحيانا أجود الطعام وأحدث اللباس فإنه يكون كمن يأكل طعاما رديئا ويلبس ثيابا رثة. إذن فما نستهلكه لا يكتسب قيمته من ذاته أو مما تضفيه عليه نظرة المجتمع من قيمة، ولكن كيفية حصول المستهلِك عليه هي التي تكسبه ما يستحق من قيمة.

٣- حدثنا هشام بن زيد قال سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليفعل» (رواه أحمد).

بالتأمل في هذا الحديث النبوي يمكن ملاحظة أمرين؛ أحدهما مرتبط بحال العمل والثاني بحال العامل، أما الأمر الأول فمفاده أننا مطالبون بالقيام بالعمل لذاته، وبصرف النظر عن ثمرته. فالإنسان ينبغي أن يعمل لأن العمل مقدس ولأن العمل عبادة، حتى ولو كان متيقنا بأنه لن يتمتع برؤية نتيجة ذلك العمل الذي يقوم به، بل حتى ولو لم تكن لذلك العمل نتيجة مرجوة أصلا كما هو الحال في غرس الفسيلة التي لن تصير نخلة لأنها غُرست قُبيل قيام الساعة. إن الصورة التي يضعها الحديث بين أيدينا هي أقصى صور عدم نفعية العمل وعدم جدواه. فإذا كان الإنسان مطالبا في هذه الصورة بالانخراط في عمل منتج فهو مطالب بذلك فيما دونها من الصور من باب أولى. ويعني هذا أن الإنسان مطالب بالعمل طالما كان ذلك العمل منتجا وإيجابيا، وأنه لا ينبغي له تفضيل حياة البطالة بناء على توهم كون عمله غير مرجو النفع له أو غير مرجو النفع على الإطلاق. وإذا لم يكن تَيَقُّنُ عدم النفع سببا كافيا للتوقف عن العمل فكيف يكون تَوَهُّم عدم النفع مبررا كافيا للعزوف عن العمل؟

الأمر الثاني مفاده أن الإنسان مطالب بالعمل في جميع أحواله هو، بما في ذلك تلك الدقائق الأخيرة التي يوقن فيها بانتهاء حياته، بل وبانتهاء الحياة على وجه الأرض. فإذا كان الإنسان مطالبا بالعمل في أكثر اللحظات حسما في تاريخه وفي تاريخ البشرية جمعاء فهو مطالب بالعمل في أقل تلك اللحظات حسما من باب أولى. واليومُ الذي تقوم فيه الساعة ليس هو اليوم الأخير في حياة الناس الدنيا فحسب ولكنه أكثر الأيام خطورة في حياتهم أيضا، وذلك بالنظر إلى ما يصحبه من تغيرات طبيعية وكونية مما هو مذكور في علامات الساعة الكبرى. وموقف كهذا يفترض أن يذهل فيه الناس عن أنفسهم، وأن تعمهم الفوضى وتغمرهم أحاسيس الرهبة والذعر. ومع ذلك، وفي عز اليوم الذي يؤرخ لنهاية العالم، يطالب الإنسان بالعمل وإعمار الأرض. فمهما قاس الإنسان خطورة أيام حياته مجتمعة إلى خطورة ذلك اليوم الذي طولب فيه بالعمل فإنه لن يجد فيها من الخطورة ما يكفي لإعفائه من العمل.

خاتمة: تشترك النصوص السابقة في ترسيخ قيمة العمل من خلال اعتباره عبادة. وفي ذلك استثمارٌ لأكبر مهمة خلق الله لأجلها الإنسان على وجه الأرض، أي مهمة العبادة، وتحديدٌ لموقع العمل منها حتى يعي المسلم العاطل موقعه بالنسبة إلى المسلم العامل، ويعي موقعه داخل خريطة المجتمع، بل وداخل خريطة الوجود كله. ووضع مشكلة البطالة في هذا المقام من الخطورة ينبه المسلم العاطل على خطورة مقامه، ويغير نظرته إلى طريقته في الحياة ويغير معها حكمه على تلك الحياة. وتغيير التصور مشفوعا بتغيير الحكم هما المدخل المناسب لتغيير السلوك.

كيفية تعزيز الوقف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين

شيرين حسن مبروك

المُعنُ بالنظر إلى ما يجري في قطاع الأوقاف لدعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين، وما تؤكده الإحصاءات من تأكيد ضعف الإنفاق على مشاريع التعليم العالي اللازمة لمختلف مؤسساته، وما ينعكس على نوعية التعليم العالي في فلسطين، تحقيقًا للتلاحم والتفاعل المتميز بين المؤسسات التعليمية للتعليم العالي وقطاع الأوقاف، وتلبية لحاجات ومتطلبات التنمية، ووصولًا لهذا التميز والتفرد، يعلم حاجة المؤسسات التعليمية للتعليم العالي إلى تمويل مناسب من خلال الأوقاف لدعم مشاريع التعليم العالي من أجل تحسين نوعية التعليم الذي نريده، وأُعدت هذه الدراسة، لتكشف عن كيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين وانعكاساته على نوعية التعليم. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن ضعف الإنفاق على التعليم العالي في مختلف مؤسساته وأن دور الأوقاف في تمويل تلك المؤسسات ومشاريعها متدن، مما ينعكس على نوعية وجودة التعليم والمتعلم.

أوصت هذه الدراسة التي تقدمت بها إلى مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية الذي أقيم مؤخرًا بضرورة تفعيل دور المؤسسات الوقفية للخدمات التعليمية من أجل دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين، والتنمية الشاملة التي ننشدها لا يمكن أن تنجح إلا إذا نشرت الوعي بين أهلها بأهمية الوقف على الأعمال الخيرية والاجتماعية، وأفسحت المجال للمجتمع ولأهل الخير لتحمل جزءًا من أعباء الخدمات الاجتماعية ومنها الخدمات التعليمية، بالإضافة إلى أن تطوير نظام الأوقاف، إدارةً وتسييرًا واستثمارًا وأحكامًا، يقتضي تضافر جهود المسؤولين والفقهاء والمفكرين والاقتصاديين.

إلى جانب أن التخطيط للاستقلال المادي للتعليم العالي يمكنها من تحقيق أهدافها من خلال أموال الوقف، وهذا يتطلب إنشاء مجلس وقفي لكل مؤسسة من هذه المؤسسات يحقق من خلاله أهدافها ويحل مشكلاتها.

ويُعد الوقف الإسلامي من أسمى الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت في بناء المجتمعات الإسلامية على مر العصور، وقد لعبت الأوقاف دورًا حيويًا علي مدار التاريخ في كل المجالات العلمية، فأسست دور العلم وتم الإنفاق على طلابها ومعلميها من أموال الأوقاف الموقوفة لتلك الدور، لذا فقد انتشرت فكرة الوقف الخيري الإسلامي لتضمن استمرارية الإنفاق على العمل الخيري من ريع ما أُوقف عليه، وحتى لا يعتمد العمل الخيري على تبرعات متقطعة ينتهي أمرها إذا توقفت هذه التبرعات.

لقد كان الوقف من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي للبلاد الإسلامية، حيث أسهم في بناء صروح العلم ونشرها، وتخرج من هذه المؤسسات العلمية المرموقة عدد من العلماء في شتى فروع المعرفة البشرية مثل الخوارزمي وجابر بن حيان وغيرهما، ولم يصل هؤلاء إلى ما وصلوا إليه إلا بالدعم المالي الذي توفر لهم من قبل الأوقاف (١) ليتمكنوا من التحصيل العلمي.

إن إحياء نظام الوقف وفتح المجال التعليمي له لا يعني تحويل المؤسسات التعليمية إلى مؤسسات دينية، بل يعني إيجاد قطاع إضافي لا يشكل عبئًا جديدًا على ميزانية الحكومة، قطاع يفتح أفقًا جديدًا للعملية التعليمية من أجل المعاصرة.

إن إحياء نظام الوقف بشكل يتناسب مع العصر أصبح ضرورة ملحة للإنسان المعاصر، حيث إن الوقف هو مصدر التمويل من أجل الاستثمار في رأس المال البشري، فهو من الركائز الأساسية لتحقيق نهضة تنموية شاملة، وذلك يتوقف على حسن إعداده واستثماره، ومن ثم فإن ما تحتاج إليه بلادنا يكمن في عملها لدعم القدرات الوطنية من خلال استثمار الطاقات البشرية، أي من خلال نظام قادر على إعداد نموذج «إنسان التنمية»، خاصة أن كثيرًا من المرافق الخدمية والدينية والصحية والتعليمية تكلف الدولة في الوقت الراهن كثيرًا من الإنفاق، وعلى سبيل المثال الأوقاف الخيرية في مصر التي يصل عددها إلى ما يقرب من ٢٢٠٠٠ وقف خيري (٢) تنهض بأعبائها وتتضافر مع الدولة في إحداث استثمار في رأس المال البشرى، خاصة أن التقدم العلمي الذي تعاصره يتطلب نوعًا من الاستثمار في البشر بما لم يتطلبه أي عصر سابق.

خبيرة بمركز تطوير المناهج والمواد التعليمية في وزارة التربية والتعليم- مصر

الوقف في فلسطين

تعتبر فلسطين كما باقي بلاد الشام والبلاد العربية بشكل عام من أكثر البلاد أوقافًا، حيث إن الوقفيات فيها شملت مختلف أنواع الوقف من خيري وأهلي ومشترك بينهما. وتزخر مدينة القدس بأرشيف عثماني مهم يتمثل في سجلات المحكمة الشرعية في القدس التي يعود أقدمها إلى العام ٩٣٥هـ/١٥٢٨م، وفي مخلّفات الأوقاف الإسلامية من الوثائق والمخطوطات العربية والعثمانية والفرمانات والدفاتر العثمانية الخاصة بالأراضي والضرائب(٣).

ينقسم الوقف في مدينة القدس إلى قسمين هما الوقف الخيري والوقف الذُّري (الأهلي).

١ - الوقف الخيري في القدس

كانت وقفية خاصكي سلطان أبرز نماذج الوقف الخيري في مدينة القدس في العهد العثماني، وتُعد أكبر وقفية عرفتها السجلات الشرعية طوال هذا العهد، حيث شملت محبساتها عقارات وأراضي وضياعًا ومنشآت موزّعة في كثير من أراضي بلاد الشام، ويعود النفع العام للأوقاف الخيرية على أعمال الخير كالحرمين المكي والنبوي الشريفين، أوالحرم القدسي الشريف، أو المساجد، أو المؤسسات الدينية والعلمية والصوفية، أو الفقراء والمساكين.

٢- الوقف الذري في القدس

ازدهر هذا النوع من الوقف في مدينة القدس في العهد العثماني، وكانت واردات الوقف الذري تؤول غالبًا إلى مستحقيها من ذرّية الواقف أو إلى من يشترط فيهم من العلماء أو الشيوخ أو رجال الدين والصوفية، وقد امتلأت السجلات الشرعية بهذا النمط من الوقفيات التي مهّدت لقيام اقتصاد مقدسي متين مبني على أسس يحكمها الشرع الشريف، وقد اشترط في الوقف الذري أن يؤول في آخره إلى منفعة برٍّ لا تنقطع، كأن يؤول إلى قبة الصخرة المشرفة أو مساكين وفقراء المسلمين على

الوقف من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي للبلاد الإسلامية

نحو يحمي الواقف بمقتضاها أموال الوقفَ من ملاحقة الضريبة، لأنها ستؤول في النهاية كما يشترط الواقف إلى جهات خيرية.

لا يوجد حتى الآن إحصائية شاملة لعدد الوقفيات التي تعود إلى العهد العثماني في مدينة القدس، وكان المرحوم الشيخ أسعد الإمام الحسيني قد أعدَّ بمساعدة آخرين فهرسًا لأوائل سجلات المحكمة الشرعية في القدس، وأشار خلال فهرسه هذا إلى نصوص الوقفيات التي عثر عليها بين هذه السجلات، إلا أنّ عمله هذا- رغم الجهد الواضح فيه- ما كان ليشفي غليل الباحثين على نحو أكاديمي، ولا حتى الذين يبحثون عن ضالّتهم وحقوقهم في العقارات الوقفية بسبب توقف المشروع في مرحلة مبكرة كانت تغطي فقط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

إنّ عدد الوقفيات العثمانية في القدس غير معروفة إلى اليوم، ومن خلال قراءات متأنية للمحاضر في السجلات الشرعية ودفاتر الأرشيف العثماني يمكن القول إنّ هناك كنز حقيقي من عدّة مئات من الوقفيات التي تحكي تاريخ القدس، إلا أنّ عملية إحصاء جميع الوقفيات العثمانية في القدس تعد مشروعًا كبيرًا بحاجة إلى جهد كبير ودعم مؤسسات تعنى بنشر التراث (٤).

ومازالت بعض هذه الأوقاف شاهدة على الدور العظيم الذي لعبته مؤسسة الوقف يومًا في بناء المجتمع العربي في فلسطين (وبلاد الشام في الأصل هي أرض وقف وقفها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الأمة الإسلامية منذ فتحها)، إلى أن عمل الاحتلال البريطاني لتدمير هذه المؤسسة بكل السبل حتى لا تكون الملجأ والمنطلق لأبناء المجتمع الفلسطيني (بعد أن أهملتهم الأنظمة الوطنية والقطرية المحيطة بهم وخذلتهم في وقت كانوا ومازالوا في أمس الحاجة لتضامن إخوانهم العرب معهم شعوبًا ودولًا) وللأسف الشديد كما حال باقي البلاد العربية، فإن تدمير مؤسسة الوقف وإهمالها لم يكن هدف الاحتلال وحده، وإنما ساهمت في ذلك الدول العربية التي حكمت بشكل أو بآخر أجزاء من فلسطين إبان هذه الفترة (الأردن في الضفة ومصر في غزة).

ولم تشذ السلطة الفلسطينية عن قاعدة الدول العربية في ذلك، إلا أنه يسجل للأردن حفاظها على بعض أوقاف القدس كهياكل وليس كمؤسسة، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث مستقل حتى يستوفي كل جوانبه، وسأكتفي هذا بالإشارة إلى مثال عن السياسة الصهيونية تجاه الأوقاف في فلسطين وإشارة رمزية إلى دور الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوقت الراهن رغم سيطرة (الدولة) على مختلف جوانب الوقف عينًا وتصرفًا.

الحقيقة إن هذه الدراسة قدمت بيانات وإحصائيات للأوقاف لكن هذه الخطوة لا تشكل إلا درجة أولى في سلم أولويات الوقف حتى يقوم بالدور المطلوب منه أو الذي يستطيع أن يضطلع فيه هذا النظام في خدمة المجتمع وعلى كل المستويات.

من سمات المرحلة الراهنة لمجتمعنا الفلسطيني- والمجتمعات العربية عمومًا- أنها المرحلة الأكثر إظلامًا وتراجعًا وتخلفًا من كل ما سبقها من مراحل في التاريخ المعاصر والحديث، وهي مرحلة تختمر فيها العوامل التي تدفع نحو تزايد الأزمات اللاحقة على كل صعيد، إذا استمر تقاعس قوى وعناصر النهوض والتغيير عن إدراك

طبيعة التحديات التي نواجهها، وبناء الأطر السياسية المنظمة كأدوات تغييرية تحدد كيفية التعامل الإيجابي مع تلك التحديات بفاعلية وعمق.

وفي هذا السياق فإن التطور العلمي والبحث العلمي في العلوم والمعرفة يشكل واحدًا من التحديات الأساسية الإستراتيجية، يوفر لنا- عبر تحققه- مدخلًا وأداة في مواجهة سلبيات التحديات التاريخية الموروثة والمعاصرة من جهة، ومواجهة تحديات التبعية والتخلف من جهة أخرى، وهو أمر مرهون بتطوير النظام التعليمي ووقف هذا التدهور الذي تعرض له طوال سنوات الاحتلال واستمر- بشكل أو بآخر خلال السنوات الماضية من عمر السلطة الفلسطينية في ظل تفاقم حالات الفقر والبطالة والغلاء وتدهور مستوى الأجور وعديد من العوامل الأخرى التي أدت إلى ارتفاع نسبة التسرب من المدارس بعد المرحلة الأساسية من الفئات العمرية من ١٦-١٨ سنة وغالبيتهم ينتمون إلى أسر فقيرة ومعدمة.

لذلك كله فإن شرط الحداثة أو التحديث، في التعليم أو غيره، من جوانب التطور الاجتماعي هو التحرر من كل المعوقات الخارجية والداخلية بما في ذلك تعميم الوعي بالهوية الوطنية والقومية والحقوق التاريخية في المناهج التعليمية ورفض الاستجابة لمطالب العدو الصهيوني في تعديل المناهج التعليمية بما يستجيب لعملية التطبيع السياسي والثقافي من جهة، وبما يستهدف شطب كل ما يتعلق بحقوق شعبنا التاريخية في وطننا من جهة أخرى(٥)، فليست المشكلة هي مجرد تحديث المناهج فحسب، وإنما في تغيير الواقع من أجل التحرر والاستقلال وتأسيس النظام السياسي الدستوري وفق قواعد التنوير والعقل والحداثة في خدمة الهوية الوطنية والقومية، بما يمكننا من الخروج على قيود الاحتلال والتبعية والتخلف، إذ إن استمرار بقاء هذه القيود سيحول دون تحديث المناهج التعليمية في بلادنا من جهة، ويعزز بقاء عوامل الخلل وغياب التوازن الاجتماعي الداخلي لصالح أبناء رموز وشرائح الفساد والتحالف الطبقي الطفيلي الكومبرادوري البيروقراطي، مقابل استمرار حرمان أبناء الفقراء (الأغلبية الساحقة) من الحصول على فرص التعليم وممارسة دورهم الإيجابي الرائد في المشاركة السياسية الاجتماعية الفعالة في توجيه وقيادة المجتمع.

إحياء نظام الوقف بشكل يتناسب مع العصر أصبح ضرورة ملحة للإنسان المعاصر

إن انطلاقنا من النظرة الاجتماعية السياسية لقضية التعليم يعني بوضوح الدعوة إلى إلغاء كل الأسباب والشروط التي تحول دون التحاق أبناء الفقراء بالجامعات والدراسات العليا، وفي كل التخصصات، هذه الدعوة تتضمن بالطبع وقف كل مظاهر الفساد والإنفاق الباذخ وكل السياسات والممارسات المعادية للفئات الشعبية الضارة بالنظام التعليمي عمومًا، والجامعي بصورة خاصة، وهي دعوة تغييرية تقوم على رؤية حزبية سياسية يجب أن تعتمدها الطليعة اليسارية الماركسية في بلادنا لتحقيق أهداف ومصالح جماهيرنا الشعبية في التحرر الوطني والديموقراطي بكل جوانبه، فإصلاح النظام التعليمي أمر شبه مستحيل إذا لم يكن متوازيًا مع إصلاح وتطوير القطاعات الوطنية الأخرى في الصحة والاقتصاد والزراعة والأجور والقوانين، وقبل كل شيء في النظام السياسي الديموقراطي العام.

الرؤية المستقبلية

إن قضية تطوير التعليم العالي والاستثمار البشري الذي يعتبر الاستثمار الأمثل للموارد البشرية تستحق أن نخطط لها من أجل إعداد وتكوين المواطن القادر على مواجهة تحديات المستقبل، لهذا كانت هناك حاجة ماسة إلى بناء سيناريوهات مستقبلية بديلة لدور الوقف الإسلامي في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين في ضوء تحديات المستقبل، لتساعدنا على فهم الاختيارات والبدائل والقرارات التي ينبغي اتخاذها في الوقت الحاضر للوصول إلى الوضع المستقبلي المرغوب فيه، ويقدم البحث الحالي ملامح تصور لسيناريوهات ثلاثة تجمع بين المتوقع والمأمول في التعليم العالي وهي:

السيناريو المرجعي حتى عام ٢٠٢٠م

وهذا السيناريو قائم على فرضية مؤداها الامتداد المنطقي للتطورات الراهنة، وذلك فيما لو استمر النمط الحالي لردود فعل السلطة الحاكمة والعوامل الاجتماعية الأخرى اتجاه التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية، دون حدوث تغيرات جوهرية في السياسات المؤثرة على الوقف الإسلامي في دوره للتعليم العالي، وتعتمد الفكرة الأساسية لهذا السيناريو على الإبقاء على الشكل الحالي والملامح الرئيسية للتعليم العالي وتجنب إحداث طفرة كبيرة في الاستثمار البشري ومصادر التمويل والأهداف العامة وآلية الوقف الإسلامي.

السيناريو الابتكاري حتى عام ٢٠٢٠ م

وهذا السيناريو قائم على فرضية مؤداها إطلاق طاقات الإبداع والابتكار الكامنة في المجتمع من أجل التنمية المستدامة في جميع المجالات، ويستند هذا السيناريو على الفروض التالية:

سيادة نظام اقتصادي جديد يقوم على فكرة الأخذ بمميزات الرأسمالية والاشتراكية السابقة بما يتفق مع مميزات الاقتصاد الإسلامي.

تسيطر الدولة على توجيه التعليم، وتضع السياسات العامة لتطويره جذريًا، بغية إنتاج نخبة متميزة من المتعلمين، وكذلك لتطوير منظومة العلم والتكنولوجيا، ولكن الدور الأساسي في التنمية العلمية والتكنولوجية والاقتصادية سيكون للقطاع الخاص.

المنهج الجديد في إدارة شؤون المجتمع والدولة يزداد فيه المكون العلمي في أسلوب اتخاذ القرارات، حيث تعطى فيه اعتبارات الجدية والكفاءة والانضباط أولوية كبرى.

السعي نحو التقدم الاقتصادي، والقدرة على التنافس والتعامل مع الأوضاع المحيطة المحلية والعالمية، وإبراز مدى التفوق من خلال مجالات التعليم والبحث العلمي، مع الأخذ في الاعتبار أن القوى الغالبة على الحكم هي الشرائح الرأسمالية التي يغلب على نشاطها الطابع الإنتاجي والشرائح العليا والوسطى من الطبقة الوسطى، وبعض الشرائح العمالية.

- مؤشرات التصور المقترح لكيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين حتى عام ٢٠٢٠ في ظل السيناريو الابتكاري.

طرق الإحياء

في ضوء ما تم عرضه في الإطار النظري للدراسة من طرق لكيفية تعزيز الأوقاف في دعم مشاريع التعليم العالي في فلسطين، يمكن تحديد مجموعة من الطرق لإحيائه:

قيام مؤسسات اقتصادية ترعى الأوقاف على العلم، ومنها الجامعات والمعاهد العليا، حيث ترعى إدارة الوقف مع خضوع تلك المؤسسات لهيئات رقابية قضائية، وتخضع لنظام محاسبي واضح.

وضع خطط اقتصادية ترعى حاجات المجتمع فيما يتعلق بالوقف على الجامعات والمعاهد العليا بحيث ترعى حاجات المجتمع في هذا الجانب، وذلك من خلال إعداد خطط تطرح فيها عددًا من المشاريع المهمة للجامعات والمعاهد العليا.

الاستفادة من الجمعيات الخيرية الموجودة، وذلك من خلال تقديم القدوة لأفراد المجتمع، لاسيما أولئك الذين لديهم إمكانيات مالية، لاسيما أن الوقف من الركائز الجوهرية المهمة في الإنفاق على مختلف المشروعات، ويتسم بالدوام والاستمرارية.

في ظل هذا السيناريو ستعلو مكانة التعليم العالي، وستزداد مسؤوليته في إعداد المواطن المبدع والقادر على المبادأة والنقد والابتكار، وستصبح عناصر التعليم العالي على النحو الذي يجعل العلم والفكر والثقافة في متناول الجميع خارج وداخل مؤسسات التعليم العالي، ويدخل البعد المهني والإنساني والثقافي في إعداد طلاب التعليم العالي.

ويمكن إيجاد مصادر جديدة للإسهام في تمويل التعليم العالي عن طريق أموال الوقف من خلال:

تأجير الأبنية والمرافق بالجامعات والمعاهد العليا في العطلات الصيفية والحصول على عائدها وإنفاقه على العملية التعليمية، مع إعداد دراسات خاصة بذلك.

تسويق الخدمات بالجامعات والمعاهد العليا بما يوفر دخلا إضافيًا للجامعات والمعاهد العليا وفي نفس الوقف تحقيق الربط بينها وبين المجتمع.

تشجيع المستثمرين ورجال الأعمال بالمؤسسات الإنتاجية في المجتمع، والتي تستفيد من مخرجات التعليم العالي للمشاركة في تمويل مؤسسات التعليم العالي مقابل إعفاء تبرعاتهم من الضرائب المفروضة عليهم.

الاستفادة من تمويل الجمعيات الخيرية وقبول تبرعاتهم المادية والعينية.

الاستفادة من تحويل أموال الوقف إلى قناة تمد التعليم العالي بالإمكانات المادية.

الاستفادة من الخدمات والمنافع من الأموال الموقوفة في مؤسسات الأوقاف للاستثمار في التعليم العالي.

الهوامش

١- عبدالوهاب جودة: الوقف في عمان، ندوة الوقف بين الماضي والحاضر، الوقف العلمي واستثماره لتعزيز موارد البحث العلمي، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس،١٨-٢٠ أكتوبر،٢٠٠٩، ص١١.

٢- محمود ابراهيم القلموني: تجربة جمهورية مصر العربية، من وقائع ندوة عرض التجارب الوقفية في الدول الإسلامية، نظمها مركز كامل صالح للاقتصاد الإسلامي، بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، والإسلامية للتنمية، في الفترة من ١٥- ١٨ ديسمبر ٢٠٠٢ ص٣٠.

٣- الشيخ محمد أسعد الإمام: المنهل الصافي في الوقف وأحكامه، المطبعة الوطنية، القدس، ١٩٨٢م، ص١٤.

٤- مؤسسة التراث الإسلامي: الوقف الإسلامي في فلسطين، دائرة الأوقاف الإسلامية، القدس، ١٩٨٤م، ص٤٩.

٥- المعروف أن السلطة الفلسطينية وافقت على مبدأ تعديل بعض المناهج بما يتفق مع شروط اتفاقات أوسلو وغيرها، حيث نلاحظ إلغاء تناول الحقوق التاريخية لشعبنا في أرض فلسطين التاريخية، وفي هذا السياق تم طباعة بعض الكتب ضمن المنهج الجديد التي تشير إلى أن أعلى جبل في فلسطين هو جبل عيبال في نابلس بدلا من جبل الجرمق في شمال فلسطين، والإشارة إلى ميناء غزة باعتباره الميناء الوحيد في فلسطين بدلًا من موانئ يافا وحيفا.. إلخ

المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب... مشكلات ومقترحات (٢/١)

د. حسن عزوزي

من الواضح أن المشهد الاجتماعي الإسلامي في الغرب قد تكونت وتشكلت بعض قسماته خلال العقدين الأخيرين، وإن كانت أسسه قد انبعثت منذ استقرار طلائع المهاجرين المسلمين في الأقطار غير الإسلامية.

عندما اشتد عود الصحوة الإسلامية العارمة خلال السنوات الماضية أضحى المشهد الاجتماعي الإسلامي في الغرب أكثر بروزًا وأوسع قاعدة حيث توافر من أسباب النهوض بالواقع الاجتماعي في هذه المرحلة ما لم يتوافر مثله في أي مرحلة سابقة.

ومهما اختلفت جنسيات الأقليات الأصيلة والوافدة، ومهما تباينت مستويات الثقافة لديهم فإن المكون الثقافي الأساسي والعامل المشترك بينهما هو الإسلام الذي تتوحد حوله مختلف الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب وهو ما يفرض على جميع الفئات والشرائح المكونة لها نوعًا من التآلف والتعاون والتكامل، وهذه حقيقة ينبغي أن يعيها القائمون على توجيه الهياكل الاجتماعية الإسلامية (تعليمية وتربوية وإعلامية وغيرها) في المجتمعات الغربية.

ولاشك أن اعتبار المسلمين المقيمين في الأقطار غير الإسلامية أقليات يكسب وجودهم خصوصيات معينة ويجعل نشاطهم الثقافي والاجتماعي بالمقابل مقيدًا بمحددات وضوابط، لذلك فإن أية محاولة لنسج خيوط المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب ينبغي أن تضع في الاعتبار أن العمل الاجتماعي الإسلامي بصفة عامة يتم تنفيذ آلياته وفق قوانين البلدان المضيفة وبحسب ما تمليه الإجراءات المعمول بها في التعبير عن حياة اجتماعية مختلفة عن الحياة الاجتماعية المحلية السائدة.

لماذا الاهتمام بالمشهد التعليمي الإسلامي في الغرب؟

هناك ثم دوافع وبواعث تدفع إلى الاهتمام بالمشهد التعليمي الإسلامي في الغرب نذكر منها:

١- ضرورة إعادة النظر في أبرز مكونات العمل الثقافي والاجتماعي الإسلامي في الغرب من أجل تجاوز السلبيات والثغرات واقتراح خطط التغيير والتجديد في إطار رؤية شمولية وواقعية.

٢- إن المتغيرات الدولية الراهنة والتحويلات الاجتماعية العالمية تدفع بقوة إلى مراجعة شاملة لخطط العمل وقنوات «التدبير» التعليمي من أجل صيانة جديدة للبناء المستقبلي للمسلمين في الغرب تراعي الاستجابة المشروعة لضغوط المتغيرات والتحديات.

٣- التطور الهائل للشأن الثقافي والاجتماعي للمسلمين في الأقطار غير الإسلامية المبني أساسًا على تحول الوجود الكمي إلى تأثير كيفي بصورة متنامية ومثيرة تستدعي تصور المشهد أولًا ثم العمل على تطويره وحسن أداء مكوناته واستشراف واقع تعليمي إسلامي ملائم ومتطور.

٤- الحاجة إلى تحقيق تعليم متوازن لأبناء المسلمين في الغرب، يأخذ بعين الاعتبار العناية بالتكوين الروحي والخلقي إلى جانب التكوين العلمي والمعرفي وذلك تفاديا لوقوعهم في براثن الانحراف والانسياق وراء المعطيات السلبية للحضارة الغربية في الحقل التربوي والتعليمي وغيره.

وتعود أبرز معالم الاختلاف بين الدول الغربية في السماح بتفعيل العمل التعليمي الإسلامي في الغرب إلى عوامل عدة منها:

أ- الاعتراف الرسمي بالإسلام، فهناك دول تعترف بالإسلام مثل بلجيكا والنمسا وإسبانيا.. وهناك دول أخرى لا تسمح بذلك.

أكاديمي مغربي

ب- السماح بتدريس اللغة العربية في المدارس.

ج- الموافقة على بناء المساجد والمدارس والمراكز الثقافية الإسلامية.

د- مستوى دعم الدولة الغربية للنشاط التعليمي الإسلامي ماديًا ومعنويًا.

هـ- مدى الإقرار بمبدأ التداخل الثقافي في المناهج التعليمية المعتمدة في الدول الغربية (١).

وهكذا فإنه من الطبيعي أن تنجم عن الوجود الإسلامي في الغرب متطلبات وحاجيات فضلاً عن المشكلات المتعلقة بتربية الأبناء وتعليمهم تعليمًا إسلاميًا، والسعي إلى المحافظة على هويتهم الدينية والثقافية، لذلك فإن واقع التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين المقيمين في الأقطار الغربية يبدو محفوفًا بكثير من المشكلات والعوائق التي تحول دون تفعيل وتطبيق أسس ومبادئ وتعاليم الإسلام في مجال تعليم الأبناء تعليمًا إسلاميًا وتحصينهم من عوامل الذوبان والاندماج السلبي.

مطلوب إعادة النظر في أبرز مكونات العمل الثقافي والاجتماعي الإسلامي في الغرب

مشكلات وتحديات أمام المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب

إن مما لاشك فيه أن مستقبل الحضور الإسلامي في الأقطار غير الإسلامية واستمراره وفعاليته يتوقف إلى حد كبير على عامل أساس يعود لطبيعة المركز الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي سوف يحتله المسلمون في المجتمع الغربي والأدوار التي سيتولون القيام بها، ومن الواضح أن عناصر التكوين والتربية والتعليم هي بمنزلة الوسائل الفعالة لبناء ذلك المركز المنشود وتحسين تلك الأدوار المرتقبة، وقد وعى المسلمون هذه الحقيقة مبكرًا فحرصوا على الاستفادة من المعارف والتقنيات التي تقدمها المدرسة الغربية للأطفال والشباب، لكن حصيلة تمدرس أبناء المسلمين في الغرب خلال العقود الأخيرة قد أثبتت تراكم العديد من العوائق والظواهر السلبية خاصة مشكل الفشل الدراسي الذي أضحى سمة بارزة في الواقع التربوي والتعليمي لأبناء المسلمين في الأقطار غير الإسلامية.

ومن خلال تشخيص بعض المتغيرات والتحولات التي طرأت في السنوات الأخيرة يتبين أن كثيرًا منها تمثل تحديات خطيرة تعترض سبيل التعليم الإسلامي الهادف في الغرب، وذلك نظرًا لتأثيراتها وانعكاساتها السلبية، ولاشك أن وجود جملة من المعوقات والتحديات المؤثرة في العمل التربوي والتعليمي الإسلامي في الغرب من شأنها إضعاف أثر المجهود التربوي الإسلامي المبذول لفائدة أبناء المسلمين في الغرب مهما كان محدودًا.

وقد اعتقد الغربيون لفترة طويلة أن المدرسة الغربية هي الإطار الملائم لاستيعاب أبناء المغتربين وإدماجهم اجتماعيًا وثقافيًا، فحرصوا على أن تستوعب المدرسة جميع الأطفال والشباب المنحدرين من الهجرة، لقد كان رهانهم قائمًا حول فعالية الآليات التربوية للمدرسة وقدرتها الكبيرة على التنشئة الاجتماعية بواسطة فرض النموذج الثقافي والقيمي الغربي عليهم (٢).

وبقدر ما كانت الحصيلة النهائية لتدريس أبناء المسلمين في الغرب لا تستجيب لتطلعات الغربيين الرامية إلى تذويب شخصية هؤلاء وطمس هويتهم وإدماجهم في المجتمع الغربي إدماجًا سلبيًا كانت الحصيلة أيضًا غير مرضية لطموحات الآباء الرامية إلى تحسين المراكز الاجتماعية لأبناء الجيلين الثاني والثالث عن طريق الاستفادة من الدراسة في المدارس الغربية عبر مختلف مراحلها.

ويمكن إجمال الحديث عن بعض المشكلات والتحديات القائمة أمام المشهد التعليمي الإسلامي في الغرب من خلال ما يلي:

العولمة والاختراق الحضاري الغربي في مجال التربية والتعليم

إذا كانت تحديات العولمة قد ألقت بظلالها على العالم الإسلامي وغيره فإن أبناء المسلمين المقيمين في الغرب هم أشد اكتواء بنارها وأكثر معاناة من شدة وطأتها، ونجد على المستوى التربوي والتعليمي أن المجتمعات الغربية التي تجري فيها عولمة القيم والأخلاق وأنماط العيش والسلوك تؤثر بقوة على أبناء المسلمين، وإذا كان التعليم

الإسلامي المحدود في بلاد المهجر يسعى مع الأسرة المسلمة إلى إنتاج الوجدان الثقافي والتربوي في نفوس أبنائها عن طريق مجموع القيم والأخلاق الإسلامية، فإنه يصطدم بتحديات العولمة في هذا المجال مما ينجم عنه عجز مريع في مجال المقاومة والتصدي لعوامل زحف العولمة الكاسحة والجارفة التي ترمي إلى تحطيم القيود الأسرية ذات المنزع الديني والأخلاقي.

إنه وفي ظل سيادة نظام ثقافة العولمة أصبح اليوم المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم التربوية والتعليمية وصناعتها وتشكيل الوعي التربوي في صفوف أبناء المسلمين في الغرب يأتي عن طريق مجال الإعلام السمعي البصري المتدفق بقوة، وكذا من البيئة الاجتماعية والمدرسة الغربية وغيرها، مما يستدعي من قادة العمل الإسلامي في الغرب والقائمين على شؤون وأمور التعليم الإسلامي بمختلف أنظمته الوعي بخطورة هذا التحدي والتفاعل معه من موقع الثقة بالنفس والإدراك العميق بأهمية التعامل مع المتغيرات والتحديات بوعي وانضباط من أجل القدرة على توجيه أبناء المسلمين إلى ما يصونهم ويحميهم من سلبيات العولمة الثقافية والتربوية وتأثيراتها السلبية، وهو ما يتطلب الاهتمام بمجالات معينة تشكل بمجموعها الإطار العام الذي يغذي الهوية والخصوصيات الثقافية بما يكفل لها الثبات والاستمرارية والأصالة ويأتي على رأس هذه المجالات المجال التربوي والتعليمي الذي يكون هدفه المحافظة على الفطرة السليمة للناشئة والعمل على تنميتها وتزكيتها باستمرار، بالإضافة إلى استهداف بناء أسس تعليم إسلامي هادف يمثل «ممانعة تربوية وثقافية» تتصدى للانعكاسات السلبية للعولمة الثقافية.

من المؤسف أن يتنكر أبناء المسلمين في الغرب للغتهم ودينهم

التأثيرات السلبية علي الهوية الإسلامية

لقد بينت الكثير من الدراسات والأبحاث التي أنجزت حول أزمة الهوية والاغتراب الثقافي أن الأبناء المنحدرين من الهجرة يعيشون وضعية مأساوية تعود للاغتراب الثقافي وضياع الهوية الإسلامية وما ينتج عن ذلك من فقدان الثقة بالنفس والانعزال والتأخر الدراسي وسوء التكيف مع المحيط الخارجي، وتتحمل المسؤوليةَ في ذلك كل من الأنظمة التربوية والتعليمية الغربية التي ترفض التفتح على ثقافات الآخر، وكذلك المجتمع الذي يرفض من لا يتمثل القيم والثقافة الغربية (٣).

وإذا كانت الهوية الإسلامية هي نتاج ما تتميز به الأمة من مكونات ومقومات وخصائص فإن الحفاظ عليها في المجتمعات الغربية يبدو أمرًا بالغ الصعوبة، وهو ما يضع التعليم الإسلامي في الغرب أمام تحد كبير، ذلك أن أبناء المسلمين في الغرب من الأطفال والشباب يجدون أنفسهم معرضين لإغراءات العولمة الثقافية والتربوية من جهة ومستلزمات الحفاظ على الهوية الإسلامية في الغرب، خاصة عندما يكون لدى شريحة من الأبناء- الذين استهواهم بريق وإغراء الحضارة الغربية في جانبها السلبي- فراغ روحي وتشتت ثقافي تسهم المدرسة الغربية في تعميقه.

ومن المؤسف أيضا أن يصطدم أبناء المسلمين في الغرب بالتنكر التام للغتهم ودينهم، وهم عندما يلتفتون إلى آبائهم علهم يجدون لديهم البديل الثقافي القائم على معرفة سليمة بالإسلام عقيدة وشريعة فإنهم لا يجدون ما يشفي غليلهم نتيجة وضعية الأمية المتفشية خصوصًا بالنسبة للجيل الأول، والشيء نفسه حاصل عندما يتعلق الأمر باكتساب الثقافة الغربية حيث إن السائد الغالب هو أن أبناء المسلمين المتمدرسين في المدارس الغربية لا يكادون يكتسبون سوى بعض المظاهر السطحية للثقافة الغربية وهو ما يعني وقوفهم موقفًا متأرجحًا بين قشور ثقافتين مختلفتين: الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية مما يشكل خطورة واضحة على التمسك بالهوية الإسلامية، لكن هذا التمسك لا يعني قطعًا التقوقع والانغلاق على الذات ولكنه تعبير متفتح وواع عن الذات الحضارية باعتبارها الإطار المرجعي والروحي والأخلاقي، هذا التعبير لا ينفي التعامل مع المجتمع الغربي تعاملاً واعيًا ومسؤولاً، إن الهوية الإسلامية في المجتمعات الغربية هي الأكثر تعرضًا لسلبيات وانعكاسات العولمة لذلك تبرز الحاجة إلى مقاومتها قصد حماية الخصوصيات الثقافية والتربوية لأبناء المسلمين المقيمين في الغرب من الانحلال والتمييع.

الهوامش

١- هذه العوامل المذكورة تختلف مواقف الدول الغربية في التعامل معها، ويعتبر الاعتراف الرسمي بالإسلام مدخلا إلى التسامح وإعطاء الحرية للمسلمين للتعبير عن قناعاتهم الدينية والثقافية والاجتماعية.

٢- إستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب، منشورات الإيسيسكو ٢٠١١- ص ٨٩ .

٣- المرجع السابق ص ١٠١.

لغة وأدب

القرآن مشغلة الفكر الإنساني

إن ثبات القرآن الكريم على خلاف قاعدة الثبات الإنسانية، إعجاز ليس في العجب أبدع منه إلا تحول معانيه على غير قاعدة التحول.. إنه وجود لغوي ركب كل ما فيه على أن يبقى خالدًا مع الإنسانية، فهو يدفع عن هذه اللغة العربية النسيان الذي لا يدفع عن شيء، وهذا وحده إعجاز، ثم هو لن يكون كفاء ذلك ولن يقوم به إلا إذا كان معجزًا أهل اللغة جميعًا، فتذكر به اللغة ولا يذكر هو بها، وبذلك يحفظها، إذ يكون في إعجازه مشغلة العقل البياني العربي في كل الأزمنة، يأتي الجيل من الناس ويمضي وهو باق بحقائقه، ينتظر الجيل الذي يخلفه، كما أنه مشغلة الفكر الإنساني إذا أريد درس أسمى نظام للإنسانية في حرامها وحلالها مما تحله مصلحة الاجتماع أو تحرمه.

مصطفى صادق الرافعي

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية

أدب المرأة من الذاتية إلى الفضاء الطلق

محمد عبدالشافي القوصي

ظل إبداع المرأة العربية طوال القرون الماضية متوشحًا بالسواد، ومجللاً بالدموع والأحزان، منذ أن وقفت «نائحة بني سليم» سيدة الشعر النسائي ترثي أخاها في سوق عكاظ، وكأنها رسمت حول الشعر النسائي طوقًا من الدموع والأنين، فلمْ يعد الشعْر عندها إلاَّ الرثاء، وصادرت سائر أغراضه.. ولمْ نعرف على مر القرون من بنات جنسها مَنْ كسرت ذلك الطوق أوْ مدتْ أظافرها لتمزق جدار الشرنقة الأنثوية المحاصرة بطوفان الدموع والألم والفقدان واللوعة إلاَّ ما ندر، فالمرأة عندنا - كما تقول نوال مهنى: «محاطة بقيود صارمة بعضها موروث، وبعضها بحكم ظروفها العائلية، وأغلب هذه القيود من صنع الرجل، فالرقابة على المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها، أيْ منعها حتى من التعبير عن أفكارها ومشاعرها، لدرجة محاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها، بل البحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها»!

أخيرًا أفلح الشِّعْر النسائي في الخروج من قفص الحريم المخملي، فإذا به يتفاعل مع ما يموج به عالمنا من صراع دام، ومواجهات عنيفة، وإذا به يتدفق هادرًا صاخبًا، وإذا به يندفع إلى خطوط المواجهة شاهدًا ومؤرخًا ومترجمًا لإحساس الأنثى بقيمة البطولة والشجاعة والفداء والصبر، بل المشاركة في سائر ميادين الحياة.

ولعلَّ الشاعرة الإسلامية نوال مهنى، من أولئك الشاعرات اللائي شاركن في الحياة الأدبية بإسهامات بارزة ومتنوعة، فقدمت أعمالاً تجاوبتْ مع معطيات واقع الأُمَّة وهمومها، فرسمت لوحات بديعة في الشعر والنثر والمقال والمسرحية، عرضت من خلالها صورة حية وواقعية لما أصاب الأمة من تصدعات ونكبات ونوازل في عصر الهزائم والاستلاب الحضاري والتمزق السياسي الراهن، وبذلك ارتفعت برسالة الإبداع النسوي عن نمطه التقليدي الذي عاش قرونًا في القمقم الأنثوي منكفئًا ومنعزلاً وملتفًا حول الهموم والمشاعر الذاتية الضيقة؛ إلى استشراف مستقبل أفضل ومحاولة المشاركة في صناعته وترسم خطاه.

في زحام الحياة لم تنس الشاعرة نوال فهمي أن لها في الشيشان إخوة في العقيدة يواجهون حرب إبادة

لقد شاركت «شاعرة الوادي» أخواتها الشاعرات العربيات في تشخيص أدواء الأمة، واستنهاض عزائمها، وتحريضها طلبًا للثأر ممن نالوا من كرامتها، واستباحوا حرماتها ومقدساتها، ومن هؤلاء الشاعرات: فدوى طوقان، وعلية الجعّار، وسعيدة خاطر، وإنصاف بخاري، ومباركة بنت البرّاء، وثريا العسيلي، وفاطمة عبدالحق ،وغيرهن.

وقد كتبت شاعرتنا عددًا وافرًا من القصائد الممزوجة بالدماء والمغسولة بالدموع، أثناء استعراضها لواقع الأمة الجريح من البلقان إلى الصومال، ومن الشيشان المنسية إلى بغداد الدامية، إلى فلسطين السليبة التي أرّقتْ الضمير العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن من الزمان، فشاعرتنا تدعوها إلى مزيد من الصبر والصمود، حتى يتحقق الوعد، ويظلها وعد السماء، أوْ كما تقول الشَّاعرة:

فلسطين صبرًا هو الله أكبرْ
يـذلُّ ويمحـو ظلومًـا تجبّرْ
لنا الوعد يسحق أحفاد خيبرْ
وسـوف يظلك وعد السماءْ
فلسطين صبرًا لهذا البلاءْ

الأمر العجيب في شعرها السياسي والملحمي التي تصور فيه عوائق وقيودًا، وثورةً وتمردًا وتحقيق نصر واقتناص فوز، وغيرها من المعاني التي يصوغها الشعراء في نطاق البحور العروضية الطويلة؛ حتى يأخذ الشاعر براحه وارتياحه، ولكن شاعرتنا في تحدٍّ ربما لمْ تقصد إليه قصدًا، تصوغها في البحور القصيرة التي تصلح لغير هذا الغرض، فتصيب توفيقًا ربما لم يكن ليتحقق لها ولا لغيرها إلاَّ من خلال ملكة سخية معطاءة، وامتلاك لناصية القريض ونصاعة البيان.

في زحام الحياة، وتوالي الأحداث، وفي ظل غفلة الأمة بفعل عوامل التخدير والتغييب والتذويب الحضاري، لمْ تنسَ الشاعرة أن لها في «الشيشان» إخوة في العقيدة، يواجهون حرب إبادة من طواغيت الكفر الذين يصبّون عليهم

باحث لغوي

أطنان المتفجرات والقنابل صبًّا، فتدعوهم إلى الاعتصام بالإيمان الذي هو وحده كفيل بسحق جحافل الإلحاد، فتقول:

مهما تمادى الظلم والطغيان
لا تتركي الميدانَ يا شيشانُ
بلْ صابري عند الجهاد وأبشري
لا لن يقيم بأرضكِ العدوانُ
واستعصمي بالصبر في يوم الوغى
فمن الشدائد ينضج الإنسانُ
كل القنابل لن تميت عقيدةً
دستورها وشعارها القرآن
هذي الجحافل رغم كل ضلالها
فلسوف يسحق رأسَها الإيمانُ

الشاعرة المسلمة في هذا العصر، أينما تولِّي وجهها، لا ترى سوى أشلاء تتمزق، ودماء تتدفق، ومنازل تُحرَق، ومساجد تُهدَم، وحرمات تُنتهك، وترى إخوانها في العقيدة ما بين جريح وأسير وقتيل، ولا ناصر لهم في ظل العالم المستكبر الذي ضللته أبواق الإعلام والدعاية الصهيونية، فالحل- من وجهة نظر الشاعرة الإسلامية نوال مهنى- هو دعوة المسلمين جميعًا إلى الجهاد المقدس، الذي لا تسترد الأوطان بدونه:

لا لمْ يعد للصمت قط موضع
ضاق الخناق وضاعت الأوطانُ
غير الجهاد فليس يجدي منطقٌ
فالكفر صال وتُعبد الأوثان
بلْ كيف نرضى بالسكوت مواقفًا
وشريعة الإسلام كيف تهان
أجدادنا أصل الجهاد وأهله
يروي التراث وتشهد الأزمان
يدعون جند الحق هيا فانفروا
كيْ يسقط الإرهاب والطغيان

وهكذا رأينا الشاعرة كسائر شعراء الأمة الأصلاء، تصوب قصائدها، وتوجه إبداعاتها للتفاعل مع قضايا وطنها وأمتها، أملًا في استنهاضها من غفلتها، حتى تستأنف مسيرتها ورسالتها الحضارية

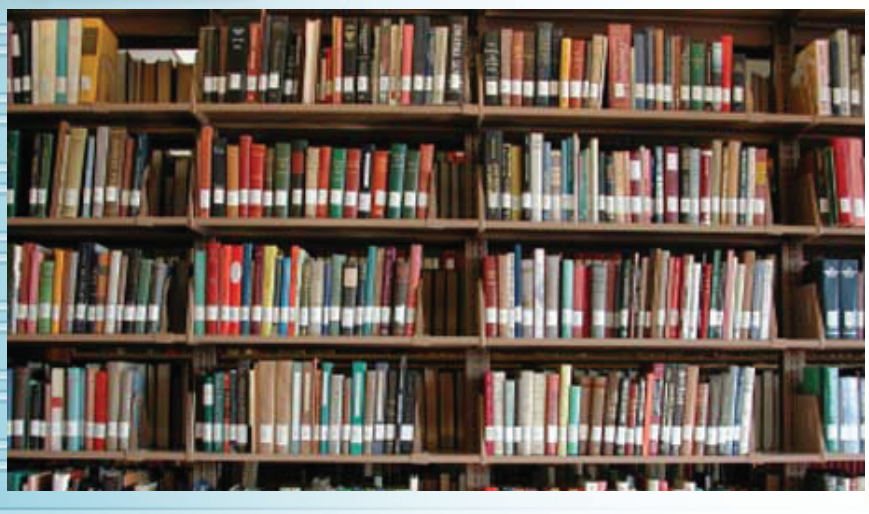

المنوطة بها.. وقد تأثرت الشاعرة بمن سبقوها من المبدعين الكبار الذين نافحوا عن قضايا الإسلام والذود عن حياضه، كأمير الشعراء أحمد شوقي.. الذي بلغ افتتانها به حدًّا كبيرا، فتأثرت به، وسارت على دربه، ووفاء منها، نراها تخاطبه في ذكراه، وتعزو إليه فضل البيان الذي ارتشف منه القريب والبعيد:

سلامًا لشوقي أمير القوافي
وكرمة هاني بها العطر صافي
فليس لمثلك جدٌّ قرينٌ
وفضلك في الشعر ليس بخافِ
فكنت النشيد إذا الشرق غنّى
وكنت العزاءَ لشعب يعاني
وكنت الحنين لأرض الخلود
وكنت السفير لأحلى المغاني
فيا دولة الشِّعْر باهي بشوقي
وحيي أميرك في كل آنِ

إنَّ شاعرية «نوال مهنى» جزء لا يتجزأ من حياتها، وصورة أصيلة مضيئة من شخصيتها، وترجمان صادق لأحاسيسها ومشاعرها، فهي تحيا بالشعر الذي يعينها على الصبر على نوائب الزمن وعوائده، ويمنحها الأمل في الحياة، فتطلق له خيالها، أو كما تقول: «إن الشعر يعطيني فرصة لتفريغ الانفعالات، التي لو كبتها الإنسان كفيلة بأن تدمره، كما أن الشعر له أثر بالغ في التأسي به على الهموم والمحن والأزمات، كذلك من الشعر نستمد الحكم ونستخلص الدروس والعبر؛ لأنني أؤمن برسالة الأدب في الحياة عامة، وأؤمن كذلك برسالة الشعر ودوره في تغيير المجتمع إلى الأفضل، أو الذي ينبغي أن يكون عليه؛ فهو يحفّز الهمم، وينقي النفوس ويزكيها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا، ويساعد على نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة، لأنه يدعو إليها ويحث عليها ويبرز مزاياها ويشرح فضائلها» وراحت شاعرتنا تعارض قصيدة «الشعر والحياة» للشاعر الكبير محمد التهامي، قائلة:

هو الإبداع توحيه حياةٌ
تبوحُ بسرّه حينًا وتكني
فكيف يحيط بالفنان سورٌ؟
وفي أعماقه حرٌّ يغني
فلولا الفن ما ذقنا جمالًا
ولولا الحب ما عشنا لنبني

على الرغم من دعاوى القوم ومزاعمهم بأن مملكة الشعر تهاوت ودالتْ دولتها، وأن «الرواية» أضحتْ ديوان العرب، فإن الشاعرة لا تشاطرهم ذلك الرأي، مؤكدة أن «الشعر وعاء عميق متنوع يحوي القصيدة والموشّحة والأنشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التي تحوي بداخلها

القصة، بلْ إنَّ بيت الشِّعْر الواحد يحوي من الحكمة والعبرة والفكاهة والمثل» وقالت في ذلك أيضًا:

الشِّعْر في طبع العربْ
رمزُ النجابةِ والأدبْ
ديوانهم وسجلهم
فيه الأصالة والطربْ
وفصاحةٌ نُسبتْ لهم
أكرمْ به هذا النسبْ

وكما وقف البارودي وشوقي وحافظ وأحمد محرم وسواهم من شعراء الوطنية الكبار أمام «النيل» متدلهين به، شاكين له ما يعتصرهم من هموم وآلام- وقفت الشاعرة أمام النيل، مستلهمة من عبقريته وفضله وخيره وبركاته التي عمّتْ الوادي بأسره، والتي زيّنت الأرض وأقامت حوله حضارة إنسانية، شاكرة فضل الله تعالى، ومدركة أنه يجري من عنده سبحانه، دونما حيرة واضطراب، كما حدث مع «شاعر الطلاسم»، فقالت:

كَمْ فاض النيل بوادينا
كَمْ شاد النهر بماضينا
والشط تُباهي خضرتهُ
كَيْ يخطب ودَّ روابينا
فالنيل رحيقٌ مختومٌ
يعطينا خصبًا لا طينا

هبةُ الرحمن إلى مصر

هبة الرحمن لوادينا

هذا، وقد كتبت الشاعرة في جميع أغراض الشعر وفنونه سواء في الوصف أو المدح أو الفخر أو الرثاء... إلاّ (الهجاء) الذي لم تكتب فيه شطرًا واحدًا؛ لأن قلب الشاعرة الإسلامية مملوء بالحنان ومفعم بالرحمة والإيمان، فلم يجد الهجاء على لسانها سبيلاً، وليس من عجب أن يغلب فن الوصف بالذات على إبداعها، فتوليه اهتمامًا بالغًا، وتجيد فيه أيّما إجادة، ذلك الفن الذي كان النقاد القدامى يرون أنه لا تكتمل للشاعر أسباب النبوغ إلاّ إذا أجاد شعر الوصف بعامة ووصف الطبيعة بخاصة، وقد أجاد في هذا اللون أبوتمام والبحتري وابن الرومي والصنوبري والمعتمد بن عباد... وغيرهم، فسارت الشاعرة على درب هؤلاء الرواد.. فلنستمع إليها في رائعتها «دعوة للأمل»:

إنْ رأيتَ الروض يذوي
لابسًا ثوبَ الفقيرْ
أوْ رأيتَ الزهر يغفو
ممسكًا فيه العبير
ورقيق الغصن يهوي
من جفافٍ يستجير
أوْ سمعتَ النهر يشكو
باكيًا فيه الخرير
لا تقفْ خوفًا ويأسًا
فغدًا يأتي الربيعْ
سوف تزدان الروابي
في محيّاها البديع
حين يكسو الروضَ عُشبٌ
نافضًا عنه الصقيع
وتعود الوُرقُ تشدو
في حِمى الزهرِ الوديعْ

الحق، أننا في حاجة إلى مزيد من هذا الشعر العذب الجميل، الموشح بالحُلل البيانية، والمطرز بالصور البديعة، والقيم والمعاني الإنسانية النبيلة، الذي يستحق الوصف الشريف «إنَّ من البيان لسحرًا، وإنَّ من الشِّعْر لحكمة»! ونختم حديثنا هذا، ونحن رافعين أكُف الضراعة ومبتهلين إلى الخالق البارئ- سبحانه وتعالى، المفوّض إليه الأمر كله، ومرددين مع الشاعرة الإسلامية الكبيرة نوال مهنى:

ياربّ أشكو ضارعًا
أنت المجيبُ ولا سواكْ
أنت الغفور لتائبٍ
أنت السميع لمن دعاكْ
أمري إليكَ مفوّضٌ
منْ ذاكَ يُعصمُ من قضاكْ؟
نور الوجود بكوننا
لهبات فيض من سناك
أنت الحبيبُ ودائمًا
القلبُ يخفق من هواكْ

دعوة إلى أدب قرآني

محمود رداوي

إن مجال القرآن وإيحاءاته كبيرة واسعة.. في كل مرة بعد التلاوة أو القراءة يجد قارئه أمورًا ومعاني ودلالات جديدة، وكلما أمعن في التلاوة تكشفت له آفاق جديدة من المشاعر والأفكار، وقد يقف عند الآية أو الآيتين كثيرًا؛ ليستمد منها مادة رائعة في الكتابة الأدبية، وما أكثر تلك الآيات التي تدعو المبدع كي يجول في عالم السماء وعالم الأرض، ليخرج لنا عملًا جديدًا فذا ومتميزًا.

فمعاني الآيات وإيحاءاتها الدالة تلاحق المرء أو تواكبه أينما كان، مع نفسه وأسرته، ومجتمعه، ووطنه، وأمته.. ومع الأحباب الأخيار، والأعداء الأشرار، سواء كانوا فردا أم جماعة، أم قيادة أم دولة.

ويجب ألا يفهم من هذه الدعوة القرآنية أن نحوِّل مجال الأدب القرآني الجديد إلى مجال علم التفسير والمفسرين، ولكن هذا لا يمنع أن يجول المبدع أيضًا في تراثنا التفسيري القديم والحديث، ليستمد منه أجواء تسعفه في ارتياد آفاق عريضة لمعاني القرآن التي ستكون له سندًا لمادته الأدبية.

إننا بصدد عرض مبادئ عامة في التوجه إلى أدب عربي إسلامي جديد، ينبت في أرض متميزة في ماضيها وحاضرها، وإن نصوص القرآن متروكة للمبدع كي يختار أو يستوحي، لأن لكل مقام مقالًا، ولكل حالة اختيارًا.

فالكتاب الإلهي مفتوح، والباب واسع لكل من أراد التقرب منه، وولوجه ليختار ما يشاء، كما قد يقول قائل: الفن والدين. ومع كل ذلك فيمكن لنا- في هذا الصدد- أن ننوّه ببعض الآيات التي يمكن لنا أن نوظفها في أعمال إبداعية، ولنأخذ الآيات التالية حسب تسلسلها في القرآن:

- مثلًا ذاك الذي ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يومًا أو بعض يوم﴾ (البقرة: ٢٥٩).
- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ...﴾ (يونس: ٤٥).
- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٥٢).
- وعن أصحاب الكهف الذين أماتهم الله أكثر من ثلاثمائة سنة: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾ (الكهف: ١٩).
- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٦).

فهذه الآيات ذات مدلول واحد، وهو الحياة بعد الموت، سواء كان الموت الذي تتبعه الصحوة في الدنيا، أم الموت الذي تتبعه الصحوة في الآخرة، وهو مدلول مكرر كي يكرسه المبدع في موقف أو مشهد قصصي أو روائي حيال الصراع المذهبي الفكري بين الشخوص والأبطال في الحياة، إذ تتنابهم قضية جوهرية ومصيرية في حياة الإنسان وإيمانه ووجوده، ومن زوايا مختلفة ومتنافرة، وهي قضية الموت والبعث والحساب، والزمن الفاصل بينهم، فما أكثر المنكرين للبعث؟ أو من هم- على الأقل- يرون أن الحقبة الزمنية التي يرقد فيها الأموات تطول آلاف القرون المؤلفة، بل هي رقدة تكاد تكون أبدية لا تقاس بالسنين والقرون.

ولابد من موقف آخر يتبلور كي يتصدى لأولئك المفكرين الملحدين الذين يقيسون أمورهم وزمنهم بمنطق الإنسان في الحياة، وكي يظن- الموقف المتصدي- أن للأموات منطقًا آخر مستمدًا من منطق الخالق حالما تفارق المرء روحه، وحالما يرقد المرء ميتًا سيخضع للمنطق الإلهي حيال الزمن: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج: ٤٧).

وهكذا ستكون رقدة الأموات رقدة قصيرة، ستعقبها اليقظة العاجلة، أي أن البعث والنشور والحساب سيعقب الموت مباشرة، لأن من يمت الآن سيحيا غدًا.. وسيرى أنه كان البارحة حيًّا، وما أقصر تلك الرقدة! وما أسرع الصحوة بعد الموت! ومن تكن هذه هي رؤيته سيخاف كثيرًا في الدنيا قبل أن يدركه الموت وقبل أن يتفرق الحساب السريع.

فعندها سيعرف الجميع.. جميع العباد، كبير وصغير ووجيه وحقير وبريء وظالم أن ثمة حياة جديدة بعد يوم من مماتهم.. كل واحد سينهض، سيحيا سريعًا ليواجه المحكمة الإلهية الكبرى.

باحث لغوي

آية سورة طه

أحمد بن بحار

نحن- المسلمون- مأمورون بتدبر كتاب الله- عز وجل، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾. وقال عز وجل: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ يقول الإمام الشوكاني: «في الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر».

طمعا في التعرض لبركات تدبر كتاب الرب- جل وعلا- سأورد- إن شاء الله- في سلسلة من المقالات آيات من كتاب الله توقفتُ عندها طويلا، أعمل فيها النظر مستهديا بما قرره علماء البلاغة، واللهَ أسأل العون والتوفيق والسداد.

وفي هذا المقال سنقف مع آية سورة طه، وهي قوله- تعالى- حكاية عن موسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ (طه: ١٨).

فقد ذكر كثير من علماء البلاغة والتفسير أن في الآية إطنابا، وأن الغرض منه التلذذ بإطالة الخطاب مع الرب- جل وعلا- إلا أن في نفسي شيئا من هذا التعليل، فالموقف والسياق لا يحتمل هذا التوجيه، بل يدفعه- فيما أحسب- ذلك أن موسى- عليه السلام- كان في موقف يقتضي منه الخوف والفزع، وقد كان ذلك من النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه، والسياق أن موسى عليه السلام ذهب ليأتي بقبس، فناداه الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١١-١٤) وهذا مما لاشك فيه موقف مهيب ذو جلال لاسيما أن موسى فُجِئ

به، فهل هذا يتناسب مع توجيه الإطناب بالتلذذ بالخطاب؟! بل إن سعدالدين التفتازاني- رحمه الله- ذكر في المطول أن في ذكر المسند إليه- وهو في الآية الكريمة الضمير (هي)- «استلذاذا وبسطا للكلام، ولهذا يطال الكلام مع الأحباء»، وهذا القول من السعد يجعلني أمعن النظر، وأعمل الفكر فيما عنَّ لي عند قراءتي للآية، ونحن إذا ما نظرنا إلى السياق:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى. قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى. قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه: ٩-٢١).

أمكننا القول جازمين بأن موسى- عليه السلام- فجئ، وبم فجئ؟ بالإله يناديه ويكلمه، وهذا لا مرية موقف جليل ذو مهابة، وموسى- عليه السلام- كثيرا ما اعتراه الخوف الجبليّ الذي يعتري البشر، وفي آيات سورة طه ما يؤكد هذا الخوف منه ﴿قال خذها ولا تخف﴾ (طه: ٢١)، ﴿قالا ربنا إننا نخاف﴾ (طه: ٤٥) ﴿قال لا تخافا...﴾ (طه: ٤٦)، ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ (طه: ٦٧)، وهذا التكرار لخوف موسى في هذه السورة حري بالدراسة، كما أن هناك مواضع أخرى في غير سورة طه تشير إلى خوف موسى- عليه السلام ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ (القصص: ٢١)، وهذا الخوف الجبلي لا يعيب الأنبياء لأنهم بشر.. يقول العلامة السعدي رحمه الله- عن خوف موسى عندما ألقى السحرة عصيهم «كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره». وعليه، فإن توجيه الإطناب من موسى بأنه تلذذ في الخطاب وانبساط من موسى ليس بالوجيه- والله أعلم؛ ذلك لأنه لا يتواءم مع

باحث كويتي

طبيعة النفس البشرية، كيف وهما- أي موسى وهارون- يقولان لرب العزة حين أمرهما بالذهاب إلى فرعون: ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ (طه: ٤٥)، فكيف يكون حال موسى عندما فجئ بنداء رب العزة له! إن القول بتوجيه الإطناب بالتلذذ بالخطاب في نفسي شيء منه، ومن ثمَّ أرى أن الأعلى- والله أعلم- أن يقال:

إن موسى توجس خيفة من الاستفهام، وهو استفهام ليس الغرض منه طلب الفهم، وإنما المؤانسة، والتقرير، والتنبيه والإيقاظ، وهو ما أشار إليه الزمخشري، وأبوالسعود. وأما المؤانسة، فلم أرَ من أشار إليها- فيما وقفت عليه- وهي دالة على رحمة الله بعباده، وعلمه بما توسوس به نفوسهم، فموسى عبد من عباد الله كلمه الله تكليما، وهذا كما تقدم موقف جليل عظيم ذو مهابة، ونحن نعلم ما كان من النبي ﷺ حين قال له جبريل- عليه السلام: ﴿اقرأ﴾. فكيف بموسى! وهو الذي كان يسير ليلا يلتمس قبسا، والمعلوم من البلاغة ضرورة أن حال المتكلم والمخاطب معا لهما الأثر الرئيس في هيئة الكلام، يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني- رحمه الله: «إن الألفاظ تقع مرتبة على المعاني المترتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل»، وهذا الكلام من الإمام من أجل وأنفع ما تجده في كتب البلاغة والنقد، نعم؛ لأنه يفتح لك الباب على مصراعيه لتلج قلب المتكلم وعقله، ونحن إذا نظرنا إلى تركيب الآية الكريمة نجد ﴿هي عصاي﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يحذف المسند إليه (هي) لأنه معلوم، ولكن الذكر فيه توكيد، وهذا يعضد ما ذهبتُ إليه من أن موسى كأنه استشعر أن في العصا أمرا ربما يسبب له عقوبة أو مؤاخذة ونحو ذلك، فأكد ليدفع عن نفسه كل ما لاح له من تبعات الاستفهام، وبعض العلماء يرى أن من طرق القصر تعريف الطرفين (هي) (عصاي) بالإضافة، ولم يقل: هي عصا.

إن موسى كان في حال من استشعر الخوف من توجيه الاستفهام ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ ظنا منه أن ثمة ما يؤاخذ به بسبب العصا، مما جعله يقول- تبعا لمقتضى حاله: ﴿هي عصاي﴾ ولعلنا نلحظ الإضافة، فهذه الإضافة لها قيمة رفيعة جدا في بناء الجملة، وهي تعضد الذي تراءى لي عند قراءة هذه الآيات الكريمات؛ لأنها تتضمن نفي كل ما هو خلاف كونها عصاه هو، ثم إنه- عليه السلام- عدد استعمالاته لها، وكل ما ذكر مما ليس فيه تبعة عليه، وهذا يتسق غاية الاتساق مع حال موسى، وفي توجيه الاستفهام رحمة من الله بعبده الصالح، فهذا الكلام من شأنه أن يهدئ من روع موسى، ويعيده إلى شيء محسوس بيمينه طالما صحبه، وغير خافٍ أن تحول الخطاب من الله عن الله- جل وعلا- إلى الحديث عن العصا يجعل موسى أسكن جنانا وأهدأ نفسا، ومن ثمَّ يهيئه لتلقي الخطاب الإلهي ورؤية المعجزة الكبرى، وهذا لا يصطدم مع ما ذكرتُ، وإنما هو معه في وفاق، ولعلنا نلحظ- أيضا- أنه ذكر أنه يستخدمها في الهش على غنمه وأنه يتوكأ عليها، وهذا فيه إظهار شيء من الضعف مشوب بشيء من طلب الرحمة، ومن ثم تتجلى لنا رحمة الله- عز وجل- من الاستفهام الذي ذكر علماء البلاغة والتفسير أن الغرض منه التقرير والإيقاظ والتنبيه، وهذا حسن جدا، ودقيق جدا، ولكنهم لم يولوا- فيما أعلم- حال المخاطب الخائف عناية نستنبطها من إطناب جوابه عن الاستفهام الذي من شأنه أن يهدئ من روع موسى، ويعيده إلى شيء محسوس في يمينه، ومن ثم يؤهله لتلقي الخطاب الإلهي، ورؤية المعجزة في العصا، وهذا الأخير هو ما نبه إليه العلماء فيما وقفتُ عليه.

وهو ما لمحته من كلام الزمخشري- رحمه الله: «وقالوا: إنما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته» ثم في قوله- أيضا- في تفسيره للإجمال بعد الإطناب ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ (طه: ١٨).

«وقالوا: إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه وقالوا: انقطع لسانه بالهيبة فأجمل». فالقول الأول ليس بالأعلى عندي.

وقد وجدت بعد ذلك حذفا عجبا، وهو في قوله تعالى ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه: ٢١) (لا تخف) بحذف المعمول، نعم.. الذهن ينصرف مباشرة إلى أن تقدير الحذف: لا تخف منها، ولكنه لا يأبى أن يكون المعمول عاما لكل خوف، ومنه الخوف الذي اعترى موسى عليه السلام لهيبة الموقف.

والله تعالى أعلم.

دور الشعر العربي في تفسير القرآن الكريم

هاني إسماعيل محمد

لم يحظ فن من فنون الأدب العربي بكثرة الدراسات وتنوعها، سواء القديمة منها أو الحديثة، مثلما حظي الشعر العربي، وخاصة الجاهلي منه، إذ يعد المرجع الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانية والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغوية وطرقهم التعبيرية، فضلا عما يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها، وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسمية الأولى التي دونت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي منذ بزوغ الجنس العربي ونبوغ عقليته.

يفسر لنا هذا مدى احتفاء القبائل العربية بالشعراء الذين كانوا بمثابة المتحدثين الاعلاميين أو الرسميين لقبائلهم، فهم الذين يعبرون عن آراء قبيلتهم وتوجهاتها وينافحون عن جنابها وحرماتها، وهذا ما أكده ابن رشيق في عمدته فقال:

«كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج»(١).

وكما احتفت القبيلة العربية بالشعراء وأشعارهم احتفى المفسرون على اختلاف توجهاتهم وتباين مناهجهم بالشعر، وقاموا بتوظيفه في تفسير النص القرآني الكريم وكشف ما فيه من غريب الألفاظ وغامض المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبينٍ، ومن ثم كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطًا أساسيًا من شروط من يتصدر للتفسير «وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»(٢)، وقال أبوالليث: «وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير»(٣).

ويؤكد هذا الشاطبي في موافقاته فيقول:

مع بداية ظهور التفسير بدأ الاهتمام بالشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالتها اللغوية

«إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾، وقال ﴿بلسان عربي مبين﴾، وقال: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي أو بلسان العجم، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»(٤).

ومع بداية ظهور التفسير بدأ الاهتمام بالشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالتها اللغوية، وذلك نظرا لما يتضمنه الشعر من ثراء لغوي، ولما يحتويه من خصائص الأسلوب العربي المبين، «فقد كان المفسرون من علماء اللغة الذين يحرصون على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها حتى ذكر الواحدي انه درس اللغة ودواوين الشعراء على شيخه العروضي»(٥).

وتشير المصادر إلى أن حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه ورد عنه كثيرًا من الشواهد الشعرية في تفسير آي الذكر الحكيم، يقول عكرمة: «ما سمعت ابن عباس فسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتًا من الشعر، وكان يقول: إذا اعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب»(٦).

وعن سعيد بن جبير قال: «سمعنا ابن عباس يُسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا»(٧)، وعنه أيضا وعن يوسف بن مهران أن ابن عباس، «قال: إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربيّ، ثم دعا ابن عباس أعرابيًا، فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق. قال: صدقت»(٨).

وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات التي وردت عن ابن عباس في هذا الباب إلا أن هناك بعض الروايات التي تفيد بأن قصب السبق كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو أول من لفت الأنظار إلى أهمية الشعر في فهم القرآن الكريم وغريب ألفاظه، فقد روي عنه أنه سُئل على المنبر عن قوله تعالى: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ فقال له رجل من هذيل التخوف عندنا التنقص، ثم أنشده.

تخوّف الرجل منها تامكا قَردا
كما تخوف عود النَّبْعَة السَّفَن

فقال عمر: أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإنه فيه تفسير

كاتب صحافي

كتابكم(٩).

ومع أن هذه الدعوات صدرت من الرعيل الأول من صحابة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بيد أن فريقًا من المفسرين انصرف عن «الولوج في الشواهد الشعرية لتفسير الآيات القرآنية حذرا من الزلل لاسيما في كتاب الله»(١٠)، وقد ذكر السيوطي أن الفضل بن زياد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله «أنه سئل عن القرآن، يمثل له الرجل ببيت من الشعر؟ فقال: ما يعجبني فقيل ظاهره المنع»(١١)، وهذا يفسر لنا عزوف بل إنكار فريق من المفسرين الاستشهاد ولو ببيت من الشعر مفرد في تفاسيره.

وما عزف المفسرون عن الشعر إلا ورعا وكراهة أن يُصرف معنى من معاني القرآن إلى غير مقصوده، وفي هذا يقول السيوطي: «الكراهة تحمل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها»(١٢).

ومع هذا نجد أن هذا الاتجاه الذي تورع عن توظيف الشعر العربي في فهم النص القرآني لم يكن اتجاهًا سائدا بل كان محدودًا، وعلى العكس من ذلك كان معظم المفسرين ومن قبلهم النحويون يلجأون إلى الشواهد الشعرية لتفسير غريب ألفاظ القرآن، ويصرح بذلك ابن الأنباري بعدما ذكر دور ابن عباس في الاستشهاد بالشعر في الرد على مسائل نافع بن الأزرق عن مواضع في القرآن فيقول: «فيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلا للقرآن، وليس كذلك، وإنما أراد النحويون (وعلى إثرهم المفسرون) أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال:﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ وقال تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (١٣).

وقد قال أبوهلال العسكري في صناعته وهو ينوه إلى فضائل الشعر: «من ذلك أيضا أن الشواهد تنزع من الشعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول شاهد»(١٤).

وهذا القول يلفت انظارنا إلى قضية الطعن في الشعر العربي، والجاهلي منه خاصة، كما رأينا في كتاب الدكتور طه حسين «في الشعر الجاهلي»، فالطعن في المصدر الرئيسي والمنبع الأول للغة القرآن الكريم يعد طعنًا صريحًا في القرآن الكريم وطعنا في شواهدها التي عول عليها المفسرون(١٥)، حيث أراد الطاعنون من مستشرقين وتلامذتهم أن يطعنوا في القرآن ومعانيه «عن طريق خافت الضوء هو الشعر، حتى لا تحدث ضجيجًا أو صياحًا يفسد عليها هدفها الذي تسير فيه حتى تصل إلى غايتها الخطيرة، وهي تقصد أساسًا إلى محاربة القيم الإسلامية وإزاحة فكرة الأصول الثابتة»(١٦)، عبر التشكيك في شاهد القضية الرئيسي، الشعر العربي الذي وصفه ابن رشيق في عمدته: «بأكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته، وتمتثل إرادته»(١٧)، ومن قبله وصفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأصح علوم العرب حين قال: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»(١٨).

ومن الأمثلة الموضحة لمدى توظيف الشعر في كشف غموض الدلالة اللفظية والتراكيب اللغوية في السياق القرآني ما جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أي قعر النار، ومنها منشؤها ، ثم هي متفرعة في جهنم، طلعها أي ثمرها، سمي طلعها لطلوعه، كأنه رؤوس الشياطين قيل: يعني الشياطين بأعيانهم، شبهها برؤوسهم لقبحهم، ورؤوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان، ولكل صورة حسنة هي كصورة ملك، ومنه قوله تعالى مخبرًا عن صواحب يوسف: ﴿ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾ وهذا تشبيه تخييلي، روي معناه عن ابن عباس والقرظي، ومنه قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وإن كانت الغول لا تعرف، ولكن لما تصور من قبحها في النفوس، وقد قال الله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن﴾ فمردة الإنس شياطين مرئية، وفي الحديث الصحيح: ولكأن نخلها رؤوس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين والغيلان، وقال الزجاج والفراء: الشياطين حيات لها رؤوس وأعراف، وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسمًا.

الهوامش

١- ابن رشيق: العمدة ٦٥/١.
٢- السيوطي: الاتقان في علوم القرآن ٤٤٤/٢.
٣- السابق: ٤٤٧/٢.
٤- الموافقات: ٣٠٥/٢.
٥- الشاهد الشعري في تفسير القرآن عبدالرحمن الشهري ص ٢٠٩.
٦- التبريزي، شرح حماسة أبي تمام ١/٣.
٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤١.
٨- تفسير الطبري: ٦٩٠.
٩- الموافقات: ٣٢١/٢.
١٠- المفسرون واهتمامهم بالشعر العربي: د.أحمد حمد سليمان الصقعبي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ع ٨٣ ديسمبر ٢٠١٠، ص ٣١.
١١- الإتقان للسيوطي: ٤٤٤/٢.
١٢- السابق: نفس الصفحة.
١٣- البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٩٧/١.
١٤- الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٤٣/١.
١٥- انظر تفصيل الطعن في الشعر والرد عليه في الشاهد الشعري للدكتور الشهري ص ٢١٢ وما بعدها.
١٦- أنور الجندي: مقال الحداثة، مجلة منار الإسلام الإماراتية، عدد ربيع الأول ١٤٠٦هـ.
١٧- العمدة: ١٦/١.
١٨- طبقات فحول الشعراء للجمحي: ٢٤/١.

قصة العدد

أعمى يقود بصيرًا وراشد لم يكن راشدًا

عبدالرحمن قره حمود

نعم لم يكن راشدًا لأنه بلغ الثلاثين من عمره ولم يعرف لماذا خلق؟ لقد كان مهرجًا حريصًا على إضحاك شلة من رفقاء السوء فرحًا بأنه يملك موهبة في التقليد ولم يدر أن التقليد من عمل القرود، لقد كان فخورًا بقوله: «لم يسلم أحد مني ومن سخريتي، حتى شلتي كانوا يتحاشون تعليقاتي اللاذعة عليهم».

قال: «لم أكن قد تجاوزت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي وفي تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته في السوق، والأدهى أنني وضعت قدمي أمامه ليتعثر، تعثر وانطلقت ضحكتي، عدت إلى بيتي متأخرًا، وجدت زوجتي في حالة يرثى لها، قالت: أين كنت يا راشد؟ فأجبتها ساخرًا في المريخ، قالت: أنا «تعبانة» ويبدو أن موعد ولادتي صار وشيكًا، فانطلقت بها إلى المستشفى، تركتها هناك ورجعت إلى البيت، ثم اتصلوا بي ليزفوا لي قدوم سالم أول أولادي، فانطلقت إلى المستشفى، فطلبوا مني مراجعة الطبيبة، فصدمت حين علمت أن ابني ولد أعمى، تذكرت المتسول الذي سخرت منه في السوق.. آه، كما تدين تدان، لم تحزن زوجتي، كانت مؤمنة بقضاء الله راضية مطمئنة، وطالما نصحتني بالكف عن السخرية من الآخرين، لم أكن أهتم بسالم كثيرًا، اعتبرته غير موجود، حين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة لأنام فيها، كانت زوجتي تهتم به كثيرًا وتحبه، أنا لم استطع أن أحبه، وحين اكمل الثانية من عمره اكتشفنا أنه أعرج، وكلما ازددت ابتعاداً عنه، ازدادت زوجتي حبًا له واهتمامًا به حتى بعد أن أنجبت عمر وخالدًا، ومرت سنوات كنت فيها لاهيًا غافلاً كنت كاللعبة في أيدي رفقاء السوء، لم تيأس زوجتي من إصلاحي، كانت تدعو لي دائما بالهداية، كبر سالم وأدخلته مدرسة خاصة بالمعاقين، لم أكن أشعر بمرور السنوات، فأيامي عمل ونوم وطعام وسهر، حتى حدث ما حدث ذلك اليوم، كان يوم جمعة، استيقظت عند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر بسبب بكاء سالم المزعج الشديد، كان يبكي بحرقة سألته لم تبكي؟ قال: أريد الذهاب إلى المسجد، ولا أجد من يرافقني إليه، قلت: أنا أرافقك، استغرب، لم يصدق، ظن أني أسخر منه، فعاد إلى بكائه، مسحت دموعه وأمسكت بيده، أردت أن أوصله بالسيارة فرفض قائلًا: أبي.. المسجد قريب، أريد أن أخطو إلى المسجد، لا أذكر متى دخلت المسجد آخر مرة، ولا أذكر آخر سجدة سجدتها، إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف والندم، ورغم أن المسجد كان ممتلئا بالمصلين فقد وجدت لسالم مكانًا في الصف الأول، وبعد انتهاء الصلاة طلب مني مصحفًا، فاستغربت كيف سيقرأ وهو أعمى؟ طلب مني أن أفتح المصحف على سورة الكهف، وضع المصحف أمامه وبدأ في قراء السورة، فإذا به يحفظها كاملة عن ظهر قلب، خجلت من نفسي، وأمسكت مصحفًا، أحسست رعشة في أوصالي، قرأت وقرأت، ودعوت الله أن يغفر لي ويهديني.

هذه المرة أنا من بكى وليس سالمًا، بكيت حزنًا وندمًا على ما فرطت ولم أشعر إلا بيد سالم تمسح دموعي، وعدنا إلى المنزل، كانت زوجتي قلقة على سالم، لكن قلقها تحول إلى دموع فرح حين علمت أني صليت معه، ومنذ ذلك اليوم لم تفتني صلاة الجماعة في المسجد، هجرت رفقاء السوء وأصبح لي رفقاء خيرون عرفتهم في المسجد، ذقت معهم طعم الإيمان، وأحسست أني أكثر قربًا من أسرتي، ما عادت الابتسامة تفارق وجه ابني سالم، من يراه يظن انه ملك الدنيا وما فيها، حمدت الله كثيرًا على نعمه وصليت كثيرًا، وذات يوم قرر أصحابي في المسجد وأنا معهم التوجه إلى بعض المناطق البعيدة للدعوة إلى الله، تغيبت عن البيت ثلاثة أشهر ونصف الشهر، كنت خلالها أتصل بالبيت كلما سنحت لي الفرصة، اشتقت إلى سالم، تمنيت سماع صوته، فهو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافرت، كانوا يقولون لي مرة هو في المدرسة، ومرة في المسجد، فأطلب من زوجتي أن تسلم عليه وتقبله، فتسر بذلك وتضحك، وفي آخر مرة لم أسمع ضحكتها المتوقعة، تغير صوتها قالت لي إن شاء الله، وعندما عدت إلى المنزل تمنيت أن يفتح سالم لي الباب، لكن فوجئت بخالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره، لقد سعدت زوجتي بقدومي لكن هناك شيء قد تغير إنها نظرات الحزن، سألتها ما بك؟ قالت لا شيء: قلت لها أين سالم؟ فلم تجب وسمعت صوت خالد الذي مازال يرن في أذني حتى هذه اللحظة: «بابا.. سالم راح الجنة عند الله» فأجهشت زوجتي بالبكاء وخرجت من الغرفة، عرفت بعدها أن سالما أصابته حمى قبل مجيئي بأسبوعين وبعد مكوثه يومين في المستشفى فارق الحياة.

وعرفت أن ما حدث هو ابتلاء واختبار، فصبرت على مصابي، وحمدت الله الذي لا يحمد على مكروه سواه، ومازلت أشعر بيد سالم تمسح دموعي، وبذراعه تحيطني، كم حزنت على سالم الأعمى الأعرج، لم يكن أعمى أنا من كنت أعمى، فأنقذني الله به من المهالك، سالم الذي امتنعت يومًا عن حبه اكتشفت اليوم أني أحبه أكثر من اخوته، بكيت كثيرًا، ومازلت حزينًا كيف لا وقد كانت هدايتي على يديه؟

هذا ما قاله الكاتب محمد الفوزان تحت

باحث سوري

عنوان «سالم البطل المعوق»، أما أنا فأقول له: هنيئًا لك يا أخي، إني أغبطك على حب الله لك فقد رزقك زوجة مؤمنة صالحة صابرة وراضية، كما رزقك ولدًا لم تحبه لأنه أعمى وأعرج، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم...﴾ (النور: ١١).

لقد كنت في الثلاثين من عمرك ولم تكن راشدا، وكان طفلا لم يبلغ سن الرشد لكنه كان بفضل الله «راشد»، وجلب معه لك ولأمه الخير الكثير، فمن خيره لأمه صبرها عليه وفوزها- إن شاءالله- بما وعد به بقوله: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر: ١٠)، ومن خيره لك أن جعله الله سبب هدايتكم، ثم ابتلاكم بفقده بعد حبك له لتكون أنت أيضًا من الصابرين الذين يوفون أجرهم بغير حساب.

ومن خيره أيضًا أنك أصبحت إمامًا وخطيبًا وداعية بعد أن كنت شريرًا بلغ بك الشر أن تسخر من الأعمى الذي رأيته في السوق وتضع قدمك أمامه ليتعثر وتضحك.

ومن خيره أيضا توبتك وندمك وبكاؤك على ما فرطت في حق نفسك مما جعلك ممن قال الله عنهم: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ (الفرقان: ٧٠) ومن خيره هذه القصص الإسلامية التي تكتبها يوميًا في الجريدة، وأخيرًا كيف تحزن على من أحبه الله فلم يطل بقاءه- وهو الكفيف الأعرج- في دار الشقاء ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (طه: ١١٧) ، بل عجل به إلى دار البقاء ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ (الأعلى: ١٧)، ألم يقل رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن»، فلم تحزن على من يخرج من السجن مبكرًا؟!

إن المؤمن إذا مات يصبح في مكان لا يحب الرجوع منه، اللهم إلا إذا كان شهيدًا فإنه يحب أن يعود ويعود ليقتل ثم لفرط ما يجد من حلاوة الشهادة.

وكل ما في الأمر أنه سبقك في الخروج من دار الشقاء إلى دار البقاء وستلحق به قريبًا مهما طال عمرك وهو بانتظارك.

فهنيئًا لك يا أخي بزوجتك المؤمنة الصالحة الصابرة وبولدك الداعية الصغير، ثم حب الله لك الذي أخرجك من الظلمات إلى النور.

ولو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع.

تسابيح بلبل

د. رفيق حسن الحليمي

غرَّد البلبلُ يَومًا
فَوقَ أَغصانِ الشَّجَرْ
طائرًا بَينَ غُصُون
هائمًا بَينَ الزَّهرْ
في جُمُوع منْ طُيُور
ذاتِ ألحان أُخر
في ظلال وارفات
و عـــيـــو ن
و نـــهـــر
زانت الكون بهاء
مع عبير ينتشر
نسمات من عليل
تتهادى في خفر
يا له صبحًا جميلًا
في شروق ينتشر
شدني لحن عجيب
يا لقلبي قد ظفر
هاج شوقي بعد ليل
مائج لا يستقر
يكتوي الجسم بنار
تتلظى في شرر
يتجافى عن منام
أو سكون منتظر
مُدْنَفًا يغفو قليلًا
مشفقا يرجو المفر
في ذهول وشرود
واضطراب في الفكر
و عيو ند ا معا ت
تتها و ى كا لد ر ر
و ز فير و شهيق
وانقباض في الصدر
ليس طيف يجتبيه
بعد أن ولى العمر
ليلتي ليل طويل
غاب نجمي والقمر
ليس في ليلي متاع
من غناء أو سمر
ليتني كنت كطير
لا يبالي من ضجر
شاءت الأقدار أني
كائـــن بـين البـــشر
فر ضينا بقضا ء
و ا رتضينا با لقد ر
ليس هم يعتريه
لا، ولا يشكو كدر
هائمًا بين أقاح
مع أليف ينتظر
لا يبالي من مصير
أو فناء قد قدر
أو غيوم ممطرات
أو سماء مكفهر
أو شموس ساطعات
أو وهـــاد ووعـــر
حوله الأعداء ترنو
بين باز ونسر
ترك الأعداء تهذي
في اغتياظ ومكر
ملأ الجو غناء
ينتشي منه البشر
جل من أعطاك صوتًا
حكمة فيها عبر
جل ربي في علاه
جل ربي واقتدر

أكاديمي فلسطيني

كتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»

التحرير

الكتاب: سلم الوصول إلى طبقات الفحول
المؤلف: حاجي خليفة
الناشر: منظمة المؤتمر الإسلامي (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول).
سنة النشر: ٢٠١٠م عدد المجلدات: ستة مجلدات
تحقيق: محمود عبدالقادر الأرناؤوط
تدقيق: صالح سعداوي صالح

كان من مجالات النشاط الأساسية التي عُني بها مركزُ الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أعمال فهرسة المخطوطات المتعلقة بتاريخ الإسلام وثقافته، ثم العمل على حماية تلك المخطوطات ونشرها والتعريف بها.

قيمة الكتاب

كتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول»، عمل مهم وضعه في تراجم الأعلام كاتب حلبي «حاجي خليفة» (ت ١٦٥٧م)، العالم العثماني الكبير، صاحب كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» الذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي، وهو على رأس أهم الشخصيات التي ألفت في مجال التراجم العامة، وعلى الرغم من وفاته في سن مبكرة إلا أنه نجح في كتابة عديد من الكتب القيمة، من أهمها وأكبرها كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» في التعريف بالكتب وموضوعات العلوم، وكتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» في التراجم، ثم كتاب «فذلكة» في تاريخ الإسلام العام، وكتاب «جهاننما» أي: مظهر العالم في الجغرافيا، وقد طبع الكتابان الأول والأخير أكثر من مرة، أما «سلم الوصول» الذي لا يقل أهمية عن هذين الكتابين المنشورين، وكذلك «فذلكة» فلم يستطع أحد التصدي لنشرهما حتى الآن.

والجدير بالذكر أن «سلم الوصول» هو من أكبر الكتب التي ظهرت في التراجم العامة الإسلامية في تاريخ الأدبيات العثمانية، وقد تناول فيه المؤلف حياة رجال الدولة البارزين في تاريخ الإسلام، وحياة العلماء والشخصيات المهمة التي احتلت مكانتها في الأدبيات الإسلامية، رغم أنها عاشت قبل ظهور الإسلام، ثم عن أعمال ومؤلفات هؤلاء، مع ترتيب كل ذلك في مداخل ألفبائية، كما قدم لنا في القسم الثاني من الكتاب (ج٤، ٥) معلومات في الأنساب والكنى والألقاب، وعرّف بعض الأماكن والفرق والمذاهب المختلفة.

وقد حرص المؤلف رحمه الله وهو يُعِدّ كتابه على الحديث في المقدمة عن المنهج الذي جرى عليه، مع تقديم شروح حول علم التاريخ وبعض الأنساب، أما الخاتمة فضم فيها معلومات إضافية مكملة للمعلومات الموجودة في نص الكتاب، ومن هنا فالكتاب ليس مقصورًا على التراجم وحدها، وإنما يعد أيضًا واحدًا من كتب الأنساب.

مضمون الكتاب

إن كتاب «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» معجم بيوغرافي شامل للأدبيات الإسلامية، يضم في مجمله نحو ٨٥٦١ ترجمة، جرى ترتيبها في قسمه الأول بحسب أسماء الأشخاص، أما في القسم الثاني فإنه يتحدث عن كنى وأنساب وألقاب هؤلاء الأعلام وغيرهم بطريقة منهجية معينة.

مؤلف الكتاب

مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ويعرف بملا كاتب جلبي أو شلبي، رئيس كتبة أسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية في أيام سلطنته، ولد في القسطنطينية وأبوه من رجال الجند، ولما ترعرع استخدم كاتبًا في نطارة الجيش والأناضول، ثم انتقل إلى بغداد وارتقى المناصب حتى صار من رؤساء الكتاب، وعاد إلى القسطنطينية واشتغل بالعلم، ثم أعيد إلى بغداد وهمدان وصحِب

الصدر الأعظم محمد باشا إلى حلب، ومنها إلى مكة، حيث قضى فريضة الحج وسمي من ذلك الحين حاجي، وتفرغ بعد ذلك للعلم، ولُقب خليفة منذ كان معاونًا أو وكيلًا في إدارة المالية.

ولحاجي خليفة زهاء عشرين كتابًا في غاية الأهمية، منها «جهاننما» المطبوع سنة ١١٤٥هـ وفيه يصف قارة أمريكا، و«لوامع النور في ظلمة أطلس مينور»، ألفه بمساعدة صديقه الراهب الفرنسي الذي اعتنق الإسلام وتسمى بـ«محمد إخلاصي»، وساعده في ترجمة طائفة من الكتب الأوروبية في تاريخ الفرنجة.

كان رحمه الله واحدًا من أبرز الشخصيات التي عرفتها الأمة التركية وعرفتها الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كله على الإطلاق، فانفتاحه في ذلك العهد المبكر على ثقافات مختلفة، ولاسيما على ثقافات وعلوم الغرب قد جعله يتبوأ مكانة تليق به بين الرواد الذين أقاموا أولى الاتصالات فيما بين الشرق والغرب.

توفي في سن التاسعة والأربعين، ومع ذلك فقد استطاع بكتبه التي أنجزها خلال تلك الحياة القصيرة مع كثرة عددها وتنوع موضوعاتها، فضلاً عن محتواها وأصالتها أن يحتل مكانة متميزة في الأدبيات العثمانية والإسلامية، واستطاع كاتب جلبي بذهنه الوقاد وفكره النقاد وإحاطته الموسوعية وأعماله المنظمة التي تركها لنا أن يتحف دنيا العلم ومن خلال منهج علمي لم يدركه أحد في عصره بتراجم رجال برزوا في تاريخ الحضارة الإسلامية وأدبياتها، وقد حظيت تلك الأعمال باهتمام رجال العلم في الغرب منذ عهد مبكر، ولا يزال كل كاتب منها يحافظ على قيمته كمرجع لا يمكن الاستغناء عنه في بابه حتى اليوم.

كان كاتب جلبي يجيد التركية والعربية والفارسية، أي «الألسنة الثلاثة» بالمصطلح العثماني، ولهذا فقد استطاع بخبرته وبراعته العاليتين الاستفادة في تأليف أعماله من المصادر والمراجع المدونة بتلك اللغات الثلاث، فإلى جانب استخدامه الأوسع للغة التركية التي هي لغته الأم قد استفاد بكل يسر من اللغتين الأخريين عند الحاجة، ويدلنا اختياره للغة معينة منها في تأليفه أو ترجمته لأحد الكتب على ماهية الهدف الذي قصده من ذلك الكتاب وعلى كتلة القراء التي أرادها له.

المجتمع المسلم ورعايته لذوي البصيرة

د. ناصر أحمد سنة

المتأمل في كتاب الله تعالى، وسنة مصطفاه، ﷺ، يجد نظامًا إيمانيًا تربويًا اجتماعيًا تكافليًا شاملاً.. نظام من ركائزه «تبني هموم الناس، وبخاصة ذوي الاحتياجات الخاصة، والسعي لمعالجتها، وتفريجها»، وتعتبر فئة ذوي البصيرة ممن كُفّ بصرهم، من أكثر فئات ذوي الاحتياجات الخاصة «حظا، من حيث الرعاية المجتمعية عبر التاريخ، وقد كانت أوضاعهم في المجتمع المسلم أفضل بكثير إذا ما قورنت بأقرانهم في مجتمعات أخرى.

كانت المجتمعات الغربية القديمة (كإسبرطة وأثينا وروما) تقوم بعزل الأشخاص الأسوياء، فما الظن بغيرهم ممن تنقصهم القدرة على اكتساب العيش أو الدفاع عن النفس؟ فكانوا يعتبرونهم عبئا ثقيلا على المجتمع، وفئاته الأخرى، وكان هذا العزل يأخذ أشكالاً مختلفة قد تصل إلى التخلص منهم بالقتل، ثم استيقظ الضمير الإنساني نحوهم فتم إنشاء ملاجئ مختلفة للعناية بالعجزة، والمعاقين، والمُعوزين وغيرهم، وكانت الخدمات المُقدمة لهم تقتصر على توفير المأوى والغذاء والكساء.

لقد أولى الاسلام، دين الله تعالى، وخاتم شرائعه، اهتمامه الكبير بكل شؤون الحياة ونُظمها.. عامة وخاصة، فردية واجتماعية... الخ. لذا فقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرًا بحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، ومنهم من كُفّ بصره، فحرص على تلبية احتياجاتهم المختلفة ودمجهم في المجتمع، ويكفي أن الله تعالى قد عاتب رسوله ﷺ في شأن واحد من هؤلاء المكفوفين (عبدالله بن أم مكتوم): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَهُوَ يَخْشَى. فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (عبس: ١-١١). فكان ﷺ حين يقابل «ابن أم مكتوم» يقول له: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي»، وكان إذا غاب عن المدينة- بعد الهجرة- يوليه عليها حتى يعود.

ولقد أكرم الله تعالى المكفوفين بما يجبر خواطرهم ويعلي مكانتهم، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته بها الجنة» (يريد عينيه) (رواه البخاري). فالمؤمن المبتلى بفقد نعمة البصر (يتراوح هذا الابتلاء بين العمى الكامل وحالات أخرى قريبة منه) يستقبل قضاء الله وقدره بكل إيمان ورضا، ولقد كان المؤمنون، قديمًا وحديثًا، أمام هذا الابتلاء أطيب قلوبًا، وأسلم صدورًا.

ولا يغيب عن البال حديث الثلاثة، الأقرع والأبرص والأعمى، وهو في صحيح مسلم. يقول الوزير «ابن هبيرة» في كتابة «الإفصاح» بعد إيراد حديث الثلاثة: «البلاء إلى السلامة أقرب من العافية إليها، ألا ترى كيف هلك مع السلامة اثنان: الأبرص والأقرع، ونجا واحد وهو الأعمى»، فالصبر على البلاء يكون خيرًا للمبتلى، وقد حذر الحديث من اتهام القدر، فإن الله ينظر للعبد في الأصلح، والعبد لا يعلم العواقب، و«الصواب أن يسأل الله العافية من

البلاء والتوفيق إلى رضاه».

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)، يقول الإمام القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»، وفي معرض حديثه عن كفار مكة: «إن الأبصار لا تعمى، أي إن أبصار العيون ثابتة لهم، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن إدراك الحق والاعتبار»، إلى أن قال- رحمه الله- وقال قتادة وابن جبير: «نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم رضي الله عنه». وقال ابن عباس ولما نزل ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٢)، قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى، أفأكون في الآخرة أعمى، فنزلت: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار، لكن إذا رزق الله العبد الاستقامة والتفقه في الدين والعمل بشرع الله فلا يضره عمى البصر كما قال ابن عباس رضي الله عنه:

إن يأخذ الله من عيني نورهما
فإن قلبي مضيء ما به ضرر

أرى بقلبي دنياي وآخرتي
هو القلب يدرك ما لا يدرك البصر

وقال ابن كثير: «ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر». ففي ذلك عظة وإرشاد إلى خير علاج وهداية لنفس المُبتلى ليجتث منه أي شعور بقلق أو بنقص، ويحل مكانه الرضا والثقة ويرشده إلى أن ما يعانيه لا ينقص من كرامته ولا يحط من قيمته في الحياة، فالعاهة الحقيقية هي التي تصيب الدين والخلق السليم، ولمن أراد المقارنة أن يقارن بين إنسان موفور الأعضاء سقيم الإيمان، وبين عليل سليم العقيدة صحيح

في المجتمعات الغربية القديمة كانوا يعتبرون المعاقين عبئًا ثقيلًا على المجتمع

الإيمان، ويقارن بين من فقد البصر مثلًا، وآخر فقد الشرف، وبين بتر اليد أو الرجل وبتر الكرامة والأخلاق وتشوه الدين والضمير.

إن أمثال تلك المقارنات لتحمل على الحمد والرضا بسلامة ذي العاهة الجسدية من الإصابة بعاهة إيمانية أو خلقية.

وقد أكد ﷺ على قيمة «المساواة» في أكثر من حديث، ففي حجة الوداع التي حوت جوامع الكلم ولخصت قواعد الإسلام قال ﷺ «أيها الناس.. إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم».

ولكي ينزع من النفوس بقايا نزوع أرضي قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

كما أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد حث على إحصاء عدد المعوقين في الدولة الإسلامية، ووضع الإمام أبوحنيفة تشريعًا يقضي بمسؤولية بيت مال المسلمين عن النفقة على المعاقين، أما الخليفة الوليد بن عبدالملك فقد بنى أول مستشفى للمجذومين عام ٨٨هـ، وأعطى كل مُقعد خادمًا، وكل أعمى قائدًا، ولما ولى الوليد إسحاق بن قبيصة الخزاعي «ديوان الزمنى» بدمشق قال: لأدعن الزّمِن أحب إلى أهله من الصحيح، وكان يؤتى بالزمِن حتى يوضع في يده الصدقة، والأمويون عامة أنشأوا مستشفيات خاصة، فأنشأ الخليفة المأمون نزلًا للعميان والنساء العاجزات في بغداد والمدن الكبيرة، وقام السلطان قلاوون ببناء بيمارستان لرعاية المعاقين، بل وكتب كثير من علماء المسلمين عنهم مثل: «الرازي» الذي صنف «درجات فقدان السمع» وشرح «ابن سينا» أسباب حدوث الصمم.

بل إن من العلماء المسلمين من كان يعاني من إعاقة، ومع هذا لم يؤثر ذلك عليهم فأصبحوا- برعاية ومساعدة محيطهم الأسري والاجتماعي- أعلامًا بارزين، وممن تطرق إليهم «ابن قتيبة» في كتابه «المعارف» حيث ختمه بفصل عن المكفوفين، وعدّ منهم أبا قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأبا سفيان بن حرب، والبراء بن عازب، وجابر بن عبدالله، وكعب بن مالك الأنصاري، وحسان بن ثابت، وعقيل بن أبي طالب. وعقد «ابن الجوزي» في كتابه «تلقيح مفهوم أهل الأثر» فصلًا عن المكفوفين من الأشراف والصحابة والتابعين، ومنهم أبان بن عثمان، ومحمد بن سيرين، ودعبل الخزاعي، والقاضي عبده السليماني، وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج، وحاتم الأصم، وسليمان بن مهران الأعمش، وأبوالعباس الأصم وغيرهم. ومن خيرة من كتب عن المكفوفين في عصرنا الحاضر وأشاد بفضلهم وعدد مناقبهم الشيخ أحمد الشرباصي في كتابه القيم «في عالم المكفوفين»، وهو دائرة معارف في هذا الموضوع.

ومع مطلع القرن السابع عشر الميلادي استطاع عدد من المكفوفين العباقرة بجهود فردية أن يثبتوا وجودهم، فلم يتمكن هؤلاء الأفراد من تعليم أنفسهم فحسب بل برزوا في فنون الحياة، ولقد كان لتفوقهم كبير الأثر في إنشاء مؤسسات تعليمية وتأهيلية للمكفوفين فيما بعد، ثم نشدت شعوب العالم المعاصر إلى تكامل بين شرائح المجتمع المختلفة، وتهيئة الظروف التعليمية، والتأهيلية،

والنفسية، والاجتماعية لتمكين المعاقين من الاندماج في المجتمع.

من أهم حقوق ذوي البصيرة

الإعاقة البصرية تحد من فرص الطفل في التعلم الطبيعي من خلال الخبرات والتفاعل مع البيئة المحيطة، حيث يفتقد الإثارة البصرية اللازمة للنمو والتعلم الطبيعي، فضلًا عن حماية الأهل الزائدة له، وعدم الشعور بالأمن أو الثقة بالنفس، لكن في مجالات مختلفة في مقدمتها التربية والتعليم حظي «ذوو البصيرة» في المجتمع المسلم بقدر كبير من الاهتمام والرعاية، وكانت الكتاتيب التي تقوم بتحفيظ كتاب الله تعالى، وتدريس اللغة العربية وعلومها، ثم كان «الأزهر الشريف» أول مؤسسة تعليم عال تفتح أبوابها لهم، في عام ٩٧٠م، ولقد تركت تلك المبادرة- والتي أصبحت تقليدًا رائدًا انتشر في أرجاء العالم الإسلامي- بقبول المكفوفين بصريًا للدراسة مع أقرانهم المبصرين أثرًا عظيما في حياتهم التعليمية والعملية، كما بدأت مدارس منفصلة خاصة بالمكفوفين بصريًا عرفت بـ«معاهد النور» تظهر إلى حيز الوجود، بدأت هذه المعاهد نهارية، ثم اتجهت لتكون مدارس داخلية، ولعل ذلك يعود إلى أن النظام المبتكر لـ«برايل» كنظام قراءة وكتابة موحد للمكفوفين عزز بشكل أو بآخر فلسفة قيام هذه المدارس، كما لا ننسى مدارس ودور ومعاهد ومراكز متخصصة لرعاية ذوي الإحتياجات الخاصة، ومنهم المكفوفون، تتولى مسئوليتها وزارات التعليم والشؤون الاجتماعية في مختلف الدول الإسلامية.

وبهذا وذاك حقق المكفوفون في المجتمعات الإسلامية نجاحا تعليميا باهرًا، واستطاع بعضهم بعد تخرجه أن يحتل مراكز قيادية مهمة (قضاة

ومدرسون وعلماء وخطباء... الخ)، فكان- وما يزال- للمكفوفين دورهم البارز في خدمة المجتمع الإسلامي وإثراء المكتبة الإسلامية، والقيام بدور ريادي في مجالات العلم والقضاء والأدب والشعر والفقه والفتوى، وقدرتهم على المساهمة والمشاركة والإبداع في هذه العلوم من الأمور التي تحدثت عنها كتب السير والتاريخ والتراجم.

فهم كغيرهم من فئات المجتمع، لا يختلفون من حيث الجد والاجتهاد والذكاء والعلم والمعرفة، بل إن بعضهم يبُز غيره، ذلك لأن «ذهنه وفكره وبصيرته تجتمع عليه وتثقل متشبعة بما يعايشه». وقد عقد «الصفدي» في كتابه «نكت الهميان في نكت العميان» فصلًا عن ذكائهم وطرفًا من أخبارهم، ومما أورده: «قل أن يوجد أعمى بليد، ولا يُرى أعمى إلا وهو ذكي ومنهم «الترمذي»، الكبير الحافظ، و«الشاطبي»، و«المقريّ»، و«السُهيلي» شارح السيرة، و«ابن سيده» اللغوي المعروف، و«بشار بن برد» وغيرهم. ومن المحدثين الشيخ «محمد بن إبراهيم آل الشيخ»، والفقيه الشيخ «عبد الله بن محمد بن حميد»، والفقيه الشيخ «عبد العزيز بن عبد الله بن باز»، والشيخ «عبدالله بن محمد الغانم» وغيرهم.

حقق المكفوفون في المجتمعات الإسلامية تعليمًا باهرًا واستطاع بعضهم أن يحتل مراكز قيادية مهمة

والمجتمع المسلم ينهض بما أمر الله تعالى ونهاه، وقد نهى الشرع الحنيف عن الغيبة والنميمة، فمن حقوق هذه الفئات عدم السخرية منهم قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١) فالمجتمع الذي يزدري فيه الأصحاء أهل البلاء يكون مصدرًا لشقاء وألم هؤلاء، قد يفوق ألم الابتلاء، في حين أن لأهل البلاء مكانة في المجتمع بإسهامهم في خيره، قال ﷺ: «هل تنصرون، وترزقون إلا بضعفائكم» (رواه البخاري).

خلاصة القول: علاقة المكفوفين بمجتمعهم تحكمها أطر متباينة: إما أنهم عبء عليه، أو يعتبرهم قصرًا تحت الوصاية، أو النظر إليهم كأعضاء عاملين به، وهذا الإطار الأخير حرص المجتمع المسلم على الأخذ به، وعمل على حسن دمجهم فيه، إذا إن كف البصر ليس عائقًا للكفيف، فهو يحمل من القدرات ما يؤهله للعمل الذي يتفق مع ميوله واستعداداته، وهو قادر، بإذن الله، على المساهمة في العطاء والمشاركة في البناء الحضاري والتنموي إذا تم تأهيله التأهيل المناسب، الذي لا يقل بحال عن الاهتمام بغيرهم من ذوي البصر.

أسرتي

قوامة الأسرة المسلمة.. شورى لا استبداد

الحياة الزوجية حياة اجتماعية، ولابد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لابد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يُرجع إلى رأيه في الخلاف؛ لئلا يعمل كل واحد ضد الآخر، فتنفصم عرى الوحدة الجامعة ويختل النظام.

وقد خص الله عز وجل الرجل بالقوامة على الأسرة دونما استبداد بل هي قوامة شورية.

لقد حاول أعداء الإسلام عبر الدهور الطعن في هذه القوامة؛ لأنها بزعمهم ومكرهم وكيدهم تحقر من قدر المرأة ومكانتها.

إن القوامة التي ذكرها الله عز وجل في قرآنه ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ ليس معناها أن يكون المرؤوس- وهي المرأة- مقهورة مسلوبة الإرادة، وإنما هي قوامة تعاون وتشاور وسكن ومودة.. فهل يدرك خصوم الإسلام مغزى القوامة في هذا الدين العظيم؟!

التحرير

كل شيء عن الحب

إيمان القدوسي

الحب احتياج بشري فطري يولد به الإنسان، يؤكد ذلك تجربة شهيرة قام بها علماء النفس لبيان تأثير العاطفة في النمو، أجريت التجربة على مجموعتين من حديثي الولادة اللقطاء، كانت المرضات تعطي المجموعة الأولى احتياجاتها من الغذاء والرعاية فقط، أما المجموعة الثانية فأضيف إليها الحب والهدهدة والمداعبة والابتسام وكل صور الأمومة الحانية، وكانت النتيجة شديدة القسوة، فبينما نمت مجموعة الحب نموا رائعا، فإن المجموعة الأخرى ذبلت وماتت، ماتت بسبب الحرمان العاطفي.

للحب مصادر متعددة أولها حب الله ورسوله، ذلك الحب الذي يُشعِر المرء أنه يأوي لركن شديد، وأنه إذا ضاقت به السبل يمكنه أن يرفع يديه للسماء داعيا «يا رب»، وإذا كانت الحضارة المادية قد استطاعت أن توفر الكثير من سبل التقدم والرفاهية للإنسان فإنها عجزت عن سد ثغرة الخواء الروحي وجعلت الإنسان يحيا في ظلها كأنه «بينوكيو» أو «رجل الصفيح وخيال المآتة» الذي يشبه البشر تماما إلا أنه بلا قلب.

المصدر الثاني حب الوالدين وبرهما، ويتضح أثره في الدنيا قبل الآخرة، ثم حب الأبناء الذين هم امتداد المرء ووسيلته للتخلص من الإحساس بقصر الحياة التي سرعان ما يختتمها الموت.. إن دافع العمل من أجل الأجيال القادمة وتوريثهم خلاصة جهدنا من أهم أسباب الشعور باستمرارية الحياة والتفاؤل بالمستقبل.

يأتي بعد ذلك حب العائلة الممتدة عندما تجلس وسطهم تشعر أنك تنتمي لتلك الفصيلة بالفعل، فلقد صار عمك شديد الشبه بوالدك- رحمه الله، أما ابن عمتك فهو نسخة منك في شبابك، تستمتع بنوادر وحكايات العائلة، وتسمع للمرة الألف قصة خالك عندما ضرب «الحرامي» وانبهرت العائلة بشجاعته ثم اكتشفوا أنه صديق اتفق معه على هذه التمثيلية ليتخلص من شهرته بأنه يخاف من خياله، تضحك من قلبك وأنت تستعيد التفاصيل من خالتك الصغرى التي تخلت عن لقب «جميلة العائلة» بعد أن فعل الزمن أفاعيله.

حب الوطن والانتماء له مصدر مهم للحب والفخر وتحديد الهوية، في القائمة أيضا الجيران والأصدقاء والهوايات، وأخيرا يأتي حب الزوج أو شريك الحياة، ذلك الحب الخاص جدا والذي يستوطن بؤرة القلب بسهمه المعروف، إنه حبيبك ونديم خيالك ونصفك الآخر وبه تكتمل منظومة الحب البشري التي ترتبط تماما بمعاني السعادة والنجاح والقدرة على العطاء.

تم التركيز على المصدر الأخير فقط واستغلاله تجاريا على نطاق واسع، فإذا أطلق لفظ الحب كان المقصود منه فقط حب الرجل والمرأة، كل الأغاني والأفلام والروايات تدور حوله، وتم تدويره والمبالغة فيه بكل السبل الممكنة وأحيانا غير الممكنة أيضا، ومن هنا جاءت أزمة الحب، فصار هناك من ينفر من كلمة

باحثة أسرية

الحب نفسها لما ترتبط به من معانٍ يرفضها وهناك من يغرق في الحب حتى يهلكه.

والحقيقة أن الشباب الحديث صار أكثر وعيا، وتخلّص من بعض المفاهيم الخاطئة التي ارتبطت بالحب زمنا طويلا، فلم يعد مقبولا فكرة التمسك بشخص معين وحب مستحيل وإلا كان البديل هو الموت أو الجنون كما في قصص «روميو وجولييت» و«قيس وليلى»، طبعا هناك جاذبية خاصة تجعل شخصا بعينه مقبولا وغيره مرفوضا، ولكن تلك الجاذبية قابلة للتكرار بدليل أن الكثيرين يتزوجون ويقعون في الحب مرات عديدة طيلة حياتهم، كما أن فكرة أن الحب يعلو ولا يعلى عليه أيضا صارت مرفوضة من شباب اليوم المستنير أكثر مما نتصور، لن نجد حاليا «الأميرة إنجي» التي تصر على حب «علي» ابن الجناينى، صار التكافؤ مهما مع جيل جديد عملي جدا.

ولكن الفكرة التجارية التي مازالت مستمرة هي أن الحب بمعنى الغرام هو مصدر السعادة الوحيد في الحياة، تخبئ الفتاة الصغيرة أحلامها في وسادتها وتكبح مشاعرها بين جوانحها وتغذي خيالها بحب الأغاني والأفلام، فإذا تزوجت ألبست زوجها ثوب فارس الأحلام وخلعت عليه تاج الجزيرة السحري، ومن هنا تنشأ المشكلة.

إنها تغرقه بمشاعرها وتتوقع منه أكثر مما يسمح به واقع الحياة اليومية، وبعد فترة العسل الأولى يصبح ذلك الاهتمام الزائد عبئا على العلاقة الزوجية وحائلا دون نموها وتطورها الطبيعي، ومن ناحية أخرى فإن كل مبالغة في اتجاه يصاحبها تقصير في اتجاهات أخرى، فلن نعطي باقي مصادر الحب حقها، كما أن فرط الارتباط يحول دون نمو الشخصية المستقلة وتتحول تدريجيا لمجرد تابع أو ظل للزوج، وإذا كان هذا يسعد بعض الأزواج في البداية إلا أنه سرعان ما يشعر بعبء تحمل شخص آخر لا يمكنه السير إلا مستندا على عكازه، وتزداد الأمور تعقيدا إذا صادفت الأسرة بعض المتاعب التي تحتاج يدين تدفعان سويا لأن يدًا واحدة لا تصفق.

الحب كالشهد الذي يجمعه النحل من كل الزهور الجميلة ثم يضخه عسلا مصفى، وكلما تعددت مصادره ازدادت حلاوته وتأكدت فائدته، أما الحب من مصدر واحد فهو راكد قليل الفائدة، إذا لم تكن تحب انشغل بمصادر الحب الأخرى فهي تغذي نفسك وقلبك وعندما تعثر على الحب مارسه بقانونه الداخلي ولا تهمل باقي مصادره.

كل شيء في الدنيا له قانونه الداخلي الذي يحكمه، والقانون العام هو العدل، بمعنى الاعتدال والوسطية، حتى الحب، فإن مقداره المضبوط هو المطلوب، مقداره المناسب هو توقف قبل التخمة بخطوة وانشغل أحيانا بالمصادر الأخرى ولا تنس أن تنمي شخصيتك وتطورها ثم تعيد الكرة وكأنك شخص جديد.

والزواج كما يعرفونه حاليا هو علاقة بين راشدين يقوم كل منهما بدوره في الحياة على أكمل وجه ثم يتعاونان فيما بينهما لتحقيق السعادة المتبادلة.

وإذا كان للحب معادلة فلن تكون واحد + صفر على الشمال= واحد يحمل العبء كله ويمل من ذلك الحب المزعوم، ولكنها ستكون واحد + واحد= اثنان ناجحان متعاونان يتنفسان حبا صحيا.

علاقتك بحماتك أيام الخطوبة

- اقرئي واسألي أهل العلم لتعرفي ما لك وما عليك.
- احذري أن تصدقي ما يدور حولك من أحاديث بين بعض الزوجات، وخاصة ما يعرض في المسلسلات والأفلام من أن أم زوجك ستكون عدوتك على الدوام.
- تفاءلي بالخير دائمًا وقولي لنفسك: أنا غير الآخرين.. ليس إعجابًا بالنفس ولا غرورًا، ولكن من باب الإيحاء الذاتي لنفسك بأنك تستطيعين بعون الله وتوفيقه أن تجعلي من علاقتك بأم زوجك علاقة مختلفة، علاقة محبة وتفاهم.
- لا تقيسي على ما ترين أو تسمعين من أحداث واقعية ومشاكل حدثت بين بعض الزوجات وأمهات أزواجهن، فليس من المفروض أن تتعرضي أيضًا أنت لنفس الظروف.
- بيتي النية منذ البداية على أن تحسني إلى أم زوجك وأن تجتهدي في التقرب إليها وتعتبريها أمك.
- ولتكن هذه النية في التقرب إلى أم زوجك خالصة لوجه الله تعالى، ولا تنتظري مردود هذا الإحسان عليك في الدنيا، وإلا لضاع كل شيء.
- اسألي من تثقين بدينهم عن أهل زوجك، مستواهم الاجتماعي والفكري وكذلك عن طباعهم إذا كنت لا تعرفينهم من قبل، حتى يكون تعاملك معهم مناسبًا، فلا تحدث صدامات مستقبلًا.
- توجهي إلى الله بالدعاء، بأن يحببك إلى أهل زوجك، وخاصة أم زوجك ويحببهم إليك، وليكن الدعاء سلاحك دائمًا، في السراء والضراء، في الرضا والغضب.
- لا تلتفتي لما تتبرع به بعض النساء الجاهلات من وصايا ليس لها حظ من رضا الرحمن، بأن تكوني قوية الشخصية أمام أم زوجك وأهله حتى لا يذلوك.

دور الأسرة في تنمية الابتكار

بشرى شاكر

يعتمد المستقبل في عصر المعلومات على الذكاء والإبداع الإنساني، لا على الموارد الطبيعية فقط، وواجبنا- الأسرة آباء ومربين- التأكيد على تنمية قدرة الذكاء والإبداع والابتكار، بغية وضع الأبناء (بنين وبنات) في البيئة التي تساعدهم على ابتكار طرائق ومفاهيم جديدة لظروفهم الحياتية، لأن الابتكار من أهم العوامل التي أسهمت في تقدم الإنسان والإنسانية.

حدد الباحثون- في التفكير الإبداعي- العوامل التي تنمي هذا النوع من التفكير في النقاط الآتية:

- عوامل معرفية.
- عوامل إنتاجية.
- عوامل تقييمية.

الابتكار هو أسلوب في التفكير والسلوك، أي قدرة الإنسان على أن يصبح حساسًا للمشكلات والفجوات في المعرفة والعناصر الناقصة، ثم قدرته على تحديد الصعوبة، ووضع فروض عن أوجه النقص، ثم اختيار هذه الفروض، وإعادة اختبارها وتعديلها، وتوصيل نتائج هذا كله للآخرين.

والعقل الابتكاري له سمات، سيما أن تنمية التفكير الإبداعي تحتاج إلى عقل ابتكاري، مع عوامل إنتاجية تنمي الفكر الإبداعي، ولعل هذه العوامل هي التي تساعد في تحديد سمات العقل الابتكاري، وتتلخص في الآتي:

الطلاقة: وهي قدرة الفرد على أن يأتي بفكر متعدد، أو طرح حلول عدة للمعضلة الواحدة.

المرونة: وتعني قدرة الفرد على الإتيان باستجابات مختلفة للمثير الواحد.

الأصالة: وهي قدرة الفرد على الوصول إلى أفكار حديثة بكر، وبعيدة عما هو معروف ومألوف، والأفكار الأصيلة هي الأفكار النادرة.

التفضيل: وهو القدرة على وضع تفاصيل الخطط أو الأفكار.

ومن اللافت للانتباه، أن الإبداع لا يأتي من الفراغ، وإنما هو محصلة لمعارف ودراسات، ونتيجة لمجموعة من المهارات لحل المشكلة والتفكير الناقد، لاسيما من مهارات الاتصال والدراسة، والعمل مع الجماعة والتقييم، مع التنويه إلى أن الهدف من التربية العصرية المستقبلية هو التركيز على التفكير الابتكاري، ومن أجل مساعدة الطفل على إظهار طاقته الكامنة وتنميتها حسب الإمكان، لكي يبتكر أشياء جديدة، ويعزى ذلك إلى قدرة الطفل العجيبة على التخيل ومتابعة الأشياء الخيالية، كما يفعل العباقرة والنوابغ، خاصة في سن السادسة.

ثمة ضوابط يمكن وضعها لتنمية فكر الأبناء وإبداعهم وابتكارهم

وعلينا أن ندرك، أن ثمة ضوابط يمكن وضعها لتنمية فكر الأبناء وإبداعهم وابتكارهم، هي: الجدية في تقديم شيء

باحثة مغربية

فريد متميز للطفل ووفقًا لعمره الزمني والعقلي، والتأكيد على أن الواحد منهم يفكر حرًا، والسعي في تشجيع الدوافع عند الأبناء للتفكير من خلال التشويق والترغيب بغية إزالة الخوف من نفوسهم، وإتاحة فرصة الإبداع لديهم، مع إمكانية توفر الوقت الكافي والإمكانات، والحرص على أن يكون التقييم خبرة سارة لطالب العلم، مع إمكانية الرجوع إلى المصادر الأصيلة والفرعية للموضوع الواحد أو لعدة موضوعات، حيث سيفجر لدى الأبناء مكامن الإبداع والابتكار والتميز، مع إبداء الملاحظات التالية:

١- أثبتت التجارب أن إعداد الآباء والمربين طريقة لتشجيع ابتكارات الأبناء قد يؤدي بالفعل إلى زيادة نسبة المبتكرين. ومن أجل أن تقوم المدرسة بدورها بشكل فعال لابد من تأمين جو مدرسي يثير الابتكار، والعمل على تشجيع المتفوقين، والاهتمام بالتكليف بالأعمال الإضافية وبشكل حر ومستقل بغية إثارة روح الابتكار.

٢- التأكيد على الثوابت الدينية والأخلاقية، حيث تزيد من قدرة الأبناء على تفهم أمور العقيدة وتعميق الزاد الروحي، سيما وأن الإبداع يبدأ منذ سن صغيرة، ثم ينمو مع الطفل، مع مراعاة أن يكون ذلك عبر اللغة العربية «لغة القرآن الكريم» لكونها الوعاء لأفكارنا وإبداعاتنا.

لذا.. لا يمكن لأحد منا أن ينكر دور الأسرة في تنمية الإبداع والابتكار، لأن في حال عدم رعاية وعناية هذا الإبداع سوف يموت، مما يوجب العمل على تشجيع الطفل على الاستقلال. واحترام الوالدين للطفل المبدع المبتكر وإظهار الثقة في قدراته، ومنحه الحرية لاستكشاف عالمه، واتخاذ قراراته بنفسه، وتأمين الأمن له، وسيادة التفكير العلمي في الأسرة.. كل ذلك تأمين للمناخ الملائم والمشجع لتنمية الروح الإبداعية والابتكارية لدى أبنائنا.

المراجع

- الأسلوب الابتكاري د.حمدي خميس.
- منطق الإبداع د.مراد وهبة.
- التربية الابتكارية أ.عيد معمر.
- التربية الابتكارية والدولة العصرية. أ.تركي سليمان.

قضم الأظافر.. عادة أم هواية؟

مي علي إبراهيم

قضم الأظافر عادة عصبية نتيجة للشعور بالقلق والتوتر والاكتئاب والخمول عند الأطفال والكبار أو بسبب الإجهاد أو الشعور بالإحباط وهي عادة مكتسبة يمكن أن تكون لاإرادية، وهذه العادة غير صحية لأن بعض الأطفال يقضم أظافره حتى تنزف مما يسبب تجمع الجراثيم في المكان الملتهب فيصبح الشخص عرضة للإصابات الميكروبية والفيروسية، وانتقال البكتريا الذي قد يؤدي إلى مشكلات في الفم واللثة والأسنان وكذلك إلى مشكلات معوية ومعدية.

وهناك نصائح علاجية عدة لحل هذه المشكلة يقدمها أخصائي الأمراض النفسية والعصبية، منها إجراء فحص وتحليل للدم لتحديد مستويات الفيتامينات أو المعادن في جسم الطفل لأن نقصها قد يؤدي إلى حدوث مثل هذه الاضطرابات.

تناول طعام صحي غني بالكالسيوم والماغنسيوم وفيتامين «د» المركب لتقوية الأظفار وخفض مستوى التوتر المسبب لهذه العادة أو الناتج عنها، ويتوافر الكالسيوم في منتجات الألبان مثل «الحليب والزبادي والجبن» وسمك السالمون والسبانخ والبامية واللفت والفاصوليا والبسلة وبذور السمسم والقرنبيط واللوز.

أما الماغنسيوم فيتوافر في الفاصوليا والقرنبيط والبندق والفستق والبامية والمحار والألبان والسبانخ والحبوب الكاملة والخبز الأسمر، ويتوافر فيتامين «ب» المركب المركز بكثرة في الكبدة ولحم البقر والتونة والديك الرومي والبندق والموز والبطاطا.

تقليم الأظافر لأن طولها قد يشجع الطفل على قضمها بالإضافة إلى أن تقليمها من العادات الصحية السليمة.

خفض التوتر بالرسم والكتابة والعزف الموسيقي.

ومضغ الألبان أو أقراص النعناع بدلا من قضم الأظافر.

وضع موانع طبيعية تحول بين الطفل وبين أظافره كارتداء قفاز.

ولد صالح يدعو له

كمال عبدالمنعم خليل

حينما يفكر الإنسان في الزواج والارتباط بزوجة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا يخلو ذهنه من هدفين لهذا الزواج وتلك الخطوة، أولهما: صيانة نفسه وحفظها من الفتن والمغريات التي تحيط به، وثانيهما: إنجاب الذرية الصالحة التي تكون امتدادًا لذكره بعد مماته، ولا مانع من إضافة أهداف أخرى مشروعة، إلا أن هدف إنجاب الولد الصالح يبقى هو المنشود، والأمل المعقود.

والولد الذي نقصده لا يقتصر على الذكر فقط، بل الذكر والأنثى على السواء، والقرآن الكريم لمح لنا، بل بين ووضح وضوح الشمس، صفات هذه الذرية التي ننتظرها ونرغب فيها، فحينما تمنى زكريا عليه السلام أن يكون له ولد، رفع يديه بالدعاء وقال: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ (آل عمران: ٣٨)، فلم يتمن أي ذرية، لأن الذرية إذا لم تكن طيبة، ولم تتصف بالصلاح فلا فائدة منها، بل إن ضررها يكون أكبر من نفعها، وإذا زادت مشاكل تلك الذرية واشتد عقوق الأبناء للآباء، عندها يتمنى الوالدان زوال تلك الذرية.

كذلك بين القرآن الكريم في صفات عباد الرحمن أنهم يدعون ربهم ليلًا ونهارًا، سرا وجهارًا قائلين: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، ولا تقر الأعين بالذرية إلا إذا بدا صلاحها، فأحسنت العلاقة بربها، وبالتالي

إذا لم تكن الذرية طيبة وتتصف بالصلاح فلا فائدة منها

انعكس ذلك بالإيجاب على كل سلوك تسلكه، وعلى كل درب تسير فيه، لتصبح كالغيث أينما حل نفع، وإذا انحرفت الذرية عن جادة الطريق أصبحت كالقذى في عين الوالدين، وذلك يزيد من حسرة القلوب، والندم على التفريط. قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره لآية الفرقان: «يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم ومن ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة، فقال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين»، وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: «أن يُري الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميم طاعة لله، لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا أو ولد ولد، أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل».

وهذه امرأة عمران تلد ابنتها مريم- عليها السلام- ولا تغفل أن تدعوا لها وتستعين به في صلاح ابنتها، وأن يحفظها من الشيطان الرجيم، فقالت: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ (آل عمران: ٣٦)، فاستجاب الله لدعائها، إذ هي أحسنت وأجملت في الطلب، فحقق الله مرادها بقبول نذرها وصلاح ابنتها فقال: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا﴾ (آل عمران: ٣٧).

وإذا كان الإسلام قد رغب في الزواج وفي الذرية، فقد روى أبو داود والنسائي والحاكم، واللفظ له، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم». إلا أن هذه الذرية لا ينبغي أن تتصف بالضعف والذلة وسوء الخلق، فلقد بين الله تعالى أن مثل هذه الذرية لا تنفع صاحبها إذا ألمت به المصائب وضاقت به الحال، فلا يجد العون وقت الشدة حتى من

صحافي مصري

ذريته، قال تعالى: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ (البقرة: ٢٦٦)، قال ابن عباس: كان له ضيعة وبستان في شيبته، فاحترق، فلم يكن له قوة يغرسه، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه.

ولا يغفل الوالدان عن تربية الأبناء انتظارًا لهذا الصلاح المرجو منهم، كذلك فإن الدعاء بالصلاح للذرية له مردود إيجابي عند تقدم العمر بالوالدين، فيكون الابن الصالح سندًا لأبيه، ومتكأً يعتمد عليه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...﴾ (الأحقاف: ١٥).. فأفضل نعمة ينعم الله بها على العبد أن يرزقه الولد الصالح الذي يبره في حياته ويكون قرة عين له، وبعد مماته يدعو له فيكون عملًا موصولًا، وأجرًا غير ممنون، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»، وروى أبوداود في سننه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد: «اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمك مثنين بها عليك، قابليها بالحمد وأتمها علينا».. اللهم آمين.

أخطاء في التعامل مع الأبناء

التحرير

تربية الابناء تحتاج من الوالدين- خاصة مع الطفل الاول- إلى نظام محدد يتناسب مع نمو الطفل وتطور سلوكه، ولهذا يجب تجنب الوقوع في الأخطاء الشائعة أثناء التعامل مع اطفالنا وهي:

■ عدم الثبات: فلابد من وجود نظام محدد يجعل الطفل يعرف متى يستيقظ أو يتناول الطعام أو يستحم أو يلعب أو ينام، وهذا النظام يضمن ثبات الروتين اليومي مع ضرورة وجود مرونة في هذا النظام.

■ عدم التركيز على وقت للأسرة: فيجب أن يجتمع أفراد الاسرة في وقت محدد، وأن يخصص الوالدان وقتاً لكل ابن، ولهما معاً ايضاً، وأن يمتزج اللعب بالمرح والمناقشة، وأن نسمح للطفل بالتعبير عن مشاعره.

■ تقديم المساعدة بشكل مبالغ فيه: فهذا يجعل الطفل يفتقر الى الكفاءة في العمل والثقة بالنفس والاعتماد على الذات فلا يتعلم المهارات التي تفيده في حياته.

■ الكلام الزائد: عندما تتحدث الأم طوال الوقت حول سلوك الطفل ولا تبالي بلحظات بكائه أو محاولة اتخاذ بعض السلوكات السلبية وهي لا تزال تتحدث، فسوف يكون هناك حوار مفقود بين الطرفين، وعلى ولي الأمر إدراك أن الطفل يختلف عن البالغ من حيث استجابته للنقاش والجدال، لذا يجب أن تراعي الام إصدار تعليماتها مرة واحدة، وإذا لم يطعها الطفل، عليها أن توجه له تحذيرا شفهيا وتمهله برهة قصيرة حتى يسلك السلوك القويم.

■ تقديم الأطعمة التي يحبها الأطفال والوجبات السريعة فقط، فلابد أن تشجعي طفلك على تجربة طعام جديد ولا تحرميه من بعض الحلوى والأطعمة الخفيفة.

■ التعجيل بنوم الطفل بمفرده والحل البسيط أن تعوديه تدريجيًا على سريره الطفولي حتى يطلب هو ذلك بنفسه عندما يكون مستعدا.

■ السماح بوقت أطول من اللازم أمام شاشة التلفزيون، فهؤلاء الاطفال قد يجدون مصاعب تعليمية عندما يلتحقون بالمدرسة وعموما فإن الأطفال حتى سنتين لا يستقبلون ما يرونه في التلفزيون أو الكمبيوتر بشكل واع لذا يجب شغل انتباه الطفل بالحديث والاستماع أو بمشاهدة الصور في الكتب المصورة وبالالعاب التعليمية.

■ محاولة إيقاف نوبة الغضب: فبعض الآباء والأمهات يشعرون بالقلق اذا دخل الطفل في نوبة غضب أمام الآخرين، ويريدون أن يتوقف عن ذلك فورا حيث يشعران بأنهما والدان فاشلان، لذلك يحاولان ايقاف نوبة غضب الطفل بأي وسيلة، والافضل في هذه الحالة ابعاد الطفل عن الناس المحيطين به وإعطاؤه الفرصة لينفث عن غضبه، ويجب الا يكون اهتمام الوالدين برأي الناس فيهما بقدر اهتمامهما بمنح الوقت الكافي للطفل لكي يفرغ كل ما يزعجه ويضايقه والتحدث معه بهدوء.

وأخيرا بعد تلافي كل هذه الاخطاء الشائعة مع الطفل يصبح سليما معافى بدنيا ونفسيا وعقليا.

الأطفال بُشرى، ابتداءً، لقوله تعالى ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾ (مريم: ٧). والبشرى بمقدم الغلام الذي وهبه الله لنبيه، تضمنت أيضا اختيار اسم مميز له، لم يحظ أحد قبله بمثل هذا الاسم، قال قتادة وابن جريج وابن زيد: لم يُسمّ أحدٌ قبله بهذا الاسم، واختاره ابن جرير (١).

نظرات في تسمية الأطفال

محمد عيسى صوانة

روى الطوسي أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما حقُ ابني هذا؟ قال: تُحسن اسمه وأدبه وضعه موضعًا حسنًا. وروي البيهقي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «حق الولد على والده أن يُحسن اسمه ويُحسن من مرضعه ويُحسن أدبه». وفي هذا إشارة إلى أهمية اختيار الاسم الحسن للطفل وهو حقٌ له يُسأل عنه والده إذا قصرّ فيه.

فينبغي على الوالدين أن يختارا للطفل اسمًا جميلا مناسبًا، مقبولا في مجتمعه وبيئته وعصره، وأن يكون الاسم غير منفر، لكي لا يترك في نفس الطفل أي أثر سيئ يعاني منه طول حياته.

إنّ حُسن تسمية الطفل إنما هي تعبير عن الذوق الجمالي الذي يصاحب الطفولة ويلازم الإنسان خلال حياته، ويزيد من تنمية ثقة الطفل بالنفس وشعوره بالرضا، وينطلق بقوة في حياته دون تردد أو تلكؤ!

الاسم وتكوين شخصية الطفل

يلتصق اسم الطفل به طول عمره، ويؤثر في نفسيته، فهو أحد عناصر تشكّل الشخصية لديه. إذ إن اسم الإنسان هو أحلى نغم يطرق مسامعه، انظروا إلى الفرق بين أن تنادي شخصًا قائلًا له: «يا هذا» أو «أنت»! وبين أن تخاطبه باسمه. بالتأكيد فإن وقع اسمه

خبير استشارات تربوية

سيكون أكثر ملاءمة وقابلية للاستجابة، فما بالك بالفرق بين وقع الاسم الحسن والاسم غير الحسن على صاحبه.

كيف ينظر طفل إلى الحياة والمجتمع والناس إذا كان يحس أن والديه نحلاه اسمًا يتضايق منه بين أقرانه، ويتمنى لو كان له اسمًا غيره؟ إن مسألة تسمية الأطفال ينبغي أن يُنظر إليها على أنها حق لهم تجاه آبائهم، فتكون موضع اهتمام جدي لديهم، ويضعون أنفسهم مكان أبنائهم عندما يبدأون بالتعرف على أسمائهم ويتعامل المجتمع معهم من خلالها.

وهذا يتطلب اختيار أسماء أكثر ملائمة للزمن الذي سيعيش فيه هؤلاء الأبناء، وهو سيختلف في ثقافته عن زمن آبائهم، والرسول ﷺ يؤكد ضرورة اختيار الاسم الحسن: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» (رواه أبو داود).

أحب الأسماء

قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى: عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمّام، وأقبحها حرب ومرة» (رواه البخاري في الأدب المفرد).

ويقول الزبير رضي الله عنه: «إن طلحة بن عبدالله التميمي يسمي بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أن لا نبي بعد محمد ﷺ وأنا أسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم أن يستشهدوا»!

ونشير هنا إلى ضرورة تجنب التسمية باسم «عبد» إلا إذا ارتبط باسم من أسماء الله الحسنى، إذ لا يجوز تسمية: عبدالرسول أو عبدالنبي أو غيره. وبعض من سماهم آباؤهم بمثل هذه الأسماء ينبغي أن ينادوا بعبد رب الرسول وعبد رب

اسم الطفل يلتصق به طوال عمره ويؤثر في نفسيته ويكون أحد عناصر تشكيل شخصيته

النبي.. فلا عبودية إلا لله عز وجل.

مراعاة ثقافة المجتمع

ينبغي على الآباء أن يراعوا ثقافة المجتمع الإسلامي الذي تزخر أدبياته بالأسماء الحسنة، دون اللجوء إلى أسماء غريبة عن مجتمعنا وعن ثقافتنا فالطفل ليس ملكًا لوالديه، بل هو ملك للأمة ويشكل لبنة في بنائها، فينبغي تقديم مصلحة الطفل والأمة على أي نزوة آنية للأب في اسم ربما لم يفكر في تأثيراته على ولده لحظة واحدة. فهل ترى معي أخي القارئ أي داع لأسماء مثل: عذاب، صعب.. إلى غير ذلك من الأسماء غير المقبولة، ألم تكن أسماء: رحمة، سهل أفضل منها؟ تأملوا الفرق، ولكم أن تتوقعوا الفرق بين وقعها على الأطفال وعلى الآخرين.

التفاهم بين الأبوين

ومن نافلة القول أن أؤكد أهمية التفاهم بين الزوجين على اسم المولود

قدر الإمكان، فالشورى لا تفسد المودة ولا تنقص من قوامة الرجل، وتسهم في الوصول إلى اسم مناسب ومقبول في الأسرة للطفل الجديد.

البعد عن ازدواجية الاسم للطفل

بعض الأسر تطلق على الطفل أكثر من اسم، فيصبح له اسم في سجل الولادة الذي يعرف به في مدرسته وجميع أموره في المستقبل، بينما سيعرف الناس باسم آخر نتيجة الاسم المزدوج الذي أطلقته عليه أسرته، نتيجة خلاف بين الزوجين، أو رغبة في التدليل الذي لا طائل تحته!

أسماء لها تأثير غير إيجابي

ومن العجب أن الكاتب والمفكر العربي إدوارد سعيد قال في تعليق له على اسمه «احتجت إلى خمسين عاما لكي أعتاد على إدوارد»! لاحظوا قال لكي أعتاد.. ومتى؟ بعد خمسين عاما!

زرت يوما أحد الأصدقاء، وجاءت شقيقته وهي طفلة فسألتها ما اسمك؟ فلم تجب، وأسرعت إلى شقيقها ووضعت يدها على فمه لكي لا يخبرني باسمها! فأثار ذلك فضولي، وعلمت بعد ذلك أن اسمها «نور شاه» وأنها تعاني من هذا الاسم المركب غير الملائم للبيئة التي تعيش فيها هذه الطفلة، في مجتمع لم يتقبل هذا الاسم، وقلت لصديقي كيف ينظر والدك نحو ابنته التي لا تحب هذا الاسم، وبالتأكيد كانت ستقبله لو كان «نور» فقط.

وهذا يعكس مدى تأثير الاسم على الطفل.. ولي صديق آخر أخبرني أن ابنه لم يستوعب اسمه حتى أصبح في الجامعة أي أنه أمضى ثمانية عشر عاما من حياته غير مقتنع باسمه!

دور المدرسة

روى لي آخر قصة أحد الأطفال

وهو طالب في الصف الأول الأساسي مكث يهرب من المدرسة أكثر من شهر دون أن تعرف أسرته، لتكتشف بعد ذلك أنه كان يخرج من الصف ويقضي معظم وقته خارج سور المدرسة حتى يخرج التلاميذ، وما ذاك إلا لأن زملاءه يتندرون باسمه ويضحكون كلما نودي به، لكونه في نظرهم اسمًا غير ملائم مقارنة بأسمائهم.

وهذه القصة وغيرها بقدر ما تلقي بظلالها على مسؤولية الوالدين في اختيار اسم الطفل، فإنها تكشف لنا أهمية دور المدرسة، ودور المعلم في الفصل، وكذلك دور المعلمة في روضة الأطفال، إذ ينبغي ألا يقوم أي منهم بتفضيل اسم على آخر لأي طفل، بل يجب إشعار جميع الطلاب بأن أسماءهم جميلة، فيدعون بها وتكتب أسماء هؤلاء الأطفال على بطاقات جميلة ملونة وتعلق على لوحة في غرفة الصف، ليعتز كل طفل باسمه، ويشعر بقبول المجتمع لهذا الاسم الذي سيحمله طول حياته. ولابد أن يلاحظ المعلم أو المعلمة أي سلوك غير مقبول من قبل الأطفال الآخرين تجاه أي زميل لهم بسبب اسمه، لمعالجته بالأسلوب التربوي المناسب، لكي لا يترك ذلك أي أثر سلبي على أي طفل.

دعوة للآباء

ما أجمل أن يتخيّر الآباء والأمهات لأبنائهم أسماء حسنة، يعتز بها الأبناء ذكوراً وإناثًا ويشعرون تجاهها بالرضا ولا يتحرجون منها أو يتضجرون بسببها، ولا تسبب له الأذى من أقرانهم في المدرسة في سنوات عمرهم الأولى والأهم نظرا لدورها في تشكيل شخصيتهم.

إنها دعوة موجهة لكل الآباء والأمهات أن يتقوا الله في أبنائهم ويحسنوا أسماءهم، وأدبياتنا الإسلامية والعربية تضم تنوعًا كبيرا وتعددا ضخما من الأسماء الحسنة مما يتيح مجالاً لعملية الاختيار والمفاضلة.

كما أن الأسماء الحسنة التي نختارها لأبنائنا تشكل قدوة حسنة للآخرين نحتسب أجرنا فيها عند الله.

إن اهتماماتنا بالأمور والقضايا المتعلقة بالطفولة لا تنتهي، ولعل ذلك يعود للتأثير الشديد لها على تكوين شخصية الأطفال وإعدادهم للحياة.

وهذا يدعونا باستمرار إلى مراعاة كل ما يؤثر على عقلية الطفل وعواطفه ومشاعره وأحاسيسه.

وبقدر ما ننجح في توفير تأثيرات إيجابية محفزة تلبي حاجاتهم وتنمي فيهم القيّم الجميلة الحسنة على إطلاقها، فإننا نقدم للمجتمع لبنات صالحة تجتمع إلى بعضها بعضا لتكون بناء شامخا عصيا على التصدع.

ما دور أنظمة تسجيل المواليد؟

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أن بعض الدول ماتزال تضع معوقات أمام الآباء الذين يرغبون بتغيير أسماء أبنائهم لسبب أو لآخر.

ولعلي أنتهز هذه الفرصة لأدعو إلى إتاحة المجال أمام أهالي الأطفال لإعادة النظر في تسمية أبنائهم إذا رغبوا في ذلك- على الأقل خلال السنوات الأولى من العمر ويمكن أن يكون ذلك قبل دخول المدرسة- فالرجوع عن الخطأ وتداركه أفضل من الاستمرار فيه.

وفي السنة أنه كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنة اسمها عاصية فسماها الرسول ﷺ جميلة (٥).

وإنني أشعر بالأسى العميق الذي ينتابني كلما تذكرت ذلك الشخص الذي التقيته في إحدى الدول العربية المجاورة لفلسطين المحتلة وقد ارتكب جريمة نكراء بحق ولديه فقد أطلق عليهما اسمين لقادة يهود «رابين، ونتنياهو!» ولعلي أشد عجبا من نظام دائرة تسجيل المواليد في تلك البلد التي تسمح بمثل هذا الانسلاخ من دائرة الانتماء للمجتمع الإسلامي، ولا تملك حق رفض تسجيل مثل هذه الأسماء لأطفال سيطالبون حتما بحقهم من والدهم أمام الله سبحانه وتعالى، بعد أن ضيّعه والدٌ متهور.

وهناك بعض الدول العربية والإسلامية التي تتيح أنظمتها لأهالي الأطفال تغيير اسم الطفل إذا رأى الأب حاجة لذلك لتلافي أي نتائج غير مرغوبة يمكن أن تترتب على الاسم القديم الذي سجل به المولود.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير ص٨٢٩.
٢- رواه النووي في تهذيب الأسماء.

رسالة تربوية للأب

ليلى محمد محمد

بداية، لابد من الانتباه إلى أهمية المعرفة التربوية في نجاح الأسرة في مهامها التربوية الجليلة، سيما أن التغيرات العالمية السريعة تحتم علينا اليقظة الكاملة؛ حتى لا يضيع أبناؤنا من بين أيدينا دون أن نعي على نحو جيد الدور التربوي الذي يجب أن ننهض له.

إلا أن ثمة ملاحظة، وتتلخص في إمكانية الطفل والفتى والشاب أن يتجول في أنحاء العالم، من خلال كبسة زر، والنتيجة أننا سنكون أمام حالتين:

- اختلاط النماذج في ذهنه، والاستخفاف بالأعراف السائدة في بيئته المحلية.
- حدوث اضطراب في التعامل مع الواقع، ما لم نوله الكثير من العناية والمتابعة.

وتفيد إحدى الدراسات أن الإنسان يقضي من ثلاثين إلى أربعين سنة من عمره وهو يحاول التغلب على ما حُمِّلَ من مشكلات وانطباعات خاطئة ومفاهيم سيئة في السنوات الخمس الأولى من عمره، وقد يتمكن من التغلب على ذلك وقد لا يتمكن.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سُدى، فقد أساء غاية الإساءة».

ومن هنا فإنني كأم لستة أطفال أقول: إن أكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم ترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آبائهم كبارًا.

ومن هنا نطرح السؤال التالي:

أليس من وسائل وقاية النفس والأهل من النار متابعة المسلم نفسه وأهله؟ فيأمرهم بالخير ويحجزهم عن الشر، ويؤاخذهم بما يؤاخذ به نفسه حيث قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ (التحريم: ٦)، لأن الإنسان يسأل عما استرعاه الله إياه، على نحو ما ورد من قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»(رواه البخاري).

وعلينا أن نهدف من هذه التربية إلى تهيئة الطفل والناشئ من خلال العمل المستمر للقيام بأمر الله تعالى والفوز برضوانه، ولكي يحيا حياة طيبة بغية أن يكون قادرًا على كسب رزقه وإدارة شؤونه الخاصة على النحو المطلوب، وقادرًا على بناء علاقات اجتماعية جيدة، مع ملاحظة أن النجاح هدف التربية، ولكنه وسيلة للصلاح؛ لأن المطلوب هو الفوز برضوان الله تعالى والجنة، لذا يتوجب في هذا الصدد دعم الوازع الداخلي لدى الفرد والذي يتجسد في الصلة بالله تعالى والحياء منه، والشعور بأن في رضوان الله وثوابه ما يعوض كل مفقود.

ومن هنا ثمة ملاحظات ووصايا التربوية من أجل مساعدة الأب (المربي) على القيام بمهمته الجليلة

١- إن إيماننا بتقدم الوعي يجعلنا نطلب من أنفسنا تربية أفضل من التربية التي قدمها لنا الجيل السابق.

٢- علينا أن ندرك أننا سنخسر كثيرًا إذا اتخذنا من التربية وسيلة لتوريث أبنائنا كل ما ورثنا، دون أي تمحيص أو تدقيق أو انتقاء.

٣- الأولاد نعمة أنعم الله بها علينا يجب أن نتقبلها على ما هي عليه مهما كان شأنها.

٤- ثمة نداء: «ننسى عيوب أطفالنا، ونركز على نقاط القوة»، بغية أن يعوضهم الله بخيراتها وثمراتها عن كل ما قد يكونون قد فقدوه في ذواتهم وشخصياتهم.

٥- تخصيص وقت ليتفرغ الجميع (الأسرة) للحديث في شؤونهم المختلفة، وليتذكروا فيما عليهم عمله في المستقبل.

٦- التربية بحاجة إلى انتظار، لذا علينا عدم الاستعجال في النتائج، وألا يصيبنا الهلع.

٧- علينا أن ندرك أن التربية ستظل تنطوي على المعاناة، ويعزى السبب إلى أن وجود عنصر المرونة لدى الطفل ليس مكتملاً.

٨- علينا إدراك حقيقة مفادها أن «الاعتراف بأخطائنا أمام أبنائنا» لن يسقطنا من أعين أطفالنا، وإنما سيزدادون حبًّا لنا وتقديرًا.

٩- إدراك أن التربية التسلطية المستبدة تجعل الطفل ينطوي على نفسه، ويشعر بالنقص، كما تدفعه إلى العدوان والتخريب.

١٠- نعرف أبناءنا إلى الله ونحببهم إليه، وننقي لغة الطفل من الألفاظ التي تجرح صفاء الإيمان، ولاسيما الألفاظ البذيئة.

١١- السعادة الحقيقية تنبع من الداخل لا من ترفيه الجسد، ونعلم أطفالنا المثابرة على بذل الجهد، والعمل على غرس المحبة في نفوس أطفالنا، لدرجة أن نعوض الأيتام الحنان والرعاية، ونقل من إصدار الأوامر والنواهي ما استطعنا، والا نغضب إذا غضب أحد أولادنا، والمحاولة لفهم أسباب غضبه، وعدم زرع العناد في نفوسهم.

وختامًا: إن أسوأ ما يمكن أن يقع فيه الآباء، هو إضاعة أعمارهم وبذل جهودهم في غير المجال الذي ينبغي أن يكون فيه، فتكون بذلك كالطائر الذي يبيض في غير عشه.

باحثة أسرية

ذكر العقبة الأولى والثانية وعُمُره ﷺ

لضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى

(٥٦٩- ٦٤٣هـ)

الحديث عن سيرة المصطفى ﷺ بحرٌ لا ساحل له، تفنن المؤرخون وأصحاب السير وأهل الحديث والأدب، وسواهم من المصنفين في تدوينها وتتبع جوانبها الشريفة المكرمة، فتنوعت أساليبهم، وتعددت وسائلهم وطرقهم، بداية من دواوين السنة المشرفة، والتي أفردت أبوابًا خاصة في أحواله ﷺ، مرورًا بكتب المغازي والتواريخ والسير.

ثم من بعد ذلك تخصصت هذه المصنفات، لتأخذ جانبًا من أحواله ﷺ لتهتم به، فمنها من اهتم في وصف شمائله وصفاته الخَلقية والخُلقية، مثل كتاب «الشمائل النبوية» للترمذي رحمه الله تعالى، وكتاب «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» للسيوطي رحمه الله تعالى.

وانتقل الحال إلى وصف أحوال أهل بيته الطاهرين، مثل كتاب «أزواج النبي ﷺ» للصالحي رحمه الله تعالى، وكتاب «الفخر المتوالي فيمن نسب للنبي ﷺ من الخدم والموالي» لابن المبرد رحمه الله تعالى، ومن بعدهم ذكر أصحابه- رضي الله عنهم أجمعين، مثل كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى، وكتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبدالبر القرطبي رحمه الله تعالى.

ومن المصنفين من اهتم بوصف ما كان للنبي ﷺ من حاجياته الشخصية، مثل كتاب «إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والحفدة والمتاع» للمقريزي رحمه الله تعالى، وكتاب «فتح المتعال في وصف النعال» للتلمساني رحمه الله تعالى، وكتاب «تركة النبي ﷺ» لأحمد بن إسحق رحمه الله تعالى.

ومن المواد التي صنف فيها المؤرخون ما في هذا الجزء اللطيف الذي بين أيدينا، ومادته المتخصصة في بيعة العقبة الأولى والثانية، وما يليه من ذكر عُمَر النبي ﷺ.

وأما عن مصنف هذا الجزء فهو الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى (٥٦٩ - ٦٤٣هـ)، الذي يصفه الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه الماتع «سير أعلام النبلاء» فيقول:

محمد بن عبدالواحد بن أحمد بن عبدالرحمن، الشيخ الإمام، الحافظ القدوة، المحقق المجود الحجة، بقية السلف، ضياء الدين أبوعبدالله السعدي المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة، بقي في رحلته المشرقية مدة سنين.

كان يجتهد في فعل الخير، ونشر السنة، وفيه تعبد وانجماع عن الناس، وكان كثير البر والمواساة، دائم التهجد، أمّـارًا بالمعروف، بهي المنظر، مليح الشيبة، محببًا إلى الموافق والمخالف، مشتغلًا بنفسه رضي الله عنه (١).

وأصل هذه النسخة محفوظ بالخزانة الظاهرية- دمشق- ضمن مجاميع العمرية- تحت رقم: مجموع (٨٥) في الأوراق (٢٦٥-٢٧٢)، كُتبت بخط نسخي معتاد، والنسخة بخط مصنفها الضياء المقدسي رحمه الله تعالى.

ذكر العقبة الأولى والثانية وعُمَرِهِ ﷺ

لضياء الدين المقدسي رحمه الله

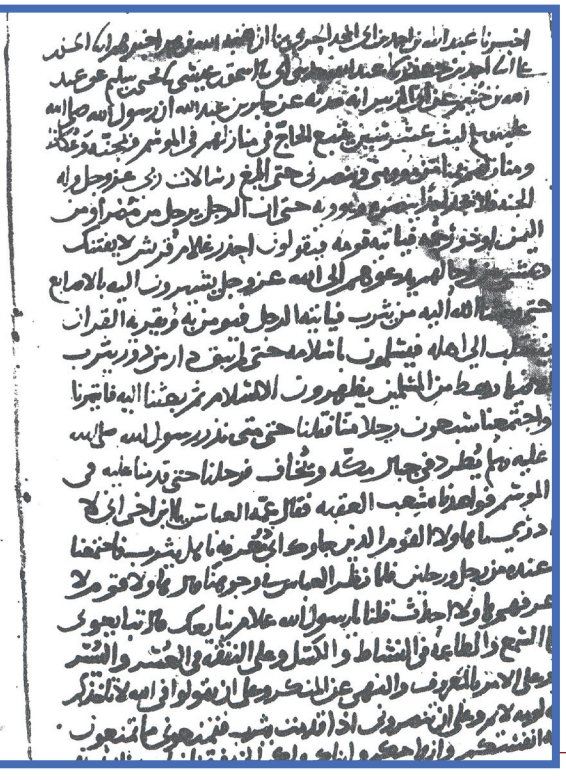

تحقيق الباحث عبدالله محمد الكندري

تعالى

ذكر العقبة الأولى

(١) أخبرنا أبوطاهر المبارك بن المبارك الحريمي، بقراءتي عليه ببغداد، قلت له: أخبركم هبة الله بن محمد، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبدالله اليزني، عن أبي عبدالله عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحي، عن عبادة بن الصامت قال:

«كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقَبَةَ الأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلا، فَبَايَعْنَا رَسُولَ اللَّه ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ.

عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللَّه شَيْئًا، وَلا نَسْرِقَ، وَلا نَزْنِيَ، وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا، وَلا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشِيتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّه، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ» (٢).

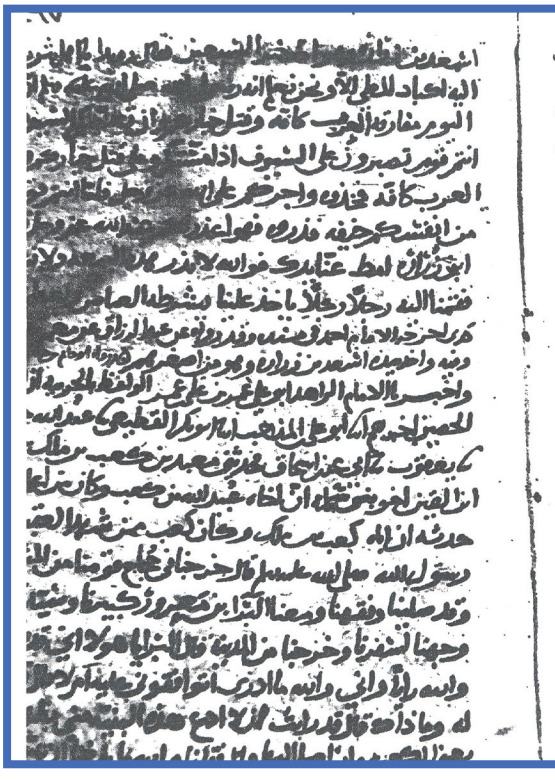

ذكر العقبة الثانية

(٢) أخبرنا الإمام أبوالفتوح أسعد بن محمود بن خلف العجلي قراءة عليه، ونحن نسمع بأصبهان، أن فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية أخبرتهم، أخبرنا محمد بن عبدالله بن ريده، أخبرنا أبوالقاسم سليمان أحمد الطبراني، حدثنا موسى بن هارون بن عبدالله الحمال، حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى، حدثنا معاوية بن عمار الدهني، عن أبيه، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال:

«حَمَلَنِي خَالِي جَدُّ بْنُ قَيْسٍ، فِي السَّبْعِينَ رَاكِبًا الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ قِبَلِ الأَنْصَارِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عبدالْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا عَمِّ خُذْ عَلَى أَخْوَالِكَ، فَقَالَ لَهُ السَّبْعُونَ: يَا مُحَمَّدُ سَلْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ.

فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي، فتَعْبُدُونَهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي أَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي، فَتَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ.

قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ» (٣).

(٣) أخبرنا أبوالطاهر المبارك بن أبي المعالي الحريمي ببغداد، أن هبة الله بن محمد أخبرهم، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدثني أبي، عن عامر قال:

«انطلق النبي ﷺ، ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: «ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عين، وإن يعلموا بكم يفضحوكم».

فقال قائلهم وهو أبوأمامة: سل يا محمد لربك ما شئت، ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل وعليكم إذا فعلنا ذلك.

قال: «أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤونا وتنصرونا، وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم».

قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال: «لكم الجنة».

قالوا: فلك ذلك» (٤).

وبه حدثنا يحيى بن زكريا، حدثنا مجالد، عن عامر، عن أبي مسعود الأنصاري نحو هذا، قال: وكان أبومسعود أصغرهم سنًا.

(٤) أخبرنا عبدالله بن أحمد بن أبي المجد الحربي بها، أن هبة الله بن محمد أخبرهم، أخبرنا الحسن بن علي، أخبرنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا إسحق بن عيسى، حدثنا يحيى بن سليم، عن عبدالله بن خُثيم، عن أبي الزبير، أنه حدثه عن جابر بن عبدالله:

«أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم، في الموسم وبمجنة وعكاظ، ومنازلهم بمنى: «من يؤويني وينصرني، حتى أبلغ رسالات ربي عز وجل، وله الجنة» فلا يجد أحدًا ينصره ويؤويه.

حتى إن الرجل يرحل من مضر أو من اليمن أو زور صمد، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل، يشيرون إليه بالأصابع.

حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

ثم بعثنا إليه فأتمرنا واجتمعنا سبعون رجلًا منا فقلنا: حتى متى نذر

رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة ويُخاف، فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة.

فقال عمه العباس: يا ابن أخي إني لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك، إني ذو معرفة بأهل يثرب، فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء قوم لا أعرفهم، هؤلاء أحداث، قلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟

قال: «تبايعوني على السمع والطاعة، في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العُسر واليُسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرب، فتمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، إن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله عز وجل.

وإمّا أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله عز وجل، قالوا: يا أسعد بن زرارة أمط عنّا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلًا رجلًا يأخذ علينا بشرطة العباس، ويعطينا على ذلك الجنة» (٥).

كذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقد رواه عن عبدالرزاق عن معمر .... (٦) وفيه «وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو من أصغرهم» رواه أبوحاتم بن حبان (٧).

(٥) وأخبرنا الإمام الزاهد أبوعلي عمر بن علي بن عمر الواعظ بالحربية، أن الحصين أخبرهم، أخبرنا أبوعلي بن المذهب، أخبرنا أبوبكر القطيعي، حدثنا عبدالله، حدثني أبي، حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن إسحق، فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة:

إن أخاه عُبيدالله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعب بن مالك، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ قال:

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء: يا هؤلاء إني رأيت والله رأيًا، وإني والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا، قلنا له: وما ذاك؟

قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر، يعني الكعبة، وأن أُصلي إليها، فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يُصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إني أُصلي إليها، قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل، قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة.

قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله قد وقع في نفسي منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ، وكنا لا نعرفه، لم نره قبل ذلك، فلقينا رجل من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه؟ قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا.

قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ معه جالس، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ«الشاعر»؟ قال: نعم.

قال فقال البراء بن معرور: يا نبي الله، إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر، فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: «لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها»، قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ فصلى معنا إلى الشام، قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن

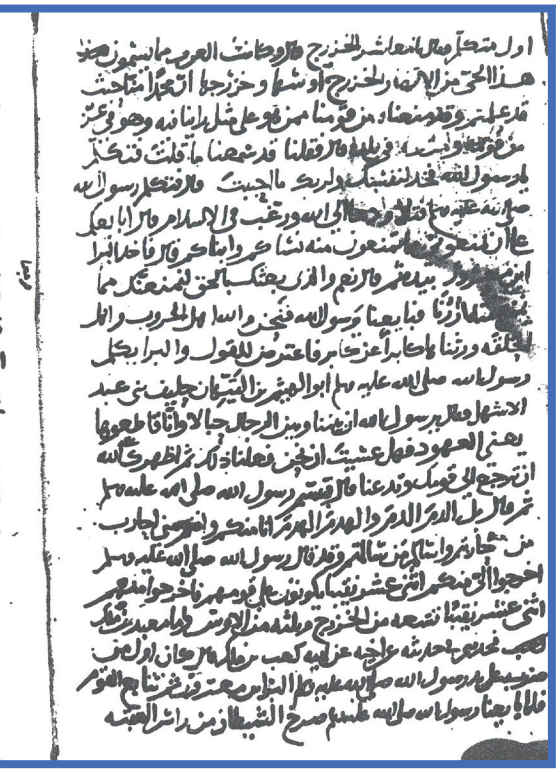

أعلم به منهم.

قال: وخرجنا إلى الحج، فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة، من أوسط أيام التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله ﷺ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبوجابر، سيدٌ من ساداتنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيدٌ من ساداتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوته إلى الإسلام، وأخبرته بميعاد رسول الله ﷺ، فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبًا.

قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل مستخفين تسلل القطا، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلًا، معهم امرأتان من نسائهم، نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ، حتى جاءنا ومعه يومئذٍ عمه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق.

فلما جلسنا كان العباس بن عبدالمطلب أول متكلم فقال: يا معاشر الخزرج، قال: وكانت العرب مما يُسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، أوسها وخزرجها، إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عزٍ من قومه، ومنعة في بلده.

قال فقلنا: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، قال: فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابرًا عن كابر.

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبوالهيثم بن التَّيِّهان حليف بني عبدالأشهل فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنّا قاطعوها، يعني العهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبًا، يكونون على قومهم»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس».

وأما معبد بن مالك فحدثني في حديثه عن أخيه، عن أبيه كعب بن مالك قال:

كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قط: يا أهل الجباحب، والجباحب المنازل، هل لكم في مُذَمّم والصُباة معه، قد اجتمعوا على حربكم.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «هذا أَزَبُ العقبة، هذا ابن أزيب، اسمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك».

ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفعوا إلي رحالكم»، وفي رواية «ارفضوا».

قال: فقال له العباس بن نضلة: والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا.

قال فقال رسول الله ﷺ: «لم أومر بذلك».

قال: فرحنا فنمنا حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا، تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، والله إنه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فابتعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه، وقد صدقوا لم يعلموا ما كان منا.

قال: فبعضنا ينظر إلى بعض.

قال: وقال القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان جديدان، قال: فقلت كلمة كأني أُريد أشرك القوم بها فيما قالوا: أما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيد من ساداتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا

الفتى من قريش؟ فسمعها الحارث فخلعهما ثم رمى بهما إليّ، فقال: والله لتتعلنهما.

قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى، فاردد عليه نعليه، قال فقلت: والله لا أردهما، فأل والله، يعني فأل صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه.

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر فيها.

كذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وروى أبوحاتم بن حبان بعضه عن محمد بن أحمد بن أبي عون، عن عمار بن الحسن الهمداني، عن سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحق، عن معبد بن كعب، عن أخيه عبدالله، عن أبيه كعب» (٨).

ذكر عُمَره ﷺ

(٦) أخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي، أن الحسين بن عبدالملك الجلال أخبره، أخبرنا إملاءً أخبرنا ابن منصور، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن المقري، أخبرنا أبويعلى الموصلي، حدثنا هدبة، حدثنا همام، حدثنا قتادة، أن أنسًا أخبره:

«أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمر، كلهن في ذي القعدة، إلا التي مع حجته، عمرته من الحديبية، أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرته من العام المقبل ذي القعدة، وعمرته في الجعرانة، حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرته مع حجته» (٩).

أخرجه البخاري، ومسلم، وأبوداود، جميعًا عن هدبة، وهو ابن خالد القيسي نحوه.

(٧) أخبرنا عمر بن محمد بن عمر المؤدب، أن أحمد بن الحسن البنا أخبره، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري،

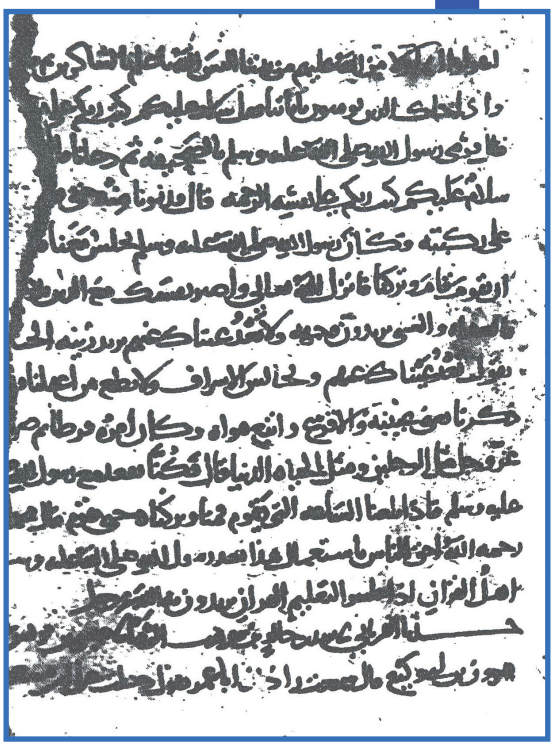

أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إسحق بن الحسن الحربي، وبشر بن موسى قالا: حدثنا هوذة بن خليفة، حدثنا داود بن عبدالرحمن، حدثنا عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

«اعتمر النبي ﷺ أربع عُمر، عمرة الحصر، وعمرة الثانية حين تواطأوا على عمرة قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته» (١٠).

أخرجه أبوداود في الحج عن النفيلي، وقتيبة، ورواه الترمذي عن قتيبة، وأخرجه ابن ماجه عن إبراهيم بن محمد الشافعي، ثلاثتهم عن داود بن عبدالرحمن نحوه، وقال الترمذي: حديثٌ غريب.

(٨) وأخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي بأصبهان، أن سعد بن أبي الرجاء الصيرفي، وعبدالمنعم بن أحمد بن يعقوب بن أحمد الثقفي أخبراهم قراءة عليهما، أخبرنا أبوطاهر أحمد بن محمود بن أحمد الثقفي، أخبرنا أبوبكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن المقري، حدثنا محمد بن سلمة بن قرباء البغدادي نزيل عسقلان، وابن أبي غيلان، وأبوخُبيب البرتي عباس بن أحمد القاضي ببغداد قالوا: حدثنا عبدالأعلى بن حماد النرسي، حدثنا داود بن عبدالرحمن، عن عمرو بن دينار قال: سمعت عكرمة يُحدث عن ابن عباس:

«أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر، عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التي مع حجته» (١١).

الهوامش

١. سير أعلام النبلاء للذهبي رحمه الله تعالى: ٢٣/ ١٢٦ (٩٧).
٢. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (٢٢٧٥٤، ٢٢٨٠٦).
٣. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٤٦٩٤)، المعجم الصغير للطبراني رحمه الله تعالى: ٢/ ٢٢٩ (١٠٧٦)، المستدرك للحاكم رحمه الله تعالى: رقم (٥٤٠٥).
٤. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٧١١٩)، الطبقات الكبرى لابن سعد رحمه الله تعالى: ٤/ ٩.
٥. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٤٦٩٤).
٦. كلمة في زاوية النسخة تعرضت للطمس.
٧. صحيح ابن حبان رحمه الله تعالى: رقم (٦٢٧٤).
٨. مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: رقم (١٥٨٣٦).
٩. رواه البخاري رحمه الله تعالى: رقم (٤١٤٨، ٣٩١٧)، ومسلم رحمه الله تعالى: رقم (٣٠٩٢، ١٢٥٣)، وأبوداود رحمه الله تعالى في السنن: رقم (١٩٩٤، ١٩٩٦)، وأبويعلى رحمه الله تعالى: رقم (٢٨٧٢)، وابن حبان رحمه الله تعالى في صحيحه: رقم: (٣٧٦٤).
١٠. رواه أبوداود رحمه الله تعالى في سننه: رقم (١٩٥٥، ١٩٩٣)، والترمذي رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٨١٦)، وابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٣٠٠٣).
١١. رواه الترمذي رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٨١٦)، وابن ماجه رحمه الله تعالى في سننه: رقم (٣٠٠٣)، والدارمي رحمه الله تعالى في سننه رقم: (١٨٥٨)

مفتي اليمن الشيخ محمد الجرافي في ذمة الله

التحرير

فقدت الأمة الإسلامية مفتي الجمهورية اليمنية الشيخ محمد الجرافي عن عمر ٩٣ عامًا

ولد في مدينة صنعاء، حارة المدرسة الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية من صنعاء في شهر جمادى الأولى ١٣٣٩هـ، الموافق ١٩٢١م.

شيوخه

القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، والقاضي يحيى بن محمد الكبسي، ووالده العلامة أحمد بن أحمد الجرافي، والسيد أحمد بن علي الكحلاني، والسيد أحمد بن عبدالله الكبسي، والعلامة إسماعيل بن علي الريمي، والعلامة علي حسن سنهوب، والعلامة علي بن حسن المغربي، والقاضي لطف بن محمد الزبيري.

الأعمال التي تولاها

عالم محقق في علوم العربية والفقه، أصوله وفروعه، له معرفة بالحديث والتفسير، كتب بخطه الجميل كتبًا كثيرة وتولى أعمالاً مختلفة فكان كاتبًا في المحكمة الأولى بصنعاء من سنة ١٣٦٤هـ إلى سنة ١٣٦٧هـ.

عين عضوًا بمكتب رئاسة الجمهورية، ثم عضوًا بمحكمة الاستئناف العليا، ثم وكيلًا لوزارة العدل، وعضوًا في مجلس القضاء الأعلى، ونائبًا لرئيس محكمة الاستئناف العليا.

وقد أبان في جميع الأعمال التي تولاها، إدارية وقضائية، مهارة فائقة لما يتمتع به من ذكاء وفهم وإدراك، وسرعة الغوص لاستخراج المعاني الدقيقة التي لا يتنبه لها إلا من أوتي ذكاء وفطنة، وقد استفاد منه كثيرون حينما كانت تعوزهم الحاجة لقراءة نص غامض المعنى أو تقويم بيت من الشعر، كما نبه المترجمون إلى بعض أعمال من ترجموا لهم من العلماء المعاصرين، وكان له نشاط قوي في مقاومة التمييز العنصري الذي كان سائدًا في عهد ما قبل الثورة، والذي كان أحد أسباب قيام الثورة للإطاحة بالنظام الملكي الذي كان يرتكز عليه حرصًا على بقاء الحكم في أيدي طبقة متميزة في اليمن.

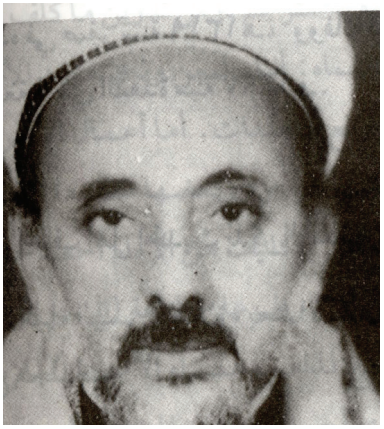

تولى رئاسة دار الإفتاء الشرعية في الجمهورية اليمنية وعين وكيلًا بوزارة العدل، كما عمل عضوًا في المحكمة الأولى بصنعاء عام ١٣٦٤ هـ، واستمر على ذلك حتى ١٣٧١هـ.

مميزاته

كان من أذكياء الرجال، حريصًا على اقتناص العلم والفوائد، بذل جهودًا في طلب العلم، وعرف إتقانه في علوم الآلة، شرح كتب العلامة الحسن بن جلال، حتى سماه بعضهم بالحسن الجلال الصغير، كان كريمًا عطوفًا على طلبة العلم، قام بنسخ كثير من الكتب بخطه الجميل.

وفاته

توفي الشيخ يوم السبت ١٥ اكتوبر ٢٠١١ في اليمن.

وصف بـ«ماركو بولو» العرب..

الرحالة المسلم ابن بطوطة.. ٢٩ عامًا وراء المعرفة (٢-٣)

القاهرة - دار الإعلام العربية

عادات وتقاليد، قصص وحكايات، غرائب ومعالم، بلدان وشعوب، جبال ووديان وبواد، أفراح وأتراح، علوم ومعارف.. هذه باختصار كانت محصلة نحو ٢٩ عامًا قضاها الرحّالة المسلم «ابن بطوطة» متجولًا من بلد إلى بلد، قاصدًا الحصول على المعرفة ونقلها إلى الآخرين للاستفادة منها، ومعرفة تاريخ البلدان وجغرافيتها وهي التي أفادت الجغرافيين حتى اليوم.. «الوعي الإسلامي» تتجول معه عبر هذه السطور..

اشتهر الرحالة الإيطالي «ماركو بولو» المولود في ١٥ سبتمبر ١٢٥٤م والمتوفى في ٨ يناير ١٣٢٤م بأنه أشهر رحالة الغرب في العصور الوسطى قاطبة، وعد شيخ رحالة الغرب بلا منافس، في المقابل اعتبر كثير من الباحثين والمؤرخين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بـ«ابن بطوطة» المولود في طنجة بالمغرب سنة ٧٠٣هـ- ١٣٠٤م الند العربي للرحالة الإيطالي عن جدارة، لاسيما أن «ابن بطوطة» تفوق عليه في أسفاره العديدة التي لم تترك بلدًا تعلوه راية الإسلام إلا زاره، وكتب عنه، وأحصى كل عاداته ومعارفه وأحداثه آنذاك.

خرج بلا أنيس

ولد ابن بطوطة لعائلة عرف عنها عملها في القضاء، لذلك درس في صباه الشريعة، وقرر عام ١٣٢٥ وهو ابن ٢٠ عامًا، أن يخرج لأداء فريضة الحج، وليتعلم المزيد من علوم الشريعة في أنحاء بلاد الإسلام.. بدأ رحلته الأولى من مدينة طنجة قاصدًا مكة المكرمة للحج وزيارة المدينة المنورة، وعمره لم يتجاوز إحدى وعشرين سنة، كان الغرض من هذه الرحلة أن يُمضي أشهرًا عدة في زيارة أهم الأماكن الإسلامية، وهو في طريقه للبلاد المقدسة، لكنه آثر أن يبقى عامًا للدراسة بمكة والمدينة؛ ليتمكن حين يعود إلى بلاده من القيام بمهام القاضي الشرعي، وقد وجد ابن بطوطة في رحلته ترحيبًا شديدًا من المجتمعات الإسلامية، حيثما حلّ، وكان يُدعى باعتباره من رجال الدين ليتحدث إلى الأمراء المسلمين.

ومر «ابن بطوطة» في أول رحلة له بالجزائر وتونس ومصر وفلسطين وسورية، ومنها إلى مكة.. وعن تلك الرحلة سجل في مذكراته ما يلي: «كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥هـ- ١٣٢٤م معتمدًا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، منفردًا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة.. فجزمت نفسي على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبًا، ولقيت كما لقيا نصبًا».

وقد اتسع نطاق رحلته دون أن يخطط لذلك،

زار بلاد كل حاكم مسلم من حكام عصره.. ومكة كانت هدفه الأول

ولم يمكنه حاجز اللغة في البداية من كسب ثقة المناطق التي مرّ عليها، لكنه واصل سعيه بها، وتحدّث لسانها، وحقق غرضه.. واتصل بكثير من الملوك والأمراء، وعندما وصلت رحلته إلى نهايتها بدأ في كتابة مغامراته واصفًا ما لقيه فيها من أشياء مدهشة وعجيبة.

في البلاد والأصقاع

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات، قطع فيها ما مجموعه تقريبًا (١٢٠٧٠١كم)، وقد استغرق في مجموعها نحو تسع وعشرين سنة، وكان أطولها الرحلة الأولى التي زار خلالها معظم نواحي المغرب والمشرق، وكانت أطول إقامة له في بلاد الهند، حيث تولى القضاء سنتين، ثم في الصين حيث تولى القضاء سنة ونصف، وفي هذه الفترة وصف كل ما شاهده وعاينه فيهما، ومن الغرائب التي ذكرها عن نظام التأمين الاجتماعي في الصين أن العامل أو الصانع كان يُعفى من العمل وتنفق عليه الحكومة إذا بلغ الخمسين، وأن من بلغ ستين سنة عَدّوه كالصبي الذي لا تنفذ فيه الأحكام.

كما ذكر كل من عرفه من سلاطين ورجال ونساء، ووصف ملابسهم وعاداتهم وأخلاقهم وضيافتهم، وما حدث في أثناء إقامته من حوادث وحروب وغزو وفتك بالسلاطين والأمراء ورجال الدين، وكان في خلال إقامته هذه مندفعا بعاطفته الدينية إلى لزوم المساجد، فلم يدع مسجدًا إلا زاره ونزل ضيفا عليه.

ولم يكن ابن بطوطة في أثناء تدوين رحلاته

سجل عادات الأقوام وتقاليدهم ولباسهم ومآكلهم ومشاربهم

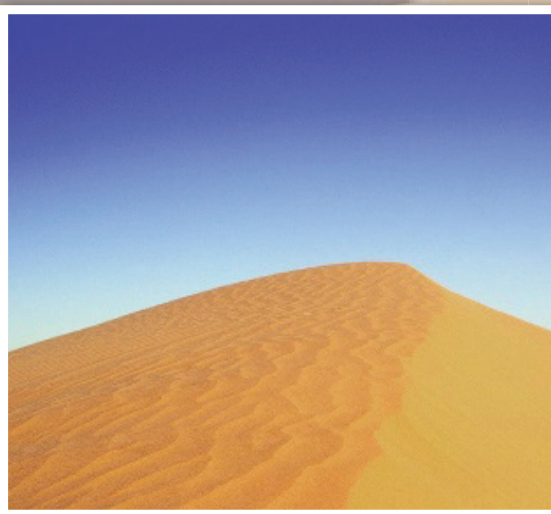

عالمًا لغويًا ولا منشئًا بديعًا، لكنه كان رحالة يطوف البلاد والأصقاع، وعلى الرغم مما أتى به في رحلاته من عجيب الخلق والعادات، فإن قصص رحلاته كانت أطرف القصص وأجزلها نفعا من حيث تسجيل عادات الأقوام وتقاليدهم ولباسهم ومآكلهم ومشاربهم، كما أن هذه الرحلة الطويلة امتازت بفوائد تاريخية وجغرافية لما ذكره فيها من وصف البلاد، جوها، تربتها، جبالها، بحارها، ومن ضبط دقيق لأسماء الرجال والنساء والأماكن والمدن والزوايا وغيرها.. وفتحت رحلاته بابًا ولج منه المسلمون إلى عوالم كانت من قبل مجهولة لهم، كما أثْرت المكتبة العربية الإسلامية بمؤلف عظيم هو «تُحْفَةُ النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، تحدث فيه عن كل ما رآه في بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا.. كما تنقل من إثيوبيا جنوبًا إلى فارس شمالًا.

وصف دقيق

لم تكن رحلات «ابن بطوطة» بنفس اليسر الذي تتسم به رحلات العصر الحديث، إنما كان السفر آنذاك شاقًا مرهقًا خطرًا عبر هذه المسافات الشاسعة، وكانت المغامرة بدخول أراض غريبة مجازفة، غير أنه اتسم بجرأة وعزيمة أهلاه لأن يخوض رحلته وحيدًا على حمار.. وقام بوصف مفصل لكل ما صادفه في طريقه، وذكر جميع الأحداث التي مرت به، فذكر الطرق والبلاد والقصور وأبواب المدن ومعالمها والأشخاص الذين مروا عليه، والأحداث التي حدثت بينهم سواء تشاجر مع أحد أو تقابل مع آخر فأكرمه، حتى فترات مرضه ذكرها أيضًا، ولم يغفل نقطة مهما كانت بساطتها، فيقول في وصفه لمدينة الإسكندرية المصرية: «وصلنا في أول جمادى الأولى إلى مدينة الإسكندرية- حرسها الله، وهي الثغر المحروس والقطر المأنوس، العجيبة الشأن، الأصيلة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، ومآثر دنيا ودين، كرمت مغانيها، ولطفت معانيها، وجمعت بين الضخامة والإحكام مبانيها».. كما بهرته أيضًا مدينة القاهرة ووصفها قائلًا: «أم المدن، سيدة الأرياف العريضة، والأراضي المثمرة، لا حدود لمبانيها الكثيرة، لا نظير لجمالها وبهائها، ملتقى الرائح والغادي، سوق الضعيف والقوي.. تمتد كموج البحر بما فيها من خلق بالكاد تسعهم».

تحفة الأنظار

وبعد نحو ثلاثين عامًا من الترحال والاستكشاف، بدأ ابن بطوطة طريق عودته إلى وطنه، إلى مدينة فاس في المغرب.. وهناك في بلاط السلطان «ابن عنان» قرأ أوصاف ما رآه في أسفاره على «محمد بن جزي الكلبي» الذي خط منها كتاب «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، والذي ترجم إلى العديد من اللغات مثل البرتغالية والإنجليزية والفرنسية، والألمانية والأمازيغية، وعلى الرغم من عدم توافر معلومات وافية عن السنوات الأخيرة من عمره، إلا أن المعروف أنه توفي عن عمر ٦٥ عامًا.. وظل بعد سنين طويلة من وفاته صاحب أطول أسفار في العالم.

وقد طبعت رحلته في باريس مع ترجمة فرنسية في منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرق ديفريمري وسانجنيتي، وطبعت في القاهرة طبعتان عربيتان، كما طبعت في لبنان في سلسلة الروائع اللبنانية، تحقيق فؤاد أفرام البستاني، وكذلك تُرجمت إلى كثير من لغات العالم، مما يدل على مدى أهمية تلك الرحلة، وانتهت أطول رحلة في العالم والتاريخ بوفاة ابن بطوطة في مراكش عام ٧٧٩هـ- ١٣٧٧م.

هكذا رآه المستشرقون

عن كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» يقول المستشرق ريجيش بلاشير: «لهذا الكتاب أهمية فائقة في التعرف على العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي، ففيه يكثر الاستطراد وتختلط الأساطير مع الحكايات البعيدة عن التصديق، والأوصاف المتكررة تكشف فيها أيضًا معلومات تاريخية دقيقة ومفيدة، لاسيما تلك التي لا تحصى والمتعلقة بعقائد وعادات وأخلاق السكان كما يراها هذا الرحالة المسلم، الذي يتفوق عنده حبُّ الاستطلاع على حدَّة الذكاء».

بدوره، اعتبره المستشرق الروسي كراتشكوفسكي آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية، أي أنه لم يكن نقَّالة اعتمد على كتب الغير؛ بل كان رحالة انتظم محيط أسفاره عددًا كبيرًا من الأقطار، وجاوز تجواله مقدار مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، وهو بهذا يُعَدُّ منافسًا خطيرًا لمعاصره الأكبر منه سنًّا (ماركو بولو) البندقي الإيطالي.

ويقول الباحث الياباني ياموتو: «من العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده، حقًّا إن وصفه لتلك البلاد يشمل عددًا من النقاط الغامضة، لكنه لا يخلو من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة مباشرة، فضلًا على أنه من المستحيل القول بأن رواياته التي وجدت توكيدًا في المصادر الصينية وفي أسفار ماركو بولو قد كانت من تلفيق مخيلته».

أسست في طرابلس الغرب سنة ١٠٦٤هجرية

مدرسة عثمان باشا المالكيَّة

تركي محمد النصر

طرابلس الغرب هي عاصمة ليبيا، وأكثر مدنها سكانًا، تقع في شمال غرب البلاد على البحر الأبيض المتوسط في سهل ساحلي منبسط مقابل الرأس الجنوبي لجزيرة صقلية، تكثر فيها البساتين، لاسيما بساتين البرتقال والليمون وحقول الزيتون، وتشتهر بعمارتها الحديثة، وشوارعها الفسيحة وجنائنها الرائعة.

فتح المسلمون طرابلس الغرب في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، الموافق ٦٤٤م ودخلت تحت الحكم الإسلامي ثم تعاقبت على حكمها عدَّة ممالك كالنورمانية، والصقلية والإسبانية، وفرسان القديس يوحنا، وبقيت كذلك حتى استعادها العثمانيون منهم سنة ١٥٥١م.

تعتبر طرابلس الغرب التي يبلغ عدد سكانها أكثر من مليون نسمة مركزًا تجاريًا وصناعيًا مهمًا وتشهد فيه الصناعة تطورًا ملحوظًا على صعيد صناعة تكرير النفط، ومن أبرز معالمها مرفأها التجاري، وقلعتها الأثرية أو ما يعرف بالسراي الحمراء، ومدينة الأندلس التي تعدُّ من أهم المشروعات السياحية في ضواحي طرابلس الغرب، وبرج الساعة الكبير، ومسجد أحمد باشا الذي أقيم على أنقاض المسجد القديم الذي بناه عمرو بن العاص عندما فتح المدينة، ومدرسة عثمان باشا الساقزلي.

ولفظة طرابلس روميَّة إغريقيَّة، وهي تعني المدن الثلاث، وقد تحدث عنها أصحاب السير، فقالوا إنها في آخر أرض برقة، بناها أشباروس قيصر، وكان لها سور صخري جليل البنيان وبها أسواق حافلة، وكان فيها مسجد في العهد الإسلامي يعرف بمسجد الشعاب، وكان حولها بربر وأنباط، فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ بعد حصار استمر شهرين فانتزعها من يد الرومان.

وينسب إلى طرابلس الغرب عدد كبير من أهل العلم والصَّلاح، ومن أبرزهم العلامة الشيخ علي بن زياد العبسي الطرابلسي، ولد بطرابلس، وسمع من الإمام مالك الموطأ وأخذ عنه أقواله، ثم جلس للتدريس في القيروان، حيث كثر تلاميذه واشتهر أمره، وكاد أن يمتحن بالقضاء ولكنه امتنع وسافر علي إثر ذلك إلى تونس، واجتمع عليه الناس، وكان ملاذهم بل كانت الأسئلة تأتيه من القيروان، واشتهر من تلاميذه ثلة منهم سحنون بن سعيد التنوخي، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات.

وابن زياد رحمه الله . هو أول من أدخل الموطأ إلي إفريقيا، وهو أول من فسَّر للمغاربة قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، وهو معلم سحنون الفقة، توفي- رحمه الله- سنة ١٨٣هـ.

تأسيس المدرسة وسبب تسميتها

أسست المدرسة سنة ١٠٦٤هـ الموافق ١٦٥٤م، وتقع بزنقة درغوت باشا، بحي باب البحر في المدينة القديمة، بالعاصمة الليبية طرابلس، وسميت باسم مؤسسها عثمان باشا الساقزلي، وهو والي طرابلس الغرب آنذاك أثناء فترة الخلافة العثمانية، حيث كانت ليبيا منضوية تحتها.

ويعتبر تأسيس هذه المدرسة في العهد العثماني الأول تجديدًا واستمرارًا لتدريس العلوم الإسلامية في طرابلس بعد تدمير الإسبان وفرسان القديس يوحنا لكل المرافق الحيوية للمدينة، بما في ذلك المدارس الشرعية العتيقة مثل المدرسة المستنصرية التي أسسها ابن أبي الدنيا، والتي كانت بدورها استمرارًا لتدريس العلوم الإسلامية منذ أدخل علي بن زياد الطرابلسي تلميذ الإمام مالك كتاب الموطأ إلى المغرب الإسلامي.

وصفها

الداخل إلى مدرسة عثمان باشا من بابها الرئيس سيقابله صحن المدرسة، وهو ساحة مربَّعة الشكل تفتح عليها أبواب أربع عشرة حجرة، كل منها تزدان بعمودين من الرخام الزاهي اللون، ويعلوهما قوس نصف دائري، كما يحيط بالساحة رواق منتظم محمول على أعمدة رخامية متعددة المصادر تعلوها تيجان بديعة، وتعلو المدرسة قبتان عثمانيتان مميزتا الشَّكل، وتفتح الساحة على منطقة منفصلة بها مرافق المدرسة وميضأة تحمل نقوشًا عثمانية بديعة، كما تفتح الساحة من الناحية المقابلة على مقبرة قديمة حُوِّلت إلى حديقة زهور.

أهميتها

تظهر أهمية مدرسة عثمان باشا من خلال محافظتها. حتى وقت قريب على التعليم الديني وفق نظام الحلقات في مختلف العلوم الإسلامية بشكل منتظم، كما أن المدرسين الذين تعاقبوا على التدريس فيها كانوا من أهم علماء ليبيا الذين تخرجوا على الرعيل الأول، مما أضفى عليها طابع العراقة، وعلى الرغم من صغر المدرسة إلا أنها استطاعت أن تحافظ على الموروث العلمي والثقافي الإسلامي لطرابلس، وأن تنقله عبر الأجيال على الطريقة المغاربية الطرابلسية بكل ما يعنيه ذلك من أصالة تاريخ المدينة وعلو قدر علمائها.

منهجها

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

يتلخَّصُ منهج المدرسة في تدريس علوم الشريعة الإسلامية، العقيدة والفقه والحديث واللغة العربية، وآداب البحث والمناظرة، والآداب الإسلامية العامة، ويجمع منهج المدرسة بين علمَي الرواية والدراية بتدريس الحديث النبوي والفقه المالكي الأصيل.

ولا يزال تدريس هذه العلوم يعتمد على طريقة التلقين وتحمل العلم الشرعي بالسند المتصل، الأمر الذي ميَّز هذه المدرسة العريقة عن غيرها من الدينية الأخرى.

أسانيدها وأبرز أعلامها

ومما زاد في أهميَّة هذه المدرسة وعراقتها العلميَّة والتاريخيَّة أنَّها تجمع أسانيد الأمَّة الإسلاميَّة قاطبة، أسانيد شاميَّة، ومصريَّة، وتونسيَّة، ومغربيَّة، وشنقيطيَّة، ويمنيَّة، وحجازيَّة، وهنديَّة، وتركيَّة، حيث اعتنى علماء طرابلس بالرواية منذ القدم، وأقرب هذه الأسانيد- مثلًا- الأسانيد الَتي اجتمعت من خلال العلامة مجدد المدرسة في العصر الحديث الشيخ محمد كامل بن مصطفى (ت ١٣١٤هـ) مفتي طرابلس الغرب والذي قام بتدريس العلوم الشرعية مطلع القرن العشرين بمرويَّاته عن أكابر علماء الأمة في عصره ومنهم الشيخ أحمد عبدالرحيم الطهطاوي، والشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ حسن العدوي، والشيخ محمد المهدي بن سودة، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ عبدالهادي الإبياري، والشيخ عبدالقادر الرياوي المقدسي الحنفي، والشيخ إبراهيم بن محمد السياني التونسي التوزري، والشيخ مختار شويخ، والشيخ محمد الطاهر الغدامسي، والشيخ أبوالقاسم العيساوي.

كما جمعت المدرسة بين أسانيد المناطق الليبية المحيطة بطرابلس مثل أسانيد الشيخ محمد الأمين العالم من شط الهنشير، وأسانيد الشيخ علي الغرياني من تاجوراء، وأسانيد الشيخ أحمد أبوطبل من بني وليد، وأسانيد الشيخ محمد ظافر المدني من مصراتة التي تتصل بأسانيد الشيخ أحمد زروق.

وقد تسلسل العلم الشرعي المعنعن في المدرسة من خلال تلاميذ الشيخ محمد كامل بن مصطفى من أمثال العلماء إبراهيم مصطفى باكير مفتي طرابلس، وأحمد البكباك، وأحمد الشارف، وأحمد شقرون، وأحمد بن عبدالسلام، وأحمد بن عبد العال وغيرهم.

ولا تزال المدرسة تفخر بتدريس شتى العلوم الإسلامية التخصصية من خلال نخبة من أجلِّ أعلامها، و نذكر منهم

١- العلامة الفقيه الشيخ عبدالسلام البزنطي الذي تخرج في العلوم الشرعية على أيدي علماء كبار من أساتذة جامعة محمد بن علي السنوسي بالبيضاء، وكلية أحمد باشا بطرابلس، ويواصل الشيخ البزنطي مسيرة تدريس الفقه المالكي التي بدأها الإمام علي بن زياد الطرابلسي تلميذ الإمام مالك وذلك بتدريسه الكتب المعتمدة على المذهب المالكي مثل كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني بشروحها وحواشيها الأزهرية.

٢- شيخ القراءات العلامة الأمين محمد قنيوة الذي يتصل سنده بأعلى الأسانيد العثمانية في القراءات والتجويد، وهو حجَّة على مستوى العالم الإسلامي في مجال القراءات والتجويد، ترأس لجان الإشراف على عدة مسابقات قرآنية دولية، وله تسجيلات إذاعية محلية ودولية، ومساهمات مهمة في إخراج مصحف الجماهيرية على رواية قالون عن نافع، وتخرج على يديه عديد من أفضل قرَّاء البلاد الليبية.

٣- اللغوي الدكتور محمد منصف القماطي الذي درس علوم العربية والعلوم الشرعيَّة دراسة جامعيَّة وعلى علماء طرابلس، وحصل على شهادة الدكتوراه في اللغويات، ويُدَرِّس- بالإضافة إلى تدريسه بمدرسة عثمان باشا- في جامعة الفاتح بطرابلس.

مكتبتها

أَوقَفَ عثمان باشا الساقزلي رحمه الله كتبًا كثيرة وقيِّمة على مدرسته منذ تأسيسها، وحافظ الليبيون على هذه النَّفائس، ومنها كثير من المخطوطات النَّادرة، وعندما أسَّست وزارة الأوقاف الليبية مكتبتها العامة في طرابلس عام ١٣١٦هـ قامت بنقل أغلب هذه الكتب إليها، كما تم تجديد مكتبة المدرسة وتزويدها بمراجع ومصادر مهمة في العلوم الإسلامية، وخاصة كتب الفقه المالكي وأصوله.

دورها في التَّاريخ العلمي لطرابلس

كانت المدرسة تقوم بدور دار الإفتاء في طرابلس، أو ما يُعرف في العهد العثماني بمَقَر المفتي، ويعتبر الشَّيخ محمد كامل بن مصطفى الذي كان مفتيًا لطرابلس الغرب من أهم علماء المدرسة في العصر الحديث، إذ تخرج على يديه في هذه المدرسة أهم علماء ليبيا ممن سبق ذكرهم.

ومن أبرز الأعراف الدينية في طرابلس ما يُعرف بالحزب القرآني الذي أسسه العلامة الشيخ محمد المصراتي في المدرسة، ويُقرأ الحزب كل يوم عقب صلاة المغرب، ويعتبر من النشاطات المميزة ذات الطابع العريق للمدرسة التي لم تنقطع منذ أكثر من نصف قرن.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٢٥/١/٨٩ع...زكاة المال المستثمر

أود أن أعرض عليكم حالة خاصة من حالات المشاركة في تجارة العقار، رجاء أن تبينوا لي ما هو الواجب علي في حكم الزكاة. جزاكم الله كل خير والحالة كالآتي:

عندي مقدار من المال أودعته عند أحد أقاربي عندما انتدبت للعمل في الخارج (خارج الكويت) وقد أبلغني قريبي بأنه أشركني في بناء عمارة سكنية ثم باعها واستثمر في شراء أرض أخرى وبناها ثم باعها، وقد أخبرني بأنه احتسب لي الربح في الشراكة وكنت في البداية أعرف رأسمالي وأضيف إليه الربح تقديرًا وأخرج الزكاة في كل عام من المال الذي أدخره عندي وليس من المال الذي عند قريبي، وكنت أيضًا أطالبه بأن يزودني بكشف حسابي لديه ولكنه لا يفعل بحجة أنه مشغول، ودائما يقول لي انتظر وأنا أتحاشى أن اختلف معه بسبب الإلحاح في المطالبة بكشف الحساب، وكنت أقدر ما لدي من مال عنده وأخرج زكاته من المال الذي عندي كما سبق أن ذكرت، ولكن هذا العام لا يوجد لدي مال أدخره سوى مرتبي الذي بالكفاف أنفق منه على معيشة أولادي، فهل يجوز أن أؤخر زكاة مالي إلى وقت حصولي منه على كشف الحساب أو استلام كل أموالي أو ماذا أفعل بالنسبة لزكاة أموالي المودعة لديه؟ علمًا بأنه لم ينكر هذه الأموال وأنا أفترض فيه حسن النية.

أجابت اللجنة بما يلي: بما أن الزكاة فريضة سنوية وقد حال الحول فيجب على السائل إخراج زكاته سواء من المال الذي وجبت فيه الزكاة أم من غيره، ولا يجوز تأخير الزكاة عن موعدها، وعليه مطالبة شريكه بالمقدار الذي يكفي لأداء الزكاة إن لم يطالبه بجميع حقه، ولابد من معرفة مقدار أمواله ليتمكن من حساب زكاتها.

٣٠/٣/٨٩ع.....زكاة المال المدخر لشراء بيت

والدي عنده بيت مضت عليه فترة ثم باع البيت وفي عزمه أن يشتري بيتًا آخر ولكن غلاء الأسعار حال دون شراء البيت الجديد وبقيت أموال البيت الأول حتى حال عليها الحول فهل تجب الزكاة فيها أم لا؟ وهل يجوز صرف الزكاة إلى أقربائه أو أبناء المستحقين للزكاة أم لا؟

●...أجابت اللجنة بما يلي:

...إن الزكاة واجبة في الأموال التي حصل عليها ثمنا للبيت والمعدة لشراء بيت آخر إذا حال عليها الحول، ويجوز صرف الزكاة إلى أقاربه إن كانوا مستحقين بأن كانوا من الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾، ولا يجوز صرف الزكاة إلى أصول المزكي كأبيه وأمه وجده وجدته ولا إلى فروعه وهم أولاده وأولادهم.

٣٧/٢/٨٩ع زكاة الدين الذي لم يثبت بحكم محكمة أو إقرار صحيح

(١٧٥٢) عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدير العام للهيئة العامة لشؤون القصر، ونصه:... بعد التحية، نرجو الإحاطة أن الهيئة بصفتها وصيا على القصر وقيما على المحجور عليهم من الكويتيين الذين ليس لهم ولي أو قيم آخر يتولى إدارة عقاراتهم وأموالهم وأن هناك بعض التركات توجد عليها ديون لصالح الغير بموجب إفادات ترد للهيئة ودون صدور حكم بها، كما يوجد ديون عقارية لصالح بنك التسليف والادخار والهيئة العامة للإسكان، ونظرًا لأن بعض الورثة الراشدين يطلبون استبعاد هذه الديون من وعاء الزكاة والتي تحصلها الهيئة ممن تتولى رعايتهم. لذلك فإن الهيئة قد رأت التوجه إليكم لبيان الرأي الشرعي في الأمور الآتية: هل يؤخذ في الاعتبار عند احتساب الزكاة على أموال القصر الديون التي لم يصدر بها حكم إذا أقرها الورثة أو كانت ثابتة بالكتابة؟

●...أجابت اللجنة ما يلي:

عند احتساب الزكاة على أموال القصر تعتبر الديون التي صدر بها حكم أو ثبتت بالكتابة المعتمدة شرعًا سواء كان الورثة راشدين أو قصرًا، وبالنسبة للورثة الراشدين تعتبر الديون التي أقروها في حق حصصهم فقط، أما القصر فلا يعتبر منها إلا ما يثبت بالقرائن التي تقتنع بها الهيئة العامة لشؤون القصر باعتبارها وصية عليهم.

٣٧/٢/٨٩ع زكاة/ زكاة الديون المقسطة إلى آجال بعيدة!!

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من المدير العام للهيئة العامة لشؤون القصر، ونصه:...بعد التحية،

نرجو الإحاطة أن الهيئة بصفتها وصيا على القصر وقيما على المحجور عليهم من الكويتيين الذين ليس لهم ولي أو قيم آخر يتولى إدارة عقاراتهم وأموالهم وأن هناك بعض التركات توجد عليها ديون لصالح الغير بموجب إفادات ترد للهيئة ودون صدور حكم بها، كما يوجد ديون عقارية لصالح بنك التسليف والادخار والهيئة العامة للإسكان، ونظرًا لأن بعض الورثة الراشدين يطلبون استبعاد هذه الديون من وعاء الزكاة والتي تحصلها الهيئة ممن تتولى رعايتهم.

...لذلك فإن الهيئة قد رأت التوجه إليكم لبيان الرأي الشرعي في الأمور الآتية:

...هل يؤخذ في الاعتبار (عند إخراج الزكاة) الديون التي تسدد على أقساط شهرية لبنك التسليف والادخار أو الهيئة العامة للإسكان، مع العلم أنها أقساط بسيطة ولا يُطلب سدادها بالكامل عند وفاة مالكها، وتقسط على سنوات طويلة، فهل يؤخذ قيمة الدين كاملا بالاعتبار عند احتساب الزكاة، أو تؤخذ قيمة الأقساط المستحقة عند احتساب الزكاة على أموال القصر؟ شاكرين لكم جهودكم للوصول إلى الصواب والالتزام بالحق.

●...وأجابت اللجنة ما يلي:

...الديون الحكومية أو الإسكانية التي تسدد على أقساط شهرية أو سنوية لا يؤخذ في الاعتبار عند احتساب الزكاة إلا القسط السنوي المستحق دفعة أو الأقساط التي تتعلق بالسنة المزكى عنها، وذلك ما انتهت إليه الندوة الثانية لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة في الكويت عام ١٤٠٩هـ.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بشأن موضوعي الاستفادة من أموال الزكاة لبناء المدارس والمستشفيات في البلاد الأوروبية وتأسيس صندوق للزكاة فيها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد ﷺ أما بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢رجب١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩رجب١٤٠٦هـ قد نظر في توصية مجمع البحث الفقهي الأوروبي، التابع للمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمحال إليه من معالي الدكتور الأمين العام، نائب رئيس المجلس، والمتعلق بإمكان الاستفادة من أموال الزكاة لبناء المدارس والمستشفيات في البلاد الأوروبية.

وبعد النظر والاستماع إلى كلمات الأعضاء ومناقشاتهم قرر المجلس تأكيد ما ذهب إليه في الدورة الثامنة من دخول الدعوة إلى الله تعالى، وما يعين عليها، ويدعم أعمالها في مصرف «في سبيل الله» وهو أحد المصارف الثمانية المنصوص عليها في كتاب الله تعالى (الآية ٦٠ من سورة التوبة) اعتمادًا على أن الجهاد في الإسلام لا يقتصر على القتال بالسيف، بل يشمل الجهاد بالدعوة وتبليغ الرسالة، والصبر على مشاقها. وقد قال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ في شأن القرآن :﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا﴾ (الفرقان:٥٢)، وجاء في الحديث الشريف: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» رواه أحمد وأبوداود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه.

ويتأكد هذا المعنى في عصرنا الحاضر، أكثر من أي وقت آخر، فالمسلمون يغزون فيه في عقر دارهم من الملل والنحل والفلسفات الباطلة، وبالفكر والثقافة لا بالسيف والمدفع، وبالمؤسسات التعليمية والاجتماعية، لا بالمؤسسات العسكرية. ولا يفل الحديد إلا حديد مثله، فلابد أن تقاوم الدعوة إلى الطاغوت بالدعوة إلى الله، ويقاوم تعليم الباطل بتعليم الحق، والفكر المشحون بالكفر بالفكر المشحون بالإسلام. كما قال أبوبكر الصديق لخالد رضي الله عنه «حاربهم بمثل ما يحاربونك به: السيف بالسيف، والرمح بالرمح...». وقد تنوعت وسائل الدعوة وأساليبها في عصرنا تنوعًا بالغًا، فلم تعد مقصورة على كلمة تقال، أو نشرة توزع، أو كتاب يؤلف- وإن كان هذا كله مهما- بل أصبح من أعظم وسائلها أثرًا وأشدها خطرًا: المدرسة تصوغ عقول الناشئة وتصنع أذواقهم وميولهم، وتغرس فيها من الأفكار والقيم ما تريد، ومثل ذلك المستشفى الذي يستقبل المرضى، ويحاول التأثير فيهم باسم الخدمات الإنسانية.

وقد استغل هذه الوسائل أعداء الإسلام من دعاة التنصير وغيرهم، لغزو أبناء الأمة الإسلامية، وسلخهم من شخصيتهم، وإضلالهم عن عقيدتهم، فأنشأوا المدارس والمستشفيات وغيرها لهذا الغرض الخبيث، وأنفقوا عليها العشرات والمئات من الملايين، وأكثر ما يتعرض المسلمون وشبابهم خاصة لهذا الخطر حينما يكونون خارج ديار الإسلام. ولهذا يقرر المجلس أن المؤسسات التعليمية والاجتماعية من المدارس والمستشفيات ونحوها، إذا كانت في بلاد الكفر، تعتبر اليوم من لوازم الدعوة، وأدوات الجهاد في سبيل الله، وهي مما يدعم الدعوة ويعين على أعمالها بل هي لازمة للمحافظة على عقائد المسلمين وهويتهم الدينية، في مواجهة التخريب العقائدي والفكري الذي تقوم به المدارس والمنشآت التنصيرية واللادينية.

على أن تكون هذه المؤسسات إسلامية خالصة، ممحضة لأغراض الدعوة والرسالة والنفع لعموم المسلمين وليست لأغراض تجارية تخص أفرادًا أو فئة من الناس. أما ما يتعلق بتأسيس صندوق للزكاة، لجمعها من المكلفين بها، وصرفها في مصارفها الشرعية، ومنها ما ذكرناه أعلاه، فهو أمر محمود شرعًا، لما وراءه من تحقيق مصالح مؤكدة للمسلمين، بشرط أن يقوم عليه الثقات المأمونون العارفون بأحكام الشرع في تحصيل الزكاة وتوزيعها، والله أعلم.

كيف تستثمر أموالك في البورصة بالحلال؟

د. حسين شحاتة

هي سوق تباع وتتداول فيها الأوراق المالية مثل الأسهم والسندات والصكوك الاستثمارية، وتتم عمليات الشراء والبيع والتنازل بطرق كثيرة لتحقيق الربح، وتعمل البورصة تحت إشراف الأجهزة الحكومية المختلفة، وفقًا لقوانين وقواعد وأسس وإجراءات فنية.

- مقاصد الاستثمار في البورصة

هناك هدفان من الاستثمار في البورصة هما:

١- هدف التجارة في الأوراق المالية، ويطلق عليها المضاربة، حيث تتم عمليات الشراء والبيع وتحقيق الربح من فروق الأسعار، فغاية المستثمر في هذه الحالة هو تحقيق الربح من فروق الأسعار، وربما يحقق خسارة.

٢- هدف الحصول على العائد من الأوراق المالية، مثل أرباح الأسهم أو فوائد السندات أو فوائد الصكوك، فالغاية من الاستثمار في هذه الحالة هو الحصول على العائد الذي تدره الأوراق المالية ليستعان به في مطالب الحياة.

٣-وأحيانًا يكون الهدف من الاستثمار الاثنين معًا.

طرق الاستثمار في البورصة

هناك طرق عديدة للتعامل في البورصة منها ما يلي:

١- طريقة التعامل النقدي أو العمليات الناجزة (كاش) حيث تتم عمليات الشراء والبيع والتنازل نقدًا، يدًا بيد، وهذه هي الأعم، ويتم ذلك من خلال التسليم النقدي أو إشعارات الخصم والإضافة في الحساب البنكي، وهذه الطريقة جائزة شرعا.

٢- طريقة التعامل بالهامش: حيث تتم عمليات الشراء والبيع والتنازل بسداد نسبة من القيمة نقدًا والباقي بالأجل من خلال ائتمان من شركة السمسرة أو من إحدى المؤسسات المالية بنظام الفائدة الربوية، ولهذه الطريقة مخاطر وشبهات شرعية.

٣-طرق أخرى يضيق المقام عن ذكرها منها على سبيل المثال:

الاختيارات والمستقبليات، وهما محرمتان شرعًا.

الضوابط الشرعية

من أهم هذه الضوابط ما يلي:

١- أن يكون نشاط الشركات المصدرة للأسهم موضوع التعامل حلالًا طيبًا، مثل التي تعمل في الغذاء والملابس والمساكن والعلاج والتعليم، ولا يجوز التعامل في أسهم شركات الخمر والبيرة والسينما الفاجرة، واللهو غير المشروع وشركات القمار والبغاء التي تنشر الفاحشة.

٢-أن تكون طريقة التعامل جائزة شرعًا وبعيدة كل البعد عن الربا (فوائد القروض والائتمان)، وعن الميسر ومنها المستقبليات والاختيارات.

٣- أن يكون التعامل عن طريق شركة سمسرة تتسم بالأمانة والصدق والشفافية والبعد عن الغش والتدليس والكذب والترويج غير الهادف.

٤- أن تكون الغاية من الاستثمار هي الإسهام في التنمية الاقتصادية وتنمية الأموال بالحق، وتكون الأولوية للشركات الوطنية التي تتعامل في الضروريات والحاجيات ذات العلاقة بالحاجات المعيشية للناس مثل الغذاء والملبس والمأوى والعلاج والتعليم وما في حكم ذلك.

٥- أن تتم المعاملات كافة وفقًا للقوانين والتعليمات والقرارات الحكومية التي تضبط العمل في البورصة وتجنب التعامل في السوق الخفية (السوداء)، ويحكم ذلك كله القيم الأخلاقية والولاء والانتماء للوطن.

الأستاذ بجامعة الأزهر

إعداد: خالد خلاوي

تميز في نُصحك

ليس من السهل على أي أحد تقبل النقد لما نعرف من طبيعة النفس البشرية من الميل إلى الثناء والإطراء، ونفورها من سماع كلمات النقد، وعدم تقبلها النصيحة بسهولة؛ لذا كان إتقان فن النقد وتوصيل نصيحتك بمهارة أمرا بالغ الأهمية حتى لا تؤدي نصيحتك أو نقدك إلى أن تخسر قلب من تنصحه، فالنصيحة والنقد الإيجابي البناء واجب على كل فرد من أفراد الأمة، أمر به الله سبحانه وجعله من صفات المؤمنين، قال الله تعالى ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر: ٣).

وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (متفق عليه). وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «حق المؤمن على المؤمن ست فذكر منها.. وإذا استنصحك فانصح له» (رواه مسلم).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى».

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله: «والنصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورأفة، مراد الناصح بها وجه الله ورضاه، والإحسان إلى خلقه».

ومن أول مبادئ النقد الإيجابي التغليف الجيد للنقد أو النصيحة في أولها وآخرها ففي أولها تبدأ بذكر محاسن الذي تريد نقده، وتثني على جهوده واجتهاداته، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل.

وتغلفها في نهايتها بإظهار حبك وتقديرك و بيان الحرص على مصلحة من تنقده وأهمية هذا النقد في إجادة العمل وإتقانه.

وإليك بعض المقترحات لتقديم النقد الإيجابي من كتاب «يمكنك أن تفوز» لخبير التنمية البشرية شيف كيرا:

- كن مُدربًا: لابد أن يكون النقد ممزوجًا بتوجيه فكري لمساعدة الطرف الآخر، إن المدرب يطرح انتقاداته لكي يساعد على تحسين أداء اللاعب.
- الفهم والاهتمام يعملان كحافز.
- لابد أن يكون الهدف هو التصحيح لا العقاب.
- كن محددًا بدلاً من قول أشياء مثل: أنت دائمًا تفشل أو أنت لا تفعل أبدًا، إن النقد الغامض يسبب الاستياء.
- ضع الحقائق في أماكنها، لا تقفز إلى الاستنتاجات ولا تندفع إلى النقد.
- كن هادئًا ولكن بحزم.
- انقد للإقناع وليس للترهيب.
- لا تكن ساخرًا.
- انقد على انفراد وليس بشكل علني.
- امنح الشخص الآخر فرصة كي يشرح وجهة نظره.
- أظهر لهم أنهم سيستفيدون من تصحيح اخطائهم.
- قم بتوضيح الخسارة من عدم تصحيح الأخطاء.
- انقد الأداء وليس الأشخاص.
- اختم ملاحظاتك الإيجابية بالتقدير.

إعداد: هيفاء حسن

آمال بكشف أسرار الكون

بدأ تلسكوب «الما» الفضائي العملاق، الذي يعد واحدا من أعظم الانجازات العلمية والتكنولوجية في القرن الحادي والعشرين، بالعمل كاشفا أعماق الفضاء الخارجي، فيما يعرف في أوساط العلماء بفجر الكشف عن أسرار الفضاء الكوني.

ويعتبر التلسكوب، الذي أقيم على ارتفاع خمسة كيلومترات فوق سطح الأرض في الصحراء التشيلية، من أعقد وأكبر المشاريع العلمية الطموحة في العالم لكشف الفضاء التي بنيت حتى الآن.

والهدف من بناء هذا المشروع الضخم دراسة الظواهر الكونية التي حدثت خلال عدة مئات من ملايين السنين عقب تشكل الكون، أي منذ بدأت أول النجوم في اللمعان.

ومن شأن نتائج عمل تلسكوب «الما» إلقاء الضوء على أسرار كيفية تشكل الكون على الهيئة التي تكون عليها حاليا.

ويقول أحد علماء التلسكوب د.دييغو غارثيا: إن تشغيل المشروع العملاق بمنزلة «بداية العصر الذهبي لعلوم الفضاء».

وأضاف غارثيا: إن تلسكوب «الما» سيمكن العلماء من رؤية «بداية الكون، وكيف تكونت وتشكلت المجرات الأولى، وسنتعلم الكثير حول الكيفية التي يعمل بها النظام الكوني».

فك الشفرة الوراثية للطاعون القاتل

فك علماء من ألمانيا وبريطانيا وأميركا وكندا الشفرة الجينية للبكتريا التي تسببت في الطاعون الذي حصد حياة ملايين البشر في أوروبا، في نهاية القرن الرابع، وبداية القرن الخامس من القرن الرابع عشر الميلادي.

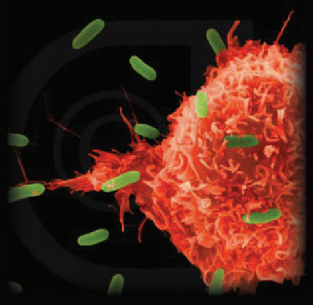

وقال العلماء إن المجموع الوراثي لهذه البكتريا يشبه إلى درجة كبيرة جينات البكتريا الخطيرة على صحة الإنسان في الوقت الحالي، وإن أقرب بكتريا مسببة للطاعون في الوقت الحاضر تختلف فقط في ١٢ موضعًا عن تلك التي كانت موجودة في القرن الرابع عشر الميلادي.

دبي تؤسس جائزة عالمية للسلام

أعلنت إمارة دبي يوم ٢٠١١/١٠/١٢ تأسيس جائزة عالمية للسلام، باسم «جائزة محمد بن راشد آل مكتوم للسلام العالمي».

وقالت وكالة أنباء الإمارات إن الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي أصدر مرسومًا بإنشاء الجائزة.

وأشارت إلى أن «أهم أهداف الجائزة تكريم الفئات والجهات ذات الإسهامات المتميزة في قضايا حفظ السلام العالمي باعتباره وسيلة للتفاعل الحضاري بين الشعوب، وإنماء السلام والاستقرار وتنميتهما في العالم وتشجيع روح المبادرة والتميز في حفظ السلام العالمي إلى جانب تشجيع الحوار بين الأديان، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام باعتباره دين تسامح وسلام».

وحدد المرسوم إمارة دبي مقرًا دائمًا للجائزة ويجوز أن تفتح فروعًا لها داخل الإمارة وخارجها.

وذكر المرسوم أن مجلس الجائزة يتولى الإعداد لـ«مؤتمر دبي العالمي للسلام» وتحديد موعد انعقاده واعتماد الترشيحات المقدمة لنيل الجائزة، التي ستمنح كل عامين.

النباتات تؤثر في المورثات

توصل باحث صيني يدعى شان يو زانغ من جامعة نانجينغ إلى نتيجة مفادها أن النباتات التي نستهلكها قادرة على التأثير في مورثاتنا.. لقد عثر هذا الباحث الصيني في دم مواطنيه، على الحمض الريبي النووي للأرز، وهو الحمض الذي يرجح أن يكون وراء توقف عمل مورثات الكبد.. يجري العديد من الباحثين الآن تجارب على النباتات في محاولة لدراسة أثرها على الجملة الوراثية للإنسانية وتأكيد دورها في معالجة بعض الأمراض.

طبقة أوزون في كوكب الزهرة

اكتشف العلماء أن كوكب الزهرة محاط بطبقة من الأوزون، وقد اكتشفت وكالة الفضاء الأوروبية هذه الطبقة التي يمثل سمكها ١٪ من سمك طبقة الأوزون الخاصة بكوكب الأرض.

وحتى الآن لم تكتشف طبقة الأوزون إلا في الغلاف الجوي للأرض والمريخ، وقد يساعد الاكتشاف العلماء في تطوير بحثهم عن الحياة في الكواكب الأخرى، وقال الباحثون إن طبقة الأوزون الخاصة بكوكب الزهرة تقع على بعد ١٠٠ كيلومتر من سطح الكوكب، وهو ما يماثل ثلاثة أمثال بعد طبقة الأوزون الخاصة بالأرض، يتكون الأوزون، وهو جزيء يحتوي على ثلاث ذرات أوكسجين عندما يفكك ضوء الشمس ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي لكوكب الزهرة إلى جزيئات بالطريقة نفسها، وتمتص طبقة الأوزون الخاصة بالأرض قدرًا كبيرًا من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، مما يمنعها من الوصول إلى سطح الأرض.

التثاؤب «ترموستات» المخ

أثبتت دراسة علميه حديثة أن عملية التثاؤب ليست فقط دليلا على مدى التعب والإرهاق والاحتياج إلى النوم والراحة إنما هو طريقة طبيعية للحفاظ على درجة حرارة المخ. وقال الباحثون الأميركيون: إن عملية التثاؤب شأنها في ذلك شأن جهاز «الترموستات» أو معدل تنظيم درجة الحرارة، حيث يُسهم التثاؤب في إبقاء المخ في درجة حرارة مناسبة، ويجعله باردًا إلى حد ما، وشبه العلماء مخ الإنسان بجهاز الكمبيوتر، حيث يعمل المخ بصورة أفضل عندما يكون باردًا، والكثير من الأعباء والضغوط والتفكير يرفع درجة حرارة المخ ويجعله منهكًا إلى حد كبير.

من هنا وهناك

- ابتكرت شركة فورد الأميركية للسيارات كرسيًا يراقب نشاط قلب السائق من خلال ملابسه التي تحتوي على ستة أجهزة استقبال، وهذا الكرسي الذي لديه القدرة على قياس ٩٨٪ من الزمن الذي يقود فيه السائق للسيارة يستطيع إعطاء إنذار للسائق في حالة الخطر أن يوقف سيارته ويتجه فورًا إلى أقرب مركز إسعاف.

- طور علماء بريطانيون من جامعة «ليفربول» البريطانية تقنية حديثة تتمثل في تحديد هوية الأشخاص من خلال خطوات الأرجل والتي تعادل دقتها دقة بصمات الأصابع.

- يعتبر العنصر المشعّ (بولونيوم-٢١٠) من أحد مسبّبي سرطان الرئة، وهو لا يزال حتى اليوم موجودا في السجائر، وقد أكدت هذه الحقائق لشركات التبغ سلسلة من البحوث التي أُجريت في الخمسينيات والستينيات إلا أن الوثائق التاريخية تفيد بأن تلك الشركات فضّلت إبقاء تلك النتائج المثيرة للصدمة سرية.

- أصبحت المعلومات المؤتمنة كما «مفهوم السرية» من الناحيتين الصناعية والإستراتيجية على المحك، في عصر التطبيقات الرقمية بحسب الخبراء في الأمن.

- تستعمل الطحالب كإضافات غذائية، كما تستعمل أيضا في إنتاج بعض الأدوية ومواد التجميل، لكن أبحاثا حديثة توصلت إلى أن خلاصة الطحالب يمكن أن تمد البطاريات بـ٣٠ إلى ٤٠ في المائة من الطاقة، كما بمقدورها أن تزيد من فعالية البطارية.

الإنجاز كبير جدا ومن شأنه أن يسمح أكثر فأكثر باستقلالية السيارة الكهربائية.

إعداد: التحرير

شخصيات عربية

هم ثلاثة أخوة، برزوا في علوم اللغة والأدب والتاريخ والفقه والحديث، يطلق على كل واحد منهم ابن الأثير، وجميعهم من أبناء بلدة جزيرة ابن عمر التابعة للموصل، وكان أبوهم من أعيان هذه البلدة وأثريائها.

الابن الأكبر هو مجد الدين أبو السعادة المبارك بن محمد، فقيه محدث اشتغل بدراسة القرآن الكريم والحديث والنحو حتى صار علمًا بارزًا فيه، وألف وترك مؤلفات عظيمة، أشهر هذه المؤلفات: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، جمع فيه الكتب الصحاح الستة وتوفي سنة (٦٠٦ هـ -١٢٠٩م).

أصغر أبناء ابن الأثير: هو ضياء الدين أبوالفتوح نصر الله، المعروف بضياء الدين بن الأثير الكاتب الأديب، كان متقنا لصنعة الكتابة واشتهر بها، وبجودة أسلوبه وجمال بيانه، عاش في زمن صلاح الدين الأيوبي والتحق بخدمته وخدمة أبنائه في حلب ودمشق، وقد ترك مصنفات أدبية قيمة من أشهرها: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تعالج فن الكتابة وطرق التعبير، وتوفي سنة (٦٣٧هـ - ١٢٣٩م).

أما أوسطهم فهو عز الدين الأثير المؤرخ، وسوف أقوم ببيان دوره في التاريخ بشيء من التفصيل.

مولده ونشأته: ولد علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بعز الدين بن الأثير في ٤ من جمادى الآخرة سنة ٥٥٥هـ الموافق ١٣من مايو سنة ١١٦٠م، بجزيرة ابن عمر، وقد عني أبوه بتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراء والكتابة.

بعد ذلك أكمل دراسته في الموصل بعد أن انتقلت إليها أسرته، وأقامت بها إقامة دائمة، فسمع الحديث من أبي الفضل عبدالله بن أحمد، وأبي الفرج يحيى الثقفي، وتردد على حلقات العلم التي تعقد في مساجد الموصل ومدارسها، وكان ينتهز فرصة خروجه للحج ويسمع مشايخها وكذلك يعرج على بغداد ثم يعود إلى الموصل.. وأخيرًا لزم الموصل وانقطع للتأليف والتصنيف.

ثقافة ابن الأثير: قام ابن الأثير برحلة طويلة في سبيل العلم، فدرس الحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والقراءات؛ لأن هذه العلوم كان يجيدها الأساتذة المبرزون، ومن بينهم ابن الأثير، لكنه اختار فرعين من العلوم ليتعمق فيهما وفي دراستهما هما: الحديث والتاريخ، حتى صار إماما في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم، عارفًا بالرجال وأنسابهم لاسيما الصحابة.

وعن طريق هذين العلمين بنى ابن الأثير شهرته في عصره، وإن غلبت صنعة المؤرخ عليه، حتى كادت تحجب ما سواها.

مؤلفاته: توفرت المادة التاريخية لابن الأثير الذي استعان بها في مؤلفاته بفضل اتصاله بحكام الموصل، وأسفاره العديدة في طلب العلم، والتي استعان بها في مصنفاته التي انتظمت في أربعة مؤلفات، جعلت منه ابرز المؤرخين بعد الطبري.

وسوف نستعرض من هذه المؤلفات بإيجاز شديد «الكامل في التاريخ»، وهو في التاريخ العام، وهو ما يسمى بالتاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، الدولة التي أسسها عماد الدين زنكي في الموصل سنة (٥٢١هـ - ١١٢٧م)، وهي الدولة التي عاش في كنفها ابن الأثير.

أسد الغابة في معرفة الصحابة: وهو في تراجم الصحابة.

اللباب في تهذيب الأنساب: وهو في الأنساب.

الكامل في التاريخ: وهو تاريخ عام في ١٢ مجلدًا منذ الخليقة وابتداء الزمان حتى عصره.

وبذلك يكون ابن الأثير قد كتب في أربعة أنواع من الكتابة.

وتعود أهمية الكتاب إلى أنه استكمل ما توقف عنده تاريخ الطبري في سنة (٣٠٢ هـ) وهي السنة التي انتهى بها كتابه، وكذلك تضمن الكتاب تاريخ الحروب الصليبية، وكذلك الزحف التتري على المشرق الإسلامي.

أسد الغابة: وموضوعه الترجمة لصحابة الرسول ﷺ الذين حملوا مشعل الدعوة، وفتحوا بسلوكهم الدول والممالك.

وقد اشتمل الكتاب على ترجمة (٧٥٥٤) صحابيًا وصحابية تقريبا.

وفاته: بقي ابن الأثير بعد رحلاته مقيمًا في الموصل، منصرفا إلى التأليف، عازفا عن المناصب الحكومية، متمتعًا بثروته التي جعلته يحيا حياة كريمة، جاعلًا من داره ملتقى للطلاب والزائرين.. حتى توفي في (شعبان ٦٣٩هـ الموافق ١٢٣٢م).

جبر الخالدي

ضرب الأطفال

قال باحث أميركي: إن الأمهات اللواتي يعترفن بأنهن أو أزواجهن يضربون أطفالهم بشكل خفيف قد يميلون لاستخدام أساليب أشد عنفا وقساوة في بعض المناسبات، وأوضح الباحث أن أنواع العقاب الجسدي التي تعتبر مسيئة للأطفال من الناحيتين النفسية والجسدية تشمل الضرب المبرح والرفس، واستخدام أدوات معينة لضربهم في أماكن أخرى غير مؤخرتهم، ومنها أيضا الإمساك بطفل لا يتجاوز العامين وهزه بعنف.

وقد توصلت دراسة أميركية أخرى إلى أن الأطفال الذين يتعرضون لإيذاء بدني أو إهمال.. تزيد لديهم احتمالات التعرض لاكتئاب شديد في مرحلة البلوغ.

كما أشارت الدراسة التي نشرت من دورية سجلات الطب النفسي العام الماضي إلى أن الأطفال الذين تعرضوا لإيذاء بدني تزيد لديهم مخاطر الإصابة باكتئاب خطير على مدى حياتهم بنسبة ٥٩ ٪ مقارنة مع نظرائهم من الأطفال الذين لم يتعرضوا لهذه الإساءة، وقد ربطت دراسة سابقة بين إساءة المعاملة في الطفولة وبين الاكتئاب الحاد، وذكر الباحثون أن هذه الدراسة هي الأولى التي توضح أن الاكتئاب هو نتيجة للمعاملة السيئة.

سمير إبراهيم علي متولي

فقه الدموع

إن الدنيا دار الغرور والأمنيات الكاذبة والمصالح الزائلة، من لاذ بها جمدت مشاعره، وتبلد إحساسه.

وإليك هذا الإعلان من خطبة قطري بين الفجاءة- وهو علم من أعلام الخطابة في العصر الأموي- قال يحذر أتباعه:

أما بعد، فإني أحذركم الدنيا؛ فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات، وراقت بالقليل، وحليت بالآمال، وتزينت بالغرور، غرارة ضرارة خوانة غدارة، لا تعدو- إذا هي تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها- أن تكون كما قال الله تعالى:﴿كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾، وبسبب التكالب على الدنيا والجري وراء مظهرها الخادع قتل الإنسان أخاه بل أباه بل أمه لميراث أو عرض من أعراضها الفانية، والدنيا عامل أساسي في جمود المشاعر وندرة المواقف النبيلة، وذهاب القيم وقسوة القلب وجفاف الدموع من المآقي. وصراع الإنسان مع الدنيا أزلي أبدي من الميلاد وحتى الوفاة.

والإسلام كمنهج جاء ليضبط بالميزان حركة الناس في صراعهم مع قيم الدنيا وعدم طغيانها على قيم الآخرة، جاء الإسلام بهذا منطلقًا من قول الحق سبحانه: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾، وهذا لإحداث التوازن بين تطلعات النفس للآمال القريبة وطموحاتها نحو الآخرة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»، هذا هو الضابط والميزان الذي يحافظ على القيم الطاهرة والمقدسة في أن تسود وتنتشر في دنيا الناس.

إن معاني الطهر والنقاء والصفاء والشفافية والحلم والعفو والفهم.. كل ذلك يزكي روح الحب والعطف والتعاون والود، ويزيد من ترابط جزئيات المجتمع الواحد، فعندما ترى إنسانًا تبكي عيناه من أجل إنسان آخر ليس قريبًا له تنتابك لحظات من فوران المشاعر الطاهرة، التي تدفع بك نحو الرغبة الكامنة في النفس وهي أن تعيش لغيرك أكثر مما تعيش لنفسك، فأنت في قمة سعادتك عندما تسعد إنسانًا حزينًا، وتواسي كئيبًا، وترعى يتيما، وتبكي من أجل عرض امرأة في أقصى المشرق وأنت تعيش في أقصى المغرب، وإني لأؤكد على أننا في أشد الحاجة لأن نعيش فقه الدموع والخشوع؛ لأن غيابه يؤدي إلى قحط العيون من ماء الوجود والرحمة، وهزال الروح وجفاف القلب وقسوته، فتسود آفات من الغيبة والأنانية والحقد، وهنا تعم الفتن وتكثر المفاسد.

من هنا وجب على كل فرد أن يعرض نفسه على مراتب فقه الدموع حتى يرى موقعه.

ولتسأل نفسك: هل أنت ممن يبكون لدنيا فاتتهم؟ أو جاه لم يصلوا إليه؟ أو صفقة رابحة ضاعت؟

أم أنت ممن لا يعرف البكاء لهم سبيلًا في الأحزان وفقدان العزيز من الأهل؟ أم أنت ممن يبكي شفقة ورحمة لفقير أو يتيم أو كسير؟ أم أنت ممن يبكي للمقدسات تهدم وللحرمات تنتهك في أرض فلسطين؟ أم أنت ممن يبكي تذللا وخشوعًا وهو واقف بين يدي الحق تبارك وتعالى في وقت السحر يناجي ربه ويتذكر ذنوبه ومعاصيه؟ أم أنت ممن يبكي على وقت فاته لم يذكر فيه الله ولم يقرأ ورده ويمر عليه اليوم وهو يلعنه؟

إن المسلم الحصيف ذا الفهم الواعي يبكي في الخلوات خضوعًا وذلة أمام الحق سبحانه، معلنًا الندم على التقصير ويعزم عزمة صادقة على الأداء الجيد، والرغبة الشديدة في أن يكون رحيمًا حليمًا بغيره؛ حتى تسود معاني ومشاعر المحبة والمودة، فتنسج مجتمعًا ملائكيًا في طهره وقداسته، وعندما نصل لذلك نكون قد فقهنا وعرفنا أن للدموع فقها.

وقبل أن أنهي حديثي أذكرك عزيزي القارئ بأن للبكاء أوقات، فالنفس تمر عليها عبر حياتها سلسلة من الأحداث والمواقف الرهيبة ففيها لا تمسك عن الدمع، واملأ العينين بماء الحياة والشعور، وابك في خلواتك ولا تمسح دمعك، واجعله قطرات ماء لامعة في وجهك؛ حتى يكون كوردة مليئة بقطرات الندى لتزيد وجهك نورًا.. عسى أن يكون من هذا النور سفينة الإنقاذ من المواقف العصيبة يوم القيامة.

محمد محمد الشحات أبوعيد

أول إعلان لحقوق الإنسان في حجة الوداع

لقد مثلت خطبة الوداع، أقصد خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع، نبراسًا للمسلمين جمع لهم فيها رسول الله ﷺ أركان الإسلام جميعا، محذرا من العودة للجاهلية، ليس بالردة إلى الكفر وإنما بالسلوكات التي نهى عنها الإسلام؛ لأن الشيطان يئس أن يعبد في أرض الإسلام، ولم يعد أمامه إلا دعوة الناس إلى جاهلية الفعل.

لقد كان التركيز من رسول الله ﷺ في خطبته على نقاط معينة محذرًا المسلمين منها وداعيًا إلى الالتزام بأمور أخرى، ولقد وصف العلماء خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع أنها كانت بمنزلة إعلان لحقوق الإنسان، ولقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يتناقلها الناس من خلال قوله بعد كل فقرة: فليبلغ الحاضر الغائب.

محمد السيد

إعداد: التحرير

الأيادي ثلاث

بيضاء وخضراء وسوداء.

فاليد البيضاء: الابتداء بالمعروف، واليد الخضراء: المكافأة على المعروف، واليد السوداء: المن بالمعروف.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص:٣١)

لا يُوقد نارًا بليل

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّه قال: «كانَ الحاجبُ رجلًا منْ أجلِّ العرب، وكان بخيلًا، وكان لا يوقد نارًا بليل كراهة أنْ يراها راءٍ فينتفع بضوئها، فإذا احتاج إلى إيقادها فأَوْقدَ ثمَّ بَصُر بمستضيء بها أطفأها».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة)

جواب مسكت

جاء بعض الثقلاء إلى الجاحظ وقال له: سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمني منها، فقال له الجاحظ: لك ما تريد.

فقال له: إذا قال لي رجل يا ثقيل الدم ويا خفيف العقل فبماذا أجيبه؟ فقال له الجاحظ: قل له: صدقت.

(روائع الدرر)

من عيب حُبِّ الذِّكر

«منْ عيب حب الذِّكر، أنَّه يحبط الأعمال إذا أحبَّ عاملها أن يُذكر بها، فكاد يكون شركًا، لأنه يعمل لغير الله تعالى، وهو يَطمسَ الفضائل، لأنَّ صاحبه لا يكاد يفعل الخيرَ حبًّا للخير، لكن ليُذكَر به».

(مداواة النفوس)

وصية لطالب العلم

قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي- رحمه الله: «... وإذا قال الأستاذ للطالب- فهمت؟ فلا يقُل نعم، حتى يتَّضح له المقصود إيضاحًا جليًّا، لئلا يكذب ويفوته الفهم، ولا يستحي من قوله لم أفهم، لأن استيثاقه يُحَصِّل له مصالح عاجلة وآجلة، فمن العاجلة حفظ المسألة، وسلامته من كذب ونفاق بإظهاره فهم ما لم يكن فهمه منها، ومنها وثوق الأستاذ باعتنائه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكه لنفسه وعدم نفاقه، ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائمًا، واعتياده هذه الطريقة المرضية، والأخلاق الرضيَّة». وعن الخليل بن أحمد: «منزلة الجهل بين الحياء والأنفة».

(آداب الدارس والمدرِّس للقاسمي، والمجموع للنووي)

هكذا تسوسهم

الناس ثلاث طبقات، تسوسهم ثلاث سياسات: طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة، وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدة لئلا تحرجهم الشدة ويبطرهم اللين.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص: ٣٠)

أوَّل مَنْ صَنَّفَ بالتجويد

«موسى بن عبيد الله» الخاقاني، البغدادي، من أهل بغداد، أبومزاحم.

هو أوَّل مَنْ صَنَّف في تجويد القرآن، عالم باللغة العربية، شاعر.

غلب عليه حب معاوية بن أبي سفيان، فقال فيه أشعارًا كثيرة دوَّنها الناس، وكان راوية مأمونًا له قصيدة في التجويد، وقصيدة في الفقهاء.

(معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين)

خِلال المكارم

قالت عائشة رضي الله عنها: «خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أحب: صِدْقُ الحديث، وصِدْقُ النَّاس، وإعطاءُ السَّائل، والمكافأةُ بالصنائع، وصلةُ الرَّحم، وحفظُ الأمانَة، والتَّذمُّم للجار، والتَّذمُّم للصاحب، وقِرَى الضَّيف، ورأسهنَّ الحياء»

(موسوعة أقوال الحكماء)

من تمام المروءة

قال علي بن الحسين رضي الله عنه: «من تمام المروءة، خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وامرأته قائمة﴾ (هود:٧١)، ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو الزمان بحضورهم، ويبش عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وألا يحدث بما يروعهم».

(المستطرف للأبشيهي)

أقوى أسباب النَّجاح

قال النبي ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإنَّ كُلَّ ذي نعمة محسودٌ» (الطبراني)

وقال عَلي رضي الله عنه: سِرُّكَ أسيرك فإنْ تكلمت به صرت أسيرهُ.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كُنْ جوادًا بالمال في مواضع الحقِّ، ضنينًا (بخيلًا) بالأسرار عن جميع الخلق.

وقال بعض الأدباء: مَنْ كتمَ سرَّهُ كان الخيار إليه، ومن أفشاهُ كانَ الخيارُ عليه، وكم مِنْ إظهار سرٍّ أراقَ دمَ صاحبه، ومنعَ مِنْ نيلِ مطالبه، ولو كتمَهُ كَانَ مِنْ سَطوتِهِ آمنًا، وفي عَوَاقبه سالمًا، ولنجاحِ حوائجِهِ راجيًا.

(أدب الدنيا والدين للماوردي).

لا في العير ولا في النفير

هو مثل يضرب لهوان الشأن، وأصله أن النبي ﷺ خرج لاعتراض العير وهي قافلة أبي سفيان القادمة من الشام إلى مكة، ولكن أبا سفيان غير طريق القافلة ونجا بها، أما قريش فقد خرجت بكل قواها لتنقذ تجارتها، ودخل أبوسفيان مكة فوجد أهلها قد خرجوا جميعًا فبعث إليهم يخبرهم بنجاة القافلة ويدعوهم إلى العودة فأبوا.

لكن بني زهرة لما علموا بنجاة العير عادوا إلى مكة، فصادفهم أبوسفيان وهم راجعون فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير.. وأصبح يقال مثلًا عند هوان الأمر.

(روائع عربية)

الإخوان ثلاثة

الإخوان ثلاثة: أخ يخلط لك وده، ويبلغ في مهمك جهده، وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته، وأخ يجاملك بلسانه ويتشاغل عنك بشأنه، ويوسعك من كذبه وأيمانه.

(إحياء التراث في ما جاء في عدد السبع والثلاث ص:٣٠)

ثقافتنا وثقافتهم

عبر عشرات السنين تهب رياح عاتية، تحاول أن تقتلع المجتمع العربي والإسلامي من جذوره، من خلال السيطرة على وسائل الإعلام، تبث الأفلام والمسلسلات والبرامج والسهرات والمنوعات، تسعى إلى تغيير العادات والتقاليد والأفكار والآداب، تنشر العري، وتخاطب الغرائز والشهوات، وتدعو إلى الخروج على تعاليم الدين، وهي لا تقف عند هذا الحد، بل إنها تشوه صورة المتدين، وتجعله مصابا بمرض عقلي أو اضطراب نفسي، وتصفه بالتخلف والرجعية.. كل هذا والمجتمع المسلم يظل صامدًا، متمسكا بدينه، يرى فيه الملجأ والملاذ، ويرى في تعاليمه المثل الأعلى الذي تهفو إليه نفسه، وتتوق إليه روحه، وهو إن ابتعد عنه فسرعان ما يعود إليه، وإن اتسخ بالمعصية فسرعان ما يغتسل من ذنوبه بالحج والعمرة وأعمال الخير، ودعاء السحر، ودموع الندم، وخفقات القلب التائب، وهو يرى ضرورة الالتزام بتعاليم الدين في الأفراح والأتراح، ويهتدي بها في كل حركة من حركات الحياة.

سيظل الإسلام هو ثقافة المجتمع المسلم، وستظل الثقافات الأخرى مثل العلمانية والليبرالية والشيوعية والرأسمالية ودعوات التحرر والتقدم والتفسير الخاطئ لأحكام الإسلام هي الزبد الذي يذهب جفاءً، ويذهب دعاتها إلى مجاهل النسيان، لكن الأمر يحتاج منا إلى عمل واجتهاد، فهم يصنعون نجوما، ويحملون همومًا، ويشنون هجومًا، ونحن نكتفي بالرد، لابد أن نحيي أمجاد علماء الإسلام وأبطاله، وأن تعرض الفضائيات الإسلامية أعمالاً فنية تبتعد عن الأشكال التقليدية المنفرة، وأن تخاطب العقول، وتعرض الصورة المشرفة لأهل التقوى والصلاح، وأن تقدم للناس التوعية اللازمة بكل مناحي الحياة، وتتمسك بالصدق والحق، وأن تجدد وتطور من نفسها بصفة مستمرة، هناك دور مهم للعلماء والخطباء والأدباء في توعية الناس وهدايتهم إلى الحق، لتبقى الثقافة الإسلامية شامخة راسخة أمام الثقافات الأخرى التي تقول لدعاتها ما قاله شيخنا الإمام محمد الغزالي: «إن البعد عن الله لن يثمر إلا علقما، ومواهب القوة والجمال والذكاء والمعرفة تتحول جميعها إلى نقم عندما تعرى عن توفيق الله، وتحرم من بركته».

د. يحيى سنبل